جاك تاجر
أمين المكتبة الخاصة [redacted]

حركة الترجمة بمصر
خلال القرن التاسع عشر



ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

حركة الترجمة بمصر
خلال القرن التاسع عشر

(من عرف لسان قوم أمن من مكرهم)

جاك تاجر
أمين المكتبة الخاصة [redacted]

حركة الترجمة بمصر
خلال القرن التاسع عشر

فازت هذه الرسالة بجائزة مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى سنة ١٩٤٥



ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

الإهـــداء

إلى ذكرى أستاذي الجليل المغفور له يوسف جلاد باشا أهدي هذا الكتاب .

جاك تاجر

كلمة شكر

إنه لمن أعز واجباتى وأقدسها أن أعرب عن بالغ شكرى إلى حضرة صاحب السعادة أنطون الجميّل باشا عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ومقدم الجائزة

وإلى حضرات أصحاب العزة أحمد بك أمين وعباس محمود العقاد وعلى الجارم بك أعضاء لجنة الآداب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية .

وإلى صاحب العزة جورج جندى بك رئيس قلم المحفوظات التاريخية بديوان [redacted] على ما بذلوه من جهد ومدونى به من عون فى سبيل إخراج رسالتى .

المؤلف

فهرست

تمهيد

لم يكن لحركة الترجمة فى مصر أيام المماليك من أثر يذكر ، وفى مقدمة الأسباب التى جعلتها كذلك يومئذ أمران :

الأول — تحول شئون التجارة بين مصر والخارج عن طريق السويس والبحر الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح .

الثانى — الفوضى التى كانت تسود الديار المصرية يومئذ ، حتى لقد هجرها رجال العلم والفن من شرقيين وأوربيين ، فانقطعت بهذا الهجران الأواصر الفكرية بين الشرق والغرب وفترت حركة الترجمة فتوراً واضح الأثر .

حقاً أنه كان يعيش فى القاهرة والإسكندرية وغيرهما من المدن المصرية جاليات أوربية ولكنها كانت قليلة العدد وكان أفرادها من التجار الذين وفدوا إلى مصر لاستثمار تجارتهم فحسب ، فكان أثرهم فى الترجمة مقصوراً على مصالحهم التجارية الخاصة ، وكانت كلما جدت لهم مشكلة فى تجارتهم وسطوا فيها قناصلهم بينهم وبين « البكوات » المماليك فتولوا فضها كل بواسطة ترجمانه ، وإذن فالترجمة الصحيحة العامة لم تظهر فى مصر إلا فى عهد الاحتلال الفرنسى ، ومن أجل ذلك رأينا ألا نهمل

السنتين السابقتين للقرن التاسع عشر بل ضممناهما إلى هذا القرن لنتتبع حركة الترجمة فى مصر من مولدها حتى هذا العصر .

ولما كان ملوك الأسرة العلوية الكريمة — وهم الذين قادوا حركة الترجمة فى القرن التاسع عشر — قد استغلوا هذه الحركة فى أغراض مختلفة استحسنا تقسيم دراستنا لها إلى ست فترات هى :

الحملة الفرنسية	:	من ١٧٩٨ إلى ١٨٠١
عصر محمد على و إبراهيم	:	من ١٨٠٥ إلى ١٨٤٨
عصر عباس الأول	:	من ١٨٤٨ إلى ١٨٥٦
عصر سعيد	:	من ١٨٥٦ إلى ١٨٦٣
عصر اسماعيل	:	من ١٨٦٣ إلى ١٨٧٩
عهد الاحتلال	:	من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٩

الحملة الفرنسية

لما اعتزمت الحكومة الفرنسية فتح البلاد المصرية لعرقلة طريق الهند أمام الإنجليز حتى يضطروا إلى قبول الصلح ، وعهدت إلى الجنرال بونابارت فى تنفيذ هذه الخطة الجريئة ، رأى هذا القائد البارع والسياسى المحنك أن السيف لا يكفى وحده لسلامة جيوشه والمحافظة على فتوحه فعقد النية على بث روح التعاون بين الحاكم والمحكوم وتوثيق عرا الصداقة بينهما وقرر تأليف حكومة أهلية تتفق مبادئها مع مبادىء الثورة الفرنسية فتقوم بادارة مصالح الشعب وتوفير طمأنينته ، إلا أن اضطراب الأحوال السياسية والحربية ولا سيا بعد إغراق الأسطول الفرنسى فى معركة أبى قير وجهل الأعيان والشيوخ فى مصر يومئذ بأساليب الحكم الجديد ، حمل نابليون على وضع هذه الحكومة الناشئة تحت إشرافه ورقابته .

وكان يجب على الرجل الذى نبتت فى ذهنه هذه الخطة الجريئة أن يفكر فى السعى إلى تحقيقها على الوجه الأكمل حتى إذا ما اعترضته بعض المصاعب تمكن من تذليلها . وكانت مسألة اللغة من أهم المصاعب التى قد تعوق علاقات الحاكم بالمحكوم . فكان لا بد للجنرال بونابارت أن يستدعى معه من لهم إلمام باللغات الشرقية حتى ييسروا عليه مهمته كلما أراد التحدث إلى الأعيان أو استطلاع رأيهم أو مفاوضتهم أو إرشادهم فأدت هذه الحركة إلى ترويج صناعة الترجمة فى مصر .

وكان فى فرنسا وقتئذ بعض المستشرقين والمتخرجين فى مدرسة اللغات الشرقية التى أنشأها الملك لويس الرابع عشر فى القرن السابع عشر لتخريج المترجمين الصالحين لإلحاقهم بالسفارات والقنصليات فى الشرق . وكان بعضهم قد اكتسبوا شهرة عظيمة بسبب إقامتهم عهوداً طويلة فى البلاد الخاضعة للدولة العثمانية أو المجاورة لها واختلاطهم بأعيانها وحكامها حتى أنهم أتقنوا لغاتها . فانتفع بونابارت بمعلوماتهم وخبرتهم .

ولكن بالرغم من الأعباء الثقيلة التى فرضها عليهم ، ظل عددهم قليلا إلى انتهاء الحملة . وكان معظمهم يتقنون اللغتين الفارسية والتركية أكثر من اللغة العربية التى لم يجيدوها إلا بعد تمرين طويل ومشقة بالغة .

أما الأعمال التى أنجزوها أثناء الحملة فهى :

١ — القيام بمهمة المترجم (Interprète) :

احتاج الجنرال بونابارت وكبار قواده إلى من ييسر لهم الاتصال بالشعب . وكان هؤلاء التراجمة فى بادىء الأمر من الفرنسيين حتى إذا اتسع نطاق العمل استعانوا ببعض الشرقيين ولا سيما السوريين .

٢ — ترجمة الوثائق الرسمية والإدارية :

قبل أن ينزل الجنرال بونابارت إلى البر ، وزع منشوراً على أهالى الإسكندرية يكفل لهم حرية العقيدة واحترامه الدين الإسلامى ويحثهم على مناصرة الفرنسيين ومحاربة المماليك الطغاة . وقد تولى « فانتور » ترجمة هذه الوثيقة وطبعها المستشرق « حنا يوسف مارسيل » مدير مطبعة الحملة فوق الباخرة « لوريان » ووزع منها أكثر من أربعة آلاف نسخة على رجال الدين والأعيان وتعتبر هذه الوثيقة أول عمل أخرجته مطبعة عربية فى الشرق . واستمر المترجمون بعد ذلك فى ترجمة المنشورات الرسمية والأوامر الإدارية كما أخذوا يترجمون إلى الفرنسية الشكاوى الكثيرة التى كان يرفعها الأهالى إلى الديوان .

٣ — ترجمة الكتب العلمية :

وبالرغم من الأعمال الإدارية الكثيرة التى أثقلت كاهل المترجمين استغل بعضهم أوقات فراغه القصيرة لتحسين الكتابة العربية أو مناقشة رجال الدين والعلم أو ترجمة دواوين الشعراء أو بعض المؤلفات العربية والعلمية والأدبية والدينية التى سيأتى ذكرها فيما بعد .

مترجمو الحملة وأهم أعمالهم

المستشرق فانتور — Jean-michel Venture de Paradis

كان فانتور أكبر علماء الحملة سناً . ولد فى مرسيليا سنة ١٧٣٩ وتعلم اللغات الشرقية فى مدرسة اللغات بكلية لويس الأكبر . وطاف بالبلاد الشرقية نحو أربعين سنة قام خلالها بمهمات دبلوماسية دقيقة إلى جهات متعددة منها القاهرة ومراكش وتونس والجزائر . ففى سنة ١٧٨٨ أرسل إلى الجزائر لتسوية الخلاف القائم بين فرنسا وتلك البلاد وتمكن بعد مفاوضات مكثت ستة عشر شهراً أن يجدد الاتفاقات السابقة ولما رفض الباب العالى فى سنة ١٧٩٣ الاعتراف بالسفير الفرنسى De Sémonville تولى فانتور مهمة السفارة حتى سنة ١٧٩٥ حتى إذا عين سفير جديد ساعده فانتور على أداء مهمته .

وقد أدى فانتور إلى بلاده خدمات جليلة وكانت شهرته العظيمة هى السبب فى تعيينه قبيل نشوب الثورة الفرنسية بمدة وجيزة «سكرتيراً ومترجماً للملك فى اللغات الشرقية» . Secrétaire-Interprète du Roi pour les Langues Orientales وهى أعلى رتبة تعطى لمن ينتسب إلى سلك المترجمين . وكانت آخر رحلة له فى سنة ١٧٩٧ . فلما عاد إلى فرنسة مالت نفسه إلى الراحة فاعتزل السياسة وقصر نشاطه على تدريس اللغة التركية فى مدرسة اللغات الشرقية . ولكنه لم يتمكن من الراحة إذ وقع اختيار الجنرال بونابارت عليه ليكون كبير مترجمى الحملة الفرنسية ومستشاره الخاص ومرجعه الأول فى المسائل الخاصة بالشرق والشرقيين . فلما وصل إلى مصر عين عضو فى المجمع العلمى المصرى ، وقد ذكره الجبرتى فى كتابه فقال فيه « أن فانتور هذا ترجمان سارى عسكر الجيوش الفرنسية وكان لبيباً متبحراً يعرف اللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى » . ومما هو جدير بالذكر أنه أقام فى

مصر ثمانى سنوات فى أواخر القرن الثامن عشر وقبل الحملة . فلما عاد إليها مع الحملة . التقى بكثير من أصدقائه وعارفيه من المشايخ وأعيان القبط . فساعدوه فى كثير من الشئون . وقد رافق الجيش فى سيره إلى الشام ، إذ قلما كان قائده يستغنى عن خدماته وإرشاداته . ثم أصيب أثناء حصار عكا بالديسنطاريا وتوفى أمام هذه المدينة فى مايو سنة ١٧٩٩[١] .

أعماله :

وعلى الرغم من الشهرة التى تمتع بها فانتور ، توفى دون أن تنشر مؤلفاته وإن يكن قد ترك عدة مخطوطات منها وثيقتان عثر عليهما فى مصر وهما تحويان تفصيلات وافية مهمة عن تاريخ المماليك . ونشر المسيو شارل جالياردو ترجمة لهاتين الوثيقتين فى « مجلة مصر » La Revue d'Egypte فى العددين الصادرين فى أول أغسطس وأول سبتمبر سنة ١٨٩٤ . « وكان (ڤولنى) Volney قد ادعى فى كتابه « رحلة إلى مصر والشام »[٢] أن فانتور قابله فى مصر وقال له أنه على وشك الفراغ من ترجمة هاتين الوثيقتين .

وترجم أيضاً كتاباً للشيخ مرعى بن يوسف الحنبلى سماه .

Passe-Temps Chronologique et Historique, ou Coup d'Œil récréatif sur le régne des Khalifes, des Rois et des Sultans d'Egypte . (نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين)

وهو مخطوط عربى مودع مكتبة باريس تحت رقم ٢٢٠٤٩٣ .

ولم نعرف من سائر تراجمه إلا بعض مقتطفات أدبية نشرها فى مجلة (الماجازين

---

(١) تاريخ الحركة القومية (الحملة الفرنسية) لعبد الرحمن الرافعى

G. Hanotaux, Histoire de la Nation Egyptienne (Tome V).

G. Guémard, les Orientalistes de L'Armée d'Orient.

(٢) C.F. Volney, Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783, 1784 et 1785. - Paris, 1786. 2 vol. in-8

بتوريسك) Le Magasin Pittoresque وقاموس لغة البربر الذى نشره (لانجليس) Langlés فى ذيل كتاب رحلة (هورنمان) Hornemann[١] .

المستشرق جوبير — Louis-Amédée Jaubert :

اختاره بونابارت للسفر معه إلى مصر بتوصية فانتور وذلك بعد أن رفض العلامة لانجليس الانضمام إلى رجال الحملة (ويقال أن هذا العلامة كان يجيد جميع اللغات الشرقية) وكانت معلومات جوبير فى اللغة العربية مقصورة على قواعدها التى تعلمها على يد المستشرق الكبير « سيلفستردى ساسى » ولكنه أتقنها فيما بعد بفضل اجتهاده وساعده على ذلك مناقشاته المتوالية للعلماء والشيوخ وأعضاء الديوان . ولما توفى فانتور حل محله كبيراً لمترجمى الحملة فازدادت مخصصاته وتبعاته .

وكتب جوبير عن نفسه فقال « كنت مشغولا من الصباح إلى المساء أتلقى أوامر بونابارت وأبلغها الجهات المختصة ثم أستمع إلى آراء الأعيان وشكواهم وأناقشهم فى شتى الموضوعات . فكنت مضطراً إلى السهر ليالى طويلة أمضيها فى مطالعة الوثائق الإدارية التى يصعب قراءتها حتى للمترجم الذى يجيد لغته . ثم أتولى مراجعة قوائم الحساب التى يقدمها محصلو الضرائب إذ كان هؤلاء يكتبونها بخط ردىء لتضليل المراقب وتعجيزه عن التثبت من صحتها[٢] .

ولما غادر جوبير البلاد المصرية مع سائر رجال الحملة عين مدرساً للغة التركية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ثم مدرساً للغة الفارسية فى الكوليج دى فرانس فناظراً لمدرسة اللغات الشرقية . ومما يثير الدهشة أنه لم يعين قط مدرساً للغة العربية وهذا دليل واضح يثبت ماذكرناه قبل ذلك وهو أن أهم مترجمى الحملة كانوا يجيدون اللغتين التركية والفارسية أكثر من إجادتهم اللغة العربية .

---

(١) J. Hornemann, Journal of Travels from Cairo to Morzouk in 1797 - 1798. - London,

(٢) Hanotaux, Histoire da la Nation Egyptienne (Tome V)

أعماله :

ليست أعمال جوبير كثيرة . وهى لاحقة للحملة الفرنسية . فهو الذى ترجم إلى اللغة الفرنسية بعض النقوش Inscriptions المذكورة فى كتاب (باشو) Pacho[1]. وأخذ بعد ذلك يترجم « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للشريف الأدريسى من النص المودع المكتبة الملكية بباريس . وعلق عليه وطبع ترجمته فى جزءين صدر الجزء الأول فى سنة ١٨٣٦ والجزء الآخر سنة ١٨٤٠ تحت عنوان Géographie d'Edresi وكان يعلل هذا البطء فى العمل باشتغاله بأداء بعض المهمات الدبلوماسية فى الخارج .

المستشرق مارسيل — JEAN JOSEPH MARCEL

ولد فى سنة ١٧٧٦ . ودرس باشراف المستشرق دى ساسى فأظهر أثناء دراسته مقدرة عظيمة على تعلم اللغة العربية واشتغل بعد ذلك فى الصحافة واكتسب خبرة فى فن الطباعة فرشحه بونابارت مديراً لمطبعة الحملة . وكان مارسيل لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره . وأظهر فى عمله نشاطاً ومهارة فائقين . فتولى طبع جميع منشورات القيادة العليا كما تولى طبع ألف وستمائة نسخه من مجلة (كورييه ديجبت) Le Courrier d'Egypte وثلاثة أجزاء من (لاديكاد ايجيبسيان) La Décade Egyptienne وتقويم الثورة الفرنسية لسنتى ٧ و ٨ كذلك طبع عدة كتب ألفها أو ترجمها نذكر منها « وصايا لقمان الحكيم » وهو كتاب صغير صدر سنة ١٧٩٩ وعلق عليه مارسيل نفسه فى مجلة « لاديكاد » ، وكتاب « القواعد للغات العامية فى مصر وسورية » (لم يتم طبعه) ، وكتاب « فتح الآستانة » باللغة العربية ، وكتاب مطالعة باللغة الفصحى ، وطبع أيضاً « مجموعة المستندات الخاصة بإجراء محاكمة سليمان الحلبى قاتل القائد العام كليبر » باللغات الفرنسية والعربية والتركية وقد

(١) Pacho, Relation d'un voyage dans la Marmarique, la Cyrénaïque et les Oasis d'Audjelah et de Maradéh.-Paris, 1827-1829. in-4

ذكرها الجبرتى فى تاريخه « عجائب الآثار » وكان يستعين مارسيل فى أعمال الطباعة ببعض المختصين الفرنسيين والإيطاليين الذى استدعاهم من مطبعة الفاتيكان برومة .

ويقول مارسيل إنه جمع أكثر من ألفى مخطوط باللغة العربية والفارسية والتركية والقبطية وإنه لم يندم على ما بذله من المال وما عانى من مشقة البحث للحصول على هذه المجموعة . ويروى عنه إنه بينما كانت مدافع الفرنسيين تضرب ساحة الأزهر حيث كان الثوار قد لجأوا إليها ، قفز مارسيل وسط اللهيب لينقذ من النار بعض المخطوطات الثمينه التى كانت فى المسجد .

وبعد عودته إلى فرنسا اشترك فى تأليف كتاب « تخطيط مصر » وأشرف على طباعته بوصفه مديراً للمطبعة الأميرية ، وألف القسم الخاص بتاريخ مصر الإسلامية فى مجموعة (لونيفر بيتورسك) "L'Univers Pittoresque" الذائعة . وترجم أقاصيص الشيخ المهدى كما ترك لنا (متنوعات من الأدب الشرقى) "Mélanges de littérature Orientale" . وتوفى سنة ١٨٥٤ وقد كف بصره أو كاد وفقد سمعه .

ولا شك أن أنفس ما دونه هو « (متنوعات) Mélanges » وروايات الشيخ المهدى ، والمعجم الفرنسى العربى وسنتناولها ببعض التفصيل .

١ — متنوعات الأدب الشرقى Mélanges de Littérature Orientale :

جمع مارسيل مقتطفات من آثار أشهر شعراء العرب وكتابهم وترجمها إلى اللغة الفرنسية فنالت استحسان الجمهور .

٢ — القاموس الفرنسى العربى للغة العربية العامية(١) :

وهى طبعة منقحة للقاموس الصغير الذى نشره فى القاهرة سنة ١٨٩٨ ويضم هذا

(١) Vocabulaire français-arabe des Dialectes vulgaires africains d'Alger, de Tunis, de Marok et d'Egypte. -Paris 1837 in 8.

القاموس اكثر من أربعين الف كلمة . ولا شك ان لهذا المجهود فائدة عظيمة ، قال مارسيل فى مقدمة قاموسه «شوهت البلاد العربية اللغة الأصلية التى كان ينطق بها عرب الجاهلية . فلما وصلت إلى الأسكندرية منذ أربعين سنة (مع الحملة الفرنسية) لاحظت مع الأسف أن خادمى الخاص لايفهم كلامى كما أننى لاأفهم كلامه بالرغم من أننى تلقيت دروس اللغة العربية على يد اساتذة مهرة . فتعلمت اللغة العامية وتمكنت بعد جهد عظيم أن انشر فى مصر قاموسا موجزاً للغة العربية العامية(٢) .

---

(٢) ذكر تلك التفصيلات باللغة الفرنسية في مقدمة القاموس .

وينبغي لنا أن نذكر أن التباين بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية لفت نظر كثيرين من الأدباء ففكروا هم أيضاً في وضع معجم يشابه معجم مارسيل . وكتب في هذا الموضوع السيد عيسى إسكندر المعلوف في الجزء الأول من مجلة مجمع اللغة العربية تحت عنوان « اللهجة العربية العامية » (صفحة ٣٥٠ — ٣٦٨) وذيل مقاله بأسماء بعض المعجمات للغة العامية ، نكتفى بذكر ما طبع منها بمصر وهى :

١ — معجم الياس بقطر القبطي — وفيه لغة مصر والشام والمغرب وتونس العامية طبع بباريس سنة ١٨٦٤ وفى مصر سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢) .

٢ — الشذور الذهبية فى الألفاظ الطبية — وهو معجم للمصطلحات العامية تأليف محمد عمر التونسي المتوفي سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧) مخطوط في ٦٠٠ صفحة في باريس ونقل للخزانة السلطانية فى القاهرة بالتصوير الشمسى .

٣ — منظومة عمر إسماعيل الزجلية — أظهر فيها تمازج العربية بغيرها من اللغات والعبارات الركيكة طبعت في القاهرة سنة ١٨٨٣ م

٤ — اللغة العربية العامية فى مصر والشام لميخائيل الصباغ السورى المتوفي سنة ١٨١٦ م طبع هذا الكتاب في ستراسبورج سنة ١٨٨٦ .

٥ — الرسالة التامة في كلام العامة لميخائيل الصباغ المذكور .

٦ — المناهج فى أحوال الكلام الدارج . لميخائيل الصباغ أيضاً . ولا نعلم عن الرسالتين الأخريين شيئاً .

٧ — مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية منها . لحفنى بك ناصف طبعت سنة ١٨٨٦ فى ٤٨ صفحة .

٨ — الترجمة والتعريب لحمزة فتح الله المصرى ، خطاب ألقاه فى المجمع العلمي في فينا سنة ١٨٨٦ وطبع بالمطبعة الحجرية فى مصر في ٣٠ صفحة بقطع الربع العريض وفيه بحوث فى اللغة العامية .

٩ - التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية للسيد وفاء محمد ، طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢) في ١١٩ صفحة .

٣ — تحفة المستيقظ العانس في نزهة المستنيم والناعس(١) :

وهى ترجمة مخطوط عربى إلى اللغة الفرنسية طبعها مارسيل سنة ١٨٣٥ فى ثلاثة أجزاء. وذكر فى المقدمة كيف أمكنه العثور على هذه الوثيقة . فقال « تعرفت على كثير من أعيان القاهرة ولكنى عاشرت على الأخص الشيخ المهدى فكانت علاقاتنا مستمرة ومصطبغة بصبغة الصداقة . و بينما كنا نتحدث فى أحد الأيام عن الأدب العربى كلمته عن كتاب ألف ليلة وليلة . فقال لى هذا كتاب يرجع إلى زمن قديم جداً . وعلى كل حال فقد اقتدى به كثير من الكتاب فى تأليف ما يشابهه وإنى شخصياً أملك مخطوطاً من هذا النوع . فأظهرت له رغبتى فى قراءة هذا المخطوط فأتى به فى اليوم التالى وأهداه إلىّ راجياً منى قبوله . وهذا المخطوط كتبه بيده و إنى أعتقد أن الشيخ المهدى هو مؤلفه على رغم عدم اعترافه هو بذلك » .

*
* *

وهؤلاء المستشرقون الثلاثة يعدون أهم مترجمى الحملة. ولا شك أنهم قاموا بأكبر قسط من العمل الملقى على عاتق المترجمين وتركوا فوق ذلك أبحاثاً قيمة فى التأليف والترجمة ، وكان يساعدهم على أداء هذه المهمة الشاقة بعض المتخرجين فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ومن بينهم :

ديلابورت — JACQUES-DENIS DELAPORTE

ولد فى سنة ١٧٧١ وتوفى فى سنة ١٨٦١ وكان العالم دى ساسى أستاذه فى اللغة العربية . واشتهر بعد ذلك باجادة هذه اللغة. وجاء إلى مصر مع الحملة والحق بادارة مدير الشئون المالية ، وكتب تاريخاً موجزاً لعصر المماليك نشره باللغة الفرنسية فى الجزء السادس عشر من كتاب « تخطيط مصر »

---

(١) Contes du Cheikh El Mohdi(sic).-Traduits de l'arabe d'aprés el mannsrit original. — Paris, 1835. 3 vol. in 8

بيلتيت — Belletète ou Belleteste

ولد فى أورليانس سنة ١٧٨٨ . وكان يميل منذ طفولته إلى تعلم اللغات الشرقية . ولكنه لم يدرسها إلا بعد خروجه من المدرسة ، ثم انضم إلى الحملة الفرنسية سكرتيرا ومترجما فى القيادة العليا . ولكنه لم يقم فى مصر فترة طويلة ، إذ أصيب فى معركة هليوبوليس إصابة بالغة ألجأته إلى العودة إلى بلاده حيث عينته الحكومة سكرتيراً ومترجما فى وزارة الخارجية . وكلفته الوزارة ترجمة بلاغات الجيش الفرنسى لمعارك سنة ١٨٠٥ و ٦ و ٧ إلى اللغة التركية بالاشتراك مع Kieffer واشترك أيضا فى تأليف كتاب « تخطيط مصر » وكان يشغل أوقات فراغه بترجمة مخطوط عربى فى علم المعادن . وقد جمع قصصا باللغة التركية وجعل عنوانها (الوزراء الأربعون) Les Quarante Vizirs (١)

براسيفيش — Damien Bracevich

كان يشغل قبل الحملة بزمن قليل وظيفة « مترجم أول » بطرابلس الشام . ولما جاء الفرنسيون إلى مصر كان يقيم بالإسكندرية سكرتيرا للقنصلية . فألحق بمعية الجنرال Poussielgue مدير الشئون المالية ثم عين كبيرا لمترجمى الجنرال كليبر . وقد ترجم أقوال سليمان الحلبى كما ترجم أقوال سائر المتآمرين فى قضية مصرع هذا القائد .

بانهوسن — Panhusen

عين فى بدء الحملة مترجما خاصا للجنرال كليبر ، ثم اختفى عن زملائه يوم نزول القوات الفرنسية وانقطعت أخباره حتى الآن .

لوماكا — Jean-Baptiste Santi L'homaca

احترف الترجمة وشغل منصب الترجمان فى بلاد مختلفة منها سلانيك وجزيرة كريت ثم رقى سكرتيرا فى القنصليات الفرنسية فى الشرق وألحق أثناء الحملة بقيادة

(١) عن المستشرق مارسيل

الجنرال كليبر حيث اشترك مع Bracevich في استجواب المتهمين فى قضية مقتل الجنرال كليبر . وألحق بعد ذلك بقيادة الجنرال مينو .

رينو — Jean Renno

مترجم ملحق بالجيش .

***

أما المترجمون الشرقيون فكان عددهم قليلا أيضا وهم جبران سكروج والياس فخر و بترو سافرلو وابراهيم صباغ ومسابكى واليوس (الياس) بقطر والأب روفائيل زخورة ولم يشتهر منهم إلا اثنان هما اليوس بقطر والأب روفائيل .

اليوس بقطر

ولد فى أسيوط سنة ١٧٨٤ من أب قبطى . ولما بلغ الخامسة عشر من عمره ألحق بقيادة الجيش الفرنسى مترجما . وسافر إلى فرنسا مع سائر رجال الحملة وعين سنة ١٨١٢ لترجمة الكتب المودعة محفوظات وزارة الحربية . ثم ألحق بالجيش مترجما . وألغيت وظيفته سنة ١٨١٤ . وفى سنة ١٨١٧ أجيز له تدريس اللغة العربية العامية بمدرسة اللغات بباريس وتوفى سنة ١٨٢١ .

وألف معجما عربيا فرنسيا طبع سنة ١٨٦٤ بباريس . وراجعه وأضاف إليه زيادات الأستاذ (دى پيرسيال) Caussin de Perceval فى سنة ١٨٦٩ ثم راجعه ثانيا وأضاف اليه زيادات عبيد جلاب ونشره فى جزئين .

الأب روفائيل دى موناكيس — Dom Raphael de Monachis

واسمه الأصلى أنطون زخورة وهو من أصل شرقى وينتمى إلى طائفة الروم الكاثوليك الملكيين . ولد سنة ١٧٥٨ وتوفى سنة ١٨٣١ . وقد خدم رجال الحملة الفرنسية ومحمد على باشا . وسافر إلى رومة فى السادسة عشر من عمره ليتلقى العلوم الدينية و بينما كان

هناك مر بهذه المدينة العالم (مونج) Monge موفداً من قبل الجنرال بونابارت لجمع المترجمين وبعض الفنيين فى أعمال الطباعة العربية وشراء بعض الحروف العربية والافرنجية . فطلب الأب روفائيل انضمامه إلى رجال الحملة . فاشتهر فى مصر وعين مترجما للجنرال مينو . وفى الوقت نفسه عين عضوا فى المجمع العلمى المصرى وكان هو العضو الشرقى الوحيد إذ كان ينص الأمر الصادر فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٨ الخاص بأنشاء المجمع العلمى بأنه « سيلحق بالمجمع مترجم عربى يتقاضى مرتبا خاصا و يمكن تعيينه عضواً فيه (١) » فكان الأب روفائيل يحضر جلسات المجمع و يشتغل بترجمة المنشورات والقوانين . وفوق ذلك شرع فى ترجمة بعض الكتب و ينسب اليه ترجمة الكتيب الذى وضعه الطبيب(ديجينيت) Desgenettes فى مرض الجدرى (ونسب جيمار خطأ هذه الترجمة إلى المستشرق مارسيل) . و بعد ارتداد الفرنسيين أوفده الألفى بك إلى باريس بتعليمات سرية خاصة بالسياسة المصرية . فالتقى الأب روفائيل ثانية برجال الحملة وظل فى فرنسة إلى ما بعد سقوط نابليون ثم عاد إلى مصر واستأنف أعمال الترجمة واشتغل فى الطباعة كما سنبينه فى الفصل الخاص بعهد محمد على باشا .

*
* *

وقصارى القول أنه كان للحملة الفرنسية شأن عظيم فى إحياء الترجمة فى مصر . ولكن قوادها لم يهتموا بترجمة الكتب والمقالات العلمية لتوزيعها على الشعب كما فعل فيما بعد محمد على باشا ، بل اقتصر اهتمامهم على ترجمة ما يتصل بالأعمال الأدارية والعسكرية وحدها . أما مؤلفات المستشرقين فإنهم لم ينتهوا منها أثناء الحملة ، على أنها كانت فوق مستوى شعب أهمل تعليمه فلا يستطع أن يجنى أية ثمرة منها .

---

(١) Charles Bachatly: Dom Raphael (Bulletin de l'Institut d'Egypte, Tome XVII)

محمد على باشا

سادت الفوضى فى مصر على أثر ارتداد الفرنسيين وأصبحت البلاد ميدانا للدسائس والمنازعات السياسية والحروب الأهلية وقد أهمل العلم وانطفأت مصابيحه. ولما تولى محمد على باشا الحكم أدرك أن كل حركة أصلاحية توجه إلى تكوين أمة وأنشاء حكومة أهلية لن تقوى وتستمر وتزدهر إلا إذا امتدت أصولها فى نفس الشعب، فنشر العلم وأنشأ المعاهد العلمية التى نهض خريجوها بكثير من الأعمال الفنية والإدارية.

وليس هنا مجال الحديث فيما ذكره بعض المؤرخين من أن السبب الحقيقى لاهتمام محمد على باشا بانشاء المدارس يرجع إلى رغبته فى تزويد جيشه الناشىء بالضباط والأطباء والمهندسين وغيرهم من الفنيين. ولكننا سنبين أن حركة التعليم كانت سبباً فى نمو حركة الترجمة حتى أن أحد الكتاب العصريين[١] قال « لا نغلوا اذا وصفنا عصر محمد على من جهة النهضة العلمية بأنه عصر الترجمة والتعريب »

*
* *

وكان لازدهار حركة الترجمة فى هذا العصر سببان أساسيان، الأول — حاجة محمد على الشخصية إلى معرفة الأوروبيين والاطلاع على مؤلفاتهم العلمية والأدبية، والثانى — رغبته فى نشر الحضارة الغربية والاستعانة فى البدء بالأجانب لتثقيف شعبه.

الترجمة فى خدمة الوالى

شغل محمد على باشا بمطالعة مؤلفات الفرنجة:

لم يتعلم والى مصر القراءة إلا فى الخامسة والأربعين من عمره، ومع ذلك كان يتوق إلى مطالعة مؤلفات الغرب وما تحوى من فلسفة وحكم وأساليب خاصة بالادارة

(١) أحمد عزت عبد الكريم — تاريخ التعليم فى عصر محمد على.

والحرب، وذكر الكونت (ديستورميل) D'Estourmel فى هذا القبيل قصة طريفة دونها فى كتابه[1] فحواها – أن أحد الملوك أهدى إلى والى مصر كتابا فى علم الجغرافية مجلدا تجليداً فاخراً فاستدعى الباشا كبير مترجميه وسأله « كم تحتاج من الوقت لترجمة هذا المؤلف » فأجابه المترجم « ثلاثة أشهر تقريباً » . فأحضر محمد على باشا سيفه وقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام وزعها على ثلاثة مترجمين ، وذلك لإنجاز العمل فى شهر واحد . وهذه القصة تبين مزيد عنايته واهتمامه بالاطلاع عاجلا على أحوال الغربيين .

مترجمو الديوان العالى :

ومن العجيب أننا لم نجد أى أثر لإنشاء قلم ترجمة فى الديوان العالى برغم كثرة الأعمال إلا أن المنطق وما استنتجناه من المصادر المطبوعة يبين لنا أن الوالى استعان بعدد غير قليل من المترجمين كانوا يكلفون ترجمة التقارير المختلفة الرسمية والشبيهة بها وقصاصات الجرائد الأوربية والكتب الخاصة بأحوال مصر السياسية والاجتماعية. ومن الشواهد ما ورد فى مجموعة رسائل المسيو (أنفانتان) Enfantin [2]، وكان وقتئذ رئيساً لطائفة السان سيمونيان ، إلى صديقه (آرليس) Arlès فقد كتب فى ١٣ يناير سنة ١٨٣٦ — « أن الباشا أمر بترجمة كتاب المسيو (بارو) Barrault [3] فطلب منى أحد المترجمين الملحقين بالديوان العالى النسخة التى كانت فى حيازتى حتى يستطيع القيام بعمله » . ثم أن بعض المترجمين كأوغوسط سكاكينى وعزيز أفندى وحسن أفندى كانوا يضمون إلى أسمائهم لقب « مترجم وكاتب بالديوان العالى » .

---

(١) Comte d'Estourmel, Journal d'un Voyage au Levant. Paris, 1844. 2 vol. in-8°

(٢) Enfantin, Œuvres. - Paris, 1868 — 1874.

(٣) Emile Barrault, Occident et Orient. Paris, 1836. in-8°

اهتمام محمد على باشا بالكتب المترجمة :

وكان محمد على باشا إذا اطلع على كتاب وأعجبه أمر فى الحال بطبعه وتوزيعه على الأعيان والمكاتب . وكان على عكس ذلك يحول دون نشر الكتاب إذا لم ينل استحسانه . وقد كتب الجناب العالى مرة إلى مختار بك[١] بتاريخ ١٠ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ فى شأن ترجمة الكتاب الذى وضعه الأفرنسيس أثناء الحملة (وأظن أنه يقصد بذلك كتاب « تخطيط مصر ») يطلب منه أن يرسل إليه إحدى النسخ المترجمة قبل طبعها ، و بعد فترة وجيزة تسلم مختار بك كتاباً آخر بتاريخ ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ [٢] فحواه أن الجناب العالى لا يوافق على طبع الكتاب الخاص بأخلاق المصريين الذى ألفه الفرنسيون .

وكان الوالى يهتم بكل كتاب يقع تحت بصره أو يسمع به يكون محتوياً على آراء يعود تنفيذها بفائدة مادية وأدبية . فقد أرسل إلى سلحدار ابراهيم باشا المقيم فى لندن كتاباً بتاريخ ١٩ ربيع ثانى سنة ١٢٤٣[٣] جاء فيه . قد بلغنا أنه يوجد كتاب مطبوع باللغة الإنجليزية يبين مبلغ مصروفات كل سفينة حكومية أنشأتها الدولة الإنجليزية وكذلك توجد كتب مطبوعة مؤلفة على طراز سهل يشتاق صغار الأطفال إلى قراءتها، فعلى ذلك قد اقتضت إرادتنا جلب هذا الكتاب المطبوع ليحصل الاطلاع على مقدار المبالغ المصروفة لإنشاء السفن ومشترى الكتب أيضا و إرسالها إلى طرفنا فيلزم شراؤها بمعرفتكم وترجمتها إلى اللغة التركية ثم إرسالها مع الأصول المطبوعة » .

التراجمة ومركزهم الأدبى :

وإلى جانب هؤلاء المترجمين احتاج الوالى إلى من يقوم بمهمة الترجمان نظراً لاتصاله المستمر بقناصل الدول وكبار الموظفين الأجانب والسياح القادمين إلى مصر .

---

(١) دفتر ١٤٥ رقم ٧٥ (٢) دفتر ٧٩ معية تركى رقم ٧٧٥

(٣) دفتر ٣١ معية تركى رقم ٢٤

وأول من اختاره الباشا لشغل هذا المنصب هو يوسف بوغوص الأرمنى الأصل وكان يتقن عدة لغات ، ولما غضب عليه الباشا حلّ محله الدكتور (جايتانى) Gaétani كبير الأطباء فترة وجيزة إذ استدعى الوالى بوغوص مرة ثانية وأعاده إلى منصبه الأول فظل يشغله طول حياته وخلفه أرتين بك .

ولما كان هؤلاء التراجمة Interprètes لايفارقون الوالى ، اكتسبوا نفوذا عظيما حتى أن بوغوص بك صار وزيراً للشئون الخارجية والتجارة . وكان محمد على يستشيره فى أهم مسائل الدولة ويطلق له الحرية التامة فى تصريف كثير من الأمور الداخلية ، أما عثمان نور الدين (باشا) الذى أحبه الوالى حباً أبويا وأرسله إلى أوربا ليتعلم اللغات والعلوم فقد خالط بعد عودته إلى مصر كثيراً من السياح الذين كان يصحبهم فى رحلاتهم ، فأعجبوا بذكائه النادر والمامه باللغات ولا سيما اللغة الفرنسية وسما بسرعة إلى أعلى المناصب حتى صار أميراً للبحر وقائداً للأسطول المصرى .

الترجمة فى خدمة البلاد

كان محمد على باشا حكيما فى تصرفاته . استدعى الأجانب فى بادىء الأمر فقام فريق منهم بأعمال الإدارة والقيادة على حين قام فريق آخر بتثقيف الشعب . وصرف لهم المرتبات الضخمة وسهر على سلامتهم ورفاهيتهم وأمر رعاياه باحترامهم والإذعان لنصائحهم . وكانت فكرته الأساسية استخدامهم « معلمين بالنيابة » يحل محلهم الوطنيون بالتدريج . وقد أدى وجود هؤلاء الأجانب واستخدامهم فى الحكومة المصرية إلى تنشيط حركة الترجمة والعناية بالمترجمين إذ شملتهم الحكومة بعطفها بالنظر إلى قلتهم كما أنها بذلت جهدها لتكوين طائفة منهم وانشاء قلم للترجمة كى ينتظم العمل ويزداد الإنتاج .

واجتازت حركة الترجمة فى عهد محمد على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى — من أول العهد الجديد إلى سنة ١٨٣٠ تقريبا

بدأت الترجمة تشغل اهتمام محمد على باشا عند ماقرر تزويد جيشه النظامى بالعناصر الأهلية المثقفة . فأنشأ المدارس الفنية وأدخل على التعليم تعديلات جوهرية تتمشى مع روح المدنية الأوربية . ثم أتى بجمهرة من الأساتذة الإفرنج وقلدهم وظائف مهمة فى الجيش والمدارس والمصالح . وكان من المستحيل بطبيعة الحال على هؤلاء الأجانب أن يقوم التفاهم مباشرة بينهم و بين الموظفين والتلامذة إذ كانوا يجهلون لغة البلاد كما كان الأهالى يجهلون لغة الإفرنج . لذلك اتخذت عدة إجراءات لتيسير العلاقات بين العنصرين والإسراع فى العمل والإنتاج ، منها :

١ — ترجمة الكتب المدرسية الإيطالية والفرنسية إلى اللغة العربية أو التركية :

استخدم محمد على لهذا الغرض بعض النازلين من السوريين والغربيين .

قلة الأيدي العاملة :

إلا أن الأيدى العاملة كانت نادرة وكان العمل غير منظم فقرر لمواجهة المشكلة الأولى ، وهى قلة الأيدى العاملة ، عدم نقل المؤلفات فى وقت واحد ، فكلف المترجمين التدرّج فى نقلها على حسب الحاجة[1]

إعادة طبع الكتب المترجمة في الآستانة :

ثم قرر أيضاً إحضار الكتب الفنية التى ترجمها علماء الآستانة إلى اللغة التركية وإعادة طبع عدد غير قليل منها بمطبعة بولاق كما يتضح ذلك من الكشف المفصل الذى أرسله الدكتور « بيرون » والمسيو « بيانكى » إلى المجلة الآسيوية بباريس ؛ وقد نشرته المجلة فى عدد شهرى يوليو وأغسطس سنة ١٨٤٣ وبه أسماء الكتب العربية والفارسية والتركية المطبوعة ببولاق ولم يكن هذا الإجراء إلا حلاً مؤقتاً لا يفى بحاجة المدارس .

(١) جورجى زيدان . تاريخ أدب اللغة العربية (الجزء الرابع)

تعدد لغات التدريس :

ومما زاد المشكلة عسراً عدم ثبات الحكومة على سياسة مستقرة بشأن التعليم . إذ لجأت إلى دول مختلفة لتحصل على الكتب المدرسية والمدرسين . فتعددت بذلك لغات التدريس وزادت مهمة المترجمين صعوبة ومشقة. «اتجهت أنظار الحكومة أولاً إلى إيطاليا فاستدعت منها الأساتذة والضباط واختارت من المؤلفات ما قام بترجمته أعضاء بعثاتها . ولم يعرف من أعضاء البعثة الأولى إلى إيطاليا فى سنة ١٨١٣ إلا نقولا مسابكى وقد تخصص فى فن السبك والطباعة »(١) . ولما أخذ النفوذ الإيطالى يضعف فى مصر واحتل الفرنسيون شيئاً فشيئاً مركز الإيطاليين الثقافى ، ألغى تدريس اللغة الإيطالية فى المدارس، وأبعد كثير من الضباط والمدرسين الإيطاليين. وعين الدكتور كلوت بك ناظراً لمدرسة الطب وصار معظم المدرسين فيها من الفرنسيين يلقون محاضراتهم باللغة الفرنسية ويوصون بترجمة الكتب الفرنسية . وكانت قد سافرت بعثة أخرى سنة ١٨١٨ إلى أوربا فاتجهت إلى فرنسة بدلا من إيطالية ولم يعرف من أعضائها سوى عثمان نور الدين الذى كلفته الحكومة عند عودته إلى مصر بأعمال الترجمة لقلة المترجمين وخصصت له قصر إسماعيل باشا وألحقت به بعض المترجمين فقدم إلى العلم خدمات جليلة وإلى الحكومة معونة نفيسة فى ترجمة المكاتبات الرسمية .

الحاجة إلى المترجمين :

وعلى الرغم من نشاط عثمان نور الدين وأمثاله كانت الحاجة شديدة إلى المترجمين لاتساع العمل فى المصالح والمدارس . وتحوى المحفوظات التاريخية بقصر عابدين جملة وثائق تثبت ذلك . منها الكتاب المرسل من الجناب العالى إلى حضرة الأفندى قبوكتخدا بتاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٦ نصه « قد مست الحاجة فى طرفنا لعدة مترجمين قادرين على ترجمة اللسان الفرنسى إلى اللغة التركية مقتدرين على

(١) أحمد عزت عبد الكريم . تاريخ التعليم فى عصر محمد على

تركيب الكلام التركى و إملائه على وجه الفصاحة حاذقين ومطلعين على الفنون . فيلزم أن تقدموا إثنين من المترجمين المتصفين بالأوصاف المذكورة وأن تعطوهما مصروفاتهما السفرية مع تنظيم لوازمهما فى الطريق »[١] وكذلك الأمر الصادر من الجناب العالى إلى محافظ رشيد فى ١٨ رجب سنة ١٢٥١ « بأن يكتفى بالكتبة الموجودين بمعيته لترجمة الخلاصات وأن الجناب العالى كان ينتظر منه تدريب أحد الكتاب الموجودين بمعيته على الترجمة وعدم إحراج مركز الحكومة فى طلب كاتب قدير على الترجمة فى الوقت الذى تشكو فيه من قلة وجود الكتاب »[٢] .

تكاثر العمل ومحاولة تخفيف وطأته على المترجمين :

ولما اشتدت الأزمة حاولت الحكومة تخفيف أعباء المترجمين ولا سيما فى العمل الإدارى . وعندنا وثيقتان فى المحفوظات التاريخية توضحان هذه النية . ففى تاريخ ٣ جمادى الثانية سنة ١٢٣٩ أرسلت المعية إلى البك الكتخدا كتاباً جاء فيه « ترد مكاتبات الخواجة بوغوص والخواجة أبرو محررة بالأفرنكية وتحال للترجمة على عثمان أفندى قبل عرضها علينا و بما أن أشغال عثمان أفندى كثيرة وأعمال الترجمة تعطله عنها فينبغى التحرير للخواجة بوغوص للتنبيه عليه باستعمال اللغة التركية فى مكاتباته وكذلك الحال مع الخواجة ابرو[٣] وفى تاريخ ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٣٩ أرسلت المعية إلى الكتخدا كتاباً فحواه « كان بين الأوراق المتبادلة بيننا و بينكم خطاب رومى العبارة للخواجة « طوسيجة » وكان الخطاب المذكور أعيد إلى طرفكم لأجل ترجمته وقد ظهر بين الأوراق الواردة فى هذه المرة خطاب رومى العبارة أيضا فطلبنا من يترجمه لنا و بعد الترجمة أرسلناه إليكم طى هذه المكاتبة . ولكن حيث لا ينبغى إرسال الخطابات الرومية من غير ترجمتها يستصوب أن تفتحوا المظاريف التى ترد فإذا ظهر بينها خطاب رومى يتعلق بالخواجة طوسيجة فترسلوا كاتباً إلى محل طوسيجة المذكور

(١) دفتر ٧ معية تركى رقم ٧٨
(٢) دفتر ٦٨ معية تركى رقم ٣١٢
(٣) دفتر ١٨ معية تركى رقم ١٦٢

وتأمروا له بترجمته وتحفظوا الأصل عندكم وترسلوا الترجمة إلينا» . وأضيف فى حاشية هذه المكاتبة (وليس مرادنا بالترجمة ترجمة الخطاب بعبارته بل بيان مفهومه لأجل السهوله)[١] .

صعوبة تنظيم العمل :

أما المشكلة الثانية وهى خاصة بعدم تنظيم العمل فكان من العسير حلها إلى أن عادت البعثة الأولى سنة ١٨٣١ . فكان عدد المترجمين قليلا وكفايتهم مشكوكا فيها ومراقبة أعمالهم غير منتجة . فهناك أمر من الجناب العالى بتاريخ ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٣٩ إلى الخواجة جوانى الحكيم باشى « بخصوص الكتب الطبية المطلوب ترجمتها من اللغة الايطالية إلى اللغة العربية ومطالبته بالشروع فى ترجمتها والانتهاء منها بسرعة وإخطاره بأنه إذا أهمل فى ذلك سيغضب عليه »[٢]. ولكن أوضح دليل على البطء والإهمال ما جاء فى الخطاب المرسل إلى محمود بك بتاريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ وهو : « إن الكتب التى ترجمها الخواجه سريوس وردت وعرضت على ولى النعم وعند ما عرضها على بعض المترجمين الذين هنا أفادوا بأنه كان يمكن ترجمتها فى ظرف ثمانية أشهر ونصف وقالوا أيضاً إن كتاب عثمان باشا ترجم فى ثمانية أشهر مع أن الخواجة المذكور أخذ مرتبات بمقدار مائة ألف قرش وكسور من شعبان سنة ١٢٤٣ إلى الآن ولذلك استغرب ولى النعم من حسن شهادة أعضاء المجلس الواقعة فى حق المذكور بالرغم من أنه أنتج عمل ستة أشهر فى ظرف خمس سنوات وصدر الأمر لافادة المجلس للزوم اجتهاد الخواجة المنوه عنه أكثر مما ظهر منه »[٣]

حقا إن الوالى لام هذا المترجم المهمل ، ولكنه لم يفكر قط فى معاقبته أو الاستغناء عنه ، بل أبقاه فى خدمته . وإذا كان موقف محمد على هذا يدل على حاجته إلى

(١) دفتر ١٨ معية تركى رقم ٦٣
(٢) دفتر ١٦ معية تركى رقم ٩٢
(٣) دفتر ٤٨ معية تركى رقم ٢٣

المترجمين فإنه يبين لنا أيضاً سر عجز الحكومة عن تنظيم عمل المترجمين . وقد لجأت أخيرا إلى منح الهبات المالية لكل موظف فى خدمتها يقوم بترجمة الكتب . فقد جاء فى الأمر الكريم الصادر إلى البك الكتخدا بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٢٣٦ : « . . .حيث أنه من الملحوظ أن أحمد افندى المهندس سيترجم بعض الكتب لأنه من أهل الفن فخذ الكتاب الذى يطلبه من « صقه زاده » وأعطه له وأن تبلغه بأنه سيصير إكرامه إكراماً آخر فى مقابل الترجمة وأن تعطيه مصاريف سفر أيضاً . وإنى للآن لم يتصل بعلمى أى خبر أو أثر عن هذا الأمر وحيث أنى أعلم أنك لاتجيز لنفسك التكاسل فى هذا الخصوص بمقتضى غيرتك فهل عدم ذهاب أحمد افندى المذكور لغاية الآن بسبب حصول مانع له أم أنه تحركت فيه عوامل الطمع ولم تستطع أن تطيب خاطره فى مسألة المرتب ، فمطلوبنا أن تعرفونا عن سبب ذلك أما إذا كان عدم ذهاب المذكور نشأ عن طمعك الوارد للخاطر بخصوص تنظيم ماهيته فإن النقود التى ستكتسب من ماهيته معناها ضياع وغياب الفوائد اللازمة التى ستكتسب من فنه ومعونته فبادروا إلى تنظيم ذلك على الوجه اللائق وأن تسعوا وتعتنوا بإتمام هذا الأمر حسب مقتضى نظامنا وأن تعرفونا بما يتم [(١)] .

وبالنظر إلى قلة التراجم التى قام بها المترجمون فى هذا العصر ظلت اسماؤهم مجهولة ولم نتمكن من تعرف أسمائهم جميعاً . هذا ولم يبرز منهم سوى عثمان نور الدين باشا والأب روفائيل ويوسف فرعون ويوسف عنحورى (والثلاثة الآخرون من أصل سورى) .

٢ ـــ الحاق مترجم أو مترجمين بكل مدرس أجنبى :

وهذا إجراء فرضته الضرورة . إذ كان المدرس الأجنبى يلقى محاضرته بلغة بلاده (الفرنسية أو الإيطالية) فكان فى حاجة إلى من يعرب أقواله أو يفسرها . فكان

---

(١) دفتر ٦ معية تركي رقم ٥٥١

المعلم يأتى إلى الصف ومعه المترجم فيشرح درس اليوم والمترجم يتلوه بالعربية على التلاميذ وهم يكتبونه فى دفاترهم . وإذا أشكل عليهم فهم شيء استوضحوه فيوضحه لهم المعلم بواسطة المترجم[1] وكان المترجم إذا انتهى من الحصة ذهب إلى غرفته وشرع فى ترجمة الكتب الافرنجية وكان يتفق لهؤلاء المترجمين أن يكتسبوا خبرة عظيمة فى المادة التى يتولون ترجمتها حتى أن بعضهم قام بتأليف الكتب العلمية أو بتدريس العلم الذى تخصص فى ترجمته فأغنوا الحكومة عن بذل الأموال ، وحافظوا على أوقات التلاميذ أن تضيع . فمثلا قام يوسف فرعون بترجمة عدة مؤلفات طبية حتى صار يؤلف فى هذا الفن ، إذ أصدر فى سنة ١٢٦٢ كتاب « غاية المرام فى الأدوية والأسقام » . أما الأب روفائيل فقد دخل مدرسة الطب مترجماً وبعد فترة كان يلقبه الدكتور كلوت بك فى تقاريره الرسمية بلقب دكتور .

٣ — تدريس اللغات الأجنبية (الايطالية والفرنسية) فى المدارس الأميرية :

أدخل تعليم اللغات فى المدارس التجهيزية ليهيأ التلامذة للاستفادة من دروس أساتذتهم الافرنج بدون عناء ؛ ولتعجيل الاستفادة من فن الطب أنشأ الدكتور كلوت بك مدرسة للغة الفرنسية يتعلم فيها التلامذة هذه اللغة وقت فراغهم . والظاهر أن تلك الإجراءات لم تؤت ثمرتها فاضطر محمد على باشا إلى إرسال بعض التلاميذ إلى البلاد الأوروبية لأنهم إذا تعلموا فى بيئة غير بيئتهم تعودوا الكلام بلغة الأفرنج وظفروا بتجويد اللغات الأجنبية .

مدرسة لغات :

ورد فى الوقائع المصرية رقم ٨٩ بتاريخ ٣ جمادى الثانية سنة ١٢٤٥ « الخواجة أويس السمعانى الرومانى من طائفة الإفرنج فتح مكتباً جديداً (مدرسة)

---

(١) زيدان — تاريخ أدب اللغة

فى وكالة جوانى فى حارة الموسكى يعلم به اللغة العربية والفرنساوية والايطالية ، ويذهب إلى بعض البيوت ليلا ونهاراً ليعلم تلك اللغات لمن يريد أن يتعلمها » . وعلق المستر (هيورث دن) (١) على ذلك قائلا : « يلوح أن أويس المذكور بالرغم مما ورد فى المصادر المطبوعة لم يكن أوربى الجنسية بل كان سورياً وعاش حقبة فى إيطاليا وفرنسا ثم جاء إلى مصر بقصد التكسب . وكان التعليم فى مدرسته مقصوراً على اللغات العربية والايطالية والفرنسية » . ولم تذكر الوثائق المصرية مقدار اهتمام الحكومة بهذه المدرسة وإلى أى درجة نجحت فى تخريج المترجمين وما هو عدد المتخرجين فيها وإلى أى سنة ظلت أبوابها مفتوحة .

وبالاجمال يمكننا أن نعد هذه المرحلة مقدمة لمرحلة أخرى ازدهرت فيها الترجمة ازدهاراً عظيماً من حيث الدقة والسرعة وكثرة الانتاج .

المرحلة الثانية — من سنة ١٨٣١ إلى سنة ١٨٣٥

استعان محمد على باشا بعدد من الأجانب لتنفيذ البرنامج الذى وضعه لإنهاض مصر . ولكنه لم يكن يستطيع أن يستمر على هذه الحالة فأرسل المصريين إلى أوربا ليتعلموا بغية أن يحلوا محل الأجانب حتى إذا عادوا جعلهم أعوانا ومساعدين للأجانب ، ثم قلدهم إدارة المصانع والمدارس والدواوين وطلب إليهم ترجمة الكتب النافعة . على أنه لم ينتظر عودتهم إلى مصر ليكلفهم أعمال الترجمة بل أمرهم بالشروع فيها وهم يتلقون العلم فى العاصمة الفرنسية . وإذا أمر الباشا بشىء ، أراد تنفيذه على الوجه الأكمل . ففى رسالة بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٢٤٥ (٢) إلى عبدى بك المنتدب لتحصيل العلم فى أوربا « . . . يذكره بما سبق أن أمره به من أن يرسل كتب

(١) J. Heyworth-Dunne, An Introduction to the History of Modern Egypt.-London, 1939 in 8

(٢) سجل رقم ٤٠ معية تركى رقم ٢٩١

الجغرافية الجارى ترجمتها بمعرفة أعضاء البعثة جزءاً فجزءاً فيلومه على الاكتفاء بذكر أن مختار افندى لا يزال يشتغل بالترجمة كما يلومه على أنه لم يقدم المعلومات الدالة على مبلغ تحصيلهم مؤكداً عليه المطالبة بتفصيل ما ترجموه من الكتب وما أفادوه من العلوم منذ حلولهم بباريس وموصياً بأن يكون البيان المقدم فى هذا الصدد معززاً بشهادات الأساتذة المدرسين و بأن يكتب اليه بعد ذلك آخر كل شهر تقريراً مبيناً للقدر الذى ترجموه وحصلوه فى أثناء ذلك الشهر . ويسائله فى حاشية الرسالة من هو الذى بدأ فى ترجمة الجغرافية وما القدر الذى ترجم منها حتى اليوم » . ولما دلته التقارير على أن تلامذة البعثة أهملوا أعمال الترجمة بعث اليهم بكتاب شديد اللهجة ورد فيه — « . . . ومع ذلك لاتستحيوا أن تتذرعوا بضيق الوقت فتعللون به قعودكم عن ترجمة الكتب التى أمرت بترجمتها »[1] . وتلاه كتاب آخر — ينبئهم فيه فى لهجة شديدة بأنه اطلع على شهادات أساتذتهم الخاصة بدراستهم فى شهرى أبريل ومايو فألفاها ناقصة من بعض وجوه ذكرها ووجدها لا رابطة لها ولا انسجام بينها ، واطلع أيضاً على الترجمة التى حصروا الاشتغال بها فى أربعة منهم مع أنهم أربعون فألفاها كتابة لا تستغرق يوما »[2] . وأثبت أمين سامى باشا أمراً أصدره والى مصر بتاريخ ٢٢ ربيع الأول سنة ١٢٤٩ « بالتنبيه على كلوت بك بإلزام الطلبة الذين أرسلوا إلى أوروبا لتلقى فنون الطب بها بترجمة الكتب التى يدرسونها أولا بأول إلى العربية وإرسالها[3] .

ويتضح من ذلك أن الوالى كان يرى أن أول واجب على أعضاء البعثة ترجمة كتب العلوم التى درسوها فى أوربا . لذلك كان أول عمل أسند اليهم إمدادهم

(١) سجل ٤٠ معية تركى رقم ٣٩٨ من الجناب العالى إلى الطلاب المنتدبين لتحصيل العلوم والفنون فى باريس فى ١٠ محرم سنة ١٢٤٦

(٢) من الجناب العالى إلى الأفندية المأمورين تحصيل العلوم والفنون بباريس بتاريخ ٢٨ جمادى الأول سنة ١٢٤٦ سجل رقم ٤٠ معية تركى رقم ٥١٨

(٣) تقويم النيل وعصر محمد على باشا

بالكتب والتنبيه عليهم بسرعة ترجمتها[١] . وإذا عاد أحدهم بعد إتمام دروسه عهد إليه توا بترجمة الكتب المدرسية ، ولنضرب لهذا مثلا وهو « أن المدعو يوسف افندى الذى كان قد ذهب إلى أوربا لتعلم صناعة الورق عاد بعد أن تعلم هذه الصناعة ولكنه لم يستطع أن يحضر معه الآلات والأدوات الخاصة بهذه الصناعة فإلى أن يؤتى بها يعهد إليه ترجمة الكتب وفى حالة عدم وجود هذه الكتب يلحق بالمترجمين لمعاونتهم حيث أنه يجيد الترجمة[٢] » .

ونلاحظ أن الحكومة كانت تعلق على أعمال الترجمة خطراً عظيما لكى تفوز بأكبر عدد من الكتب المترجمة فى أقل زمن ، حتى أصبحت الترجمة تشغل الموظفين عن سائر أعمالهم . ثم اتضح أن بعض المترجمين « لم يكن لهم من حذق اللغات الأجنبية والعربية والقدرة على التحرير والكتابة ما يمكنهم من ترجمة ما عهد إليهم ترجمة صحيحة »[٣] . والسبب فى ذلك واضح وهو أن أعضاء البعثة الأولى إلى باريس سنة ١٨٢٦ لم يتقنوا دراسة اللغة الفرنسية ، إلا الشيخ رفاعة رافع الذى مرن على أعمال الترجمة وتمهر فيها . أما الباقون فلم يرسلوا إلى أوربة للتخصص فى دراسة اللغات ، بل أرسلوا ليتعلموا الفنون والعلوم . حقا أنهم تلقوا دروسهم باللغة الفرنسية ولكن ذلك لا يعنى أنهم أصبحوا حذاقا فى الترجمة وهى فن كسائر الفنون التى يتعلمها الطلبة فى المعاهد يحتاج الى ممارسة ومرانة . ثم بعد سنة ١٨٣٦ قل النفوذ الأجنبى فى التعليم بالاستغناء عن كثير من الأساتذة الأجانب بالمدارس ، وقد يرجع هذا إلى شعور الحكومة بأن الأجانب فى مصر يثقلون بمرتباتهم الكبيرة الميزانية وخاصة بعد أن أصبح لديها من أهل البلاد الذين أتموا دروسهم فى مصر وأوربة من يمكنها الاطمئنان إلى

---

(١) دفتر ٦٧ معية ٧٦١ إلى ناظر الجهادية بتاريخ ١١ رجب سنة ١٢٥١

(٢) دفتر ٥٠ معية تركى رقم ٦٥ إلى حبيب افندى بتاريخ ٢٦ جمادى الأخرى سنة ١٢٤٨

(٣) إلى الخزينة دار فى ٧ شوال سنة ١٢٤٨ دفتر ٤٩ معية رقم ١٦٥

علمهم وكتابتهم فأحلتهم محل أساتذهم من الأجانب[١] . وكان لهذا القرار أثر محسوس فى نشاط حركة الترجمة فى البلاد . فمن جهة رأت الحكومة كفاية أعضاء البعثات فى تدريس العلوم لطلبة المدارس الخصوصية حتى انها استغنت عن عدد غير قليل من المدرسين الأجانب . ولكنها من جهة أخرى لم تفرض عليهم الشروع فى تأليف الكتب لتستغنى بها عن مؤلفات الإفرنج ، بل فرضت على كل عضو من البعثات ترجمة جميع الكتب التى درسها حتى ينتفع بها سائر الطلبة . فاتسعت أعمال الترجمة واضطرت الحكومة أن تغلق على هؤلاء المدرسين أبواب القلعة لا يبرحونها حتى ينتهوا مما كلفوا أداءه ، فاذا فرغوا من مهمتهم سلمت إلى المطبعة الأميرية لتصبح بعد قليل كتبا فى أيدى طلبة المدارس .

وكان عمل الترجمة هذا يتطلب وقتاً مديداً ، وجهداً جهيداً ، فلم تمض فترة وجيزة حتى تنبهت الحكومة إلى أن هذا العمل المضنى يستغرق من الأساتذة وقتاً طويلا فضلاً عن أنه يمنعهم من أداء مهمتهم الثقافية على وجه يستوجب الرضا والارتياح ، فدعت تلك الأسباب الحكومة إلى تدبير حلّ يتفق مع مصلحة العمل ويخفف عن أعضاء البعثات عبئاً يثقل عليهم بلا شك احتماله . فقررت الحكومة فى سنة ١٨٣٥ (١٢٥١) إنشاء مدرسة الألسن ليتخرج فيها المترجمون . وسنتكلم على هذه المدرسة ، مستمدين معلوماتنا من كتاب الأستاذ أحمد عزت عبد الكريم ، عن « التعليم فى مصر فى عصر محمد على » وهو بحث قيم يوضح لنا جميع النواحى المتعلقة بالتعليم ، واكتفينا بإضافة بعض وثائق عثرنا عليها فى المحفوظات التاريخية ، لم يرد ذكرها فى هذا الكتاب .

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على .

المرحلة الثالثة : إنشاء مدرسة الألسن

ورد فى الوثيقة المؤرخة ٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٥١ ، الصادرة من مجلس الملكية المصرية إلى ديوان الخديو ما يأتى : « جاء فى تقرير ناظر المجلس أنه بظل الحضرة الخديوية صار فتح المدارس وتدريس العلوم والفنون فآتت ثمرتها ، وإن جناب الخديو رأى أنه يقتضى فتح مدرسة للترجمة من اللسان الفرنساوى للسان العربى نظراً لأهمية ذلك ، وأنه قد وقع الاختيار على سلاملك سراى المرحوم الدفتردار بك ليكون مدرسة تستوعب خمسين طالباً ، تسمى مدرسة المترجمين ، وأن يعهد برياستها للشيخ رفاعة ، وأن ينتخب أولئك التلامذة مناصفة من القسمين : البحرى ، والقبلى ممن يقرأ ويكتب ، بشرط أن يكون صحيح البنية ، وسنه ما بين أربع عشرة سنة إلى ثمانى عشرة ، وأن يكون عارفاً بلسانه الأصلى ، وقد تقرر إرسال رفاعة ومعه حكيم لانتقاء التلامذة المطلوبين ، فقرر المجلس أن يكتب لديوان الخديو لكى يكتب للمديرين بمعاونة الشيخ رفاعة على مهمته هذه ، وأن يحاط مفتشا الوجهين ، القبلى والبحرى ، سليم باشا وعباس باشا ، علما بذلك » .

ويظهر أن الترجمة تحولت إلى مدرسة الألسن فى ١٦ ربيع آخر سنة ١٢٥١ بأمر عال وجدنا ذكره فى السجل رقم ٦٦ صفحة ٤٧ رقم ٢٢٥ وكانت الوقائع المصرية قد نوهت بهذا الأمر فى عددها المرقوم ٥٩٠ الصادر فى يوم الاحد ٧ من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٥١ . وهذا نص ما جاء فى الوقائع « انه قد رتب لتحصيل جميع العلوم والفنون تحت ظل ولى النعم مدراس متعددة وشوهدت ثمراتها على ما ينبغى ولا تزال تشاهد . وحيث خطر ببال حضرة جنابه السعيد ان يرتب مدرسة للمترجمين ليترجم فيها اللسان الفرنسى اللازم أشد اللزوم لتلاميذ المكاتب المصرية باللغة العربية ، طلبا لتحصيل الفوائد الكثيرة ، صدر أمره العالى خطاباً لحضرة مختار بك ناظر مجلس الشورة الملكية بترتيب المدرسة المذكورة على ما يلزم .

فسارع الناظر المشار اليه إلى تنفيذ مقتضى الإرادة السنية واستحسن بالتفكير فى ذلك مكاناً فى مقر المرحوم محمد بك الدفتردار الكائن بالأزبكية حيث وجده يسع نحو خمسين تلميذاً وجعله مدرسة للمترجمين واستنسب إحالة الرياسة فى هذه المدرسة إلى عهدة الشيخ رفاعة رافع الذى ذهب فيما تقدم إلى باريس وحصل الفنون وتعلمها على وفق المطلوب . ولما كانت المكاتب التى رتبت قبل الآن مشتملة على تلامذة كثيرة ، استصوب أن يؤخذ لهذه المدرسة الجديدة خمسة وعشرون تلميذاً من تلامذة المكاتب الكائنة فى الوجه البحرى ، وخمسة وعشرون تلميذاً من تلامذة المكاتب التى فى الوجه القبلى . وعرض هذا الأمر على أعتاب الخديوى الأكرم وحيث أن هذا الترتيب المذكور قد وافق مقتضى الإرادة السنية صدر الأمر السامى بإجراء ما يلزم إجراؤه من ذلك وأدخل السرور على الشيخ رفاعة برياسة هذه المدرسة الجديدة » .

هذا ما ورد فى الوقائع المصرية وكان الغرض من تأسيس مدرسة الألسن تخريج مترجمين لخدمة المصالح والمدارس الحكومية ، اتجهت فيه الحكومة منذ إنشائها إلى « أن تكون من خريجيها قلماً للترجمة يقوم على ترجمة الكتب اللازمة لمدارس الحكومة ومصالحها »(١) .

ولما وضعت قوانين التعليم ولوائحه فى سنة ١٨٣٦ أصبح الغرض منها تخريج المترجمين و إمداد المدارس الخصوصية الأخرى بتلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية حتى إذا تخرجوا فى هذه المدارس كانوا على معرفة باللغة التى يترجمون منها وبالعلم الذى يترجمون كتبه. ولعلنا نعد مدرسة الألسن مدرسة «خصوصية » إذا نظرنا إلى غرضها الأول من حيث أنها تستمد تلاميذها من المدارس التجهيزية وتعدهم لوظائف الحكومة ، وهى كذلك مدرسة « تجهيزية » إذا نظرنا إلى غرضها الثانى من حيث أنها تعد تلاميذها للمدارس الخصوصية . على أن مدرسة الألسن

(١) دفتر ٦٧ معية رقم ٧٦١

بعد تنظيمها فى سنة ١٨٣٦ لم تعن بالغرض الآخر وهو إعداد تلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية بل تمسكت بوظيفتها لوصفها مدرسة خصوصية ومضت فى تخريج المترجمين والمدرسين حتى إذا كانت سنة ١٨٤١ لاحظت اللجنة المكلفة تعديل نظم التعليم أن لوائح سنة ١٨٣٦ تجعل منها مدرسة تجهيزية تعد تلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية وتهيئهم للمدارس الخصوصية الأخرى على أن تكون هى نفسها أيضا مدرسة خصوصية إذ أنها تستمد تلاميذها من المدارس التجهيزية . ولاحظت أيضاً أن مدرسة الألسن لم تعن بإعداد تلامذة للمدارس الخصوصية ومضت — كمدرسة خصوصية — فى تخريج المترجمين . إلا أن هؤلاء المترجمين مهما تكن قدرتهم على ترجمة كتب التاريخ والقانون والجغرافية والعلوم الأخرى التى لا تحوى مصطلحات فنية كثيرة كانوا بلاشك عاجزين عن ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم والرياضيات . لهذا رأت اللجنة إعادة المدرسة التجهيزية (وكانت قد نقلت فى سنة ١٨٣٨ إلى أبى زعبل فى المكان الذى كانت تشغله مدرسة الطب التى نقلت إلى قصر العينى وظلت المدرسة هناك خمس سنوات . وفى سنة ١٨٤١ صدر أمر عال بالغائها) وإلحاقها بمدرسة الألسن على أن يدرس تلامذتها اللغة الفرنسية منذ التحاقهم بها حتى إذا التحقوا بإحدى المدارس الخصوصية كانوا متمكنين من ترجمة الفنون التى تخصصوا فيها .

مناهج الدراسة : كانت مدة الدراسة بمدرسة الألسن خمس سنوات قد تزاد إلى ست ، وإليك بياناً بالعلوم التى تدرس فيها[1] .

الفرقة الأولى —	دروس فرنسية	وعربية	وتركية	وهندسة	وجبر	
الفرقة الثانية —	»	»	»	»	»	»
الفرقة الثالثة —	»	»	»	»	وحساب	
الفرقة الرابعة —	»	»	»	»	»	
الضباط —	انجليزى وفرنساوى وعربى					

(١) سجل ٢٠٩٦ مدارس تركى بتاريخ ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٦٠

وكان طلبة الفرقة الأولى يترجمون كتباً فى التاريخ والأدب علاوة على المواد الدراسية التى تعطى لهم و يقوم بتصحيحها أساتذتهم ومدير مدرستهم الشيخ رفاعة بك رافع ، ثم نقدم إلى المطبعة فتنشر كتباً يقرؤها المدرسون والتلاميذ .

وقد درست اللغة الإنجليزية وقتا ما بمدرسة الألسن وقام بتدريسها مدرس إنجليزى ، ولكن اهتمام الدراسة كان مصروفاً إلى حسن القيام على تدريس اللغة الفرنسية . وكانت تعنى عناية كبيرة باللغة العربية .

مدير المدرسة ومدرسوها :

نصت لوائح المدرسة على أن مدرسى المدرسة هم مديرها ومراقبان للدراسة ، وأستاذان للغة العربية من الدرجة الأولى ، وأستاذ للغة التركية من الدرجة الأولى وثلاثه أساتذة لتدريس اللغة الفرنسية والرياضة والتاريخ والجغرافية . أما مديرها فهو العالم الجليل رفاعة بك رافع الطهطاوى وسنوفى الحديث عنه مع سائر مترجمى هذا العصر ، وحسبنا هنا أن نقول إنه كان يشرف على مراجعة الكتب التى يترجمها تلامذته و إصلاحها فوق قيامه بادارة المدرسة من الوجهتين الإدارية والفنية فكان مرهقاً بكثرة الأعمال فعين له الديوان مدرساً فرنسياً ليعاونه فى إدارة المدرسة ومراقبة الدروس وأمانة المكتبة .

تلاميذ المدرسة :

وكان عدد تلاميذها أول إنشائها خمسين تلميذاً انتقاهم رفاعة بك من مكاتب الأقاليم ، ثم زادوا إلى مائة وخمسين كما نصت اللوائح . وفى سنة ١٨٤١ قررت لجنة تنظيم المدارس أن يكون العدد ستين وظلت مدرسة الألسن محتفظة بنحو هذا العدد حتى نهاية عصر محمد على باشا

خريجو المدرسة :

ومما يذكر بالفخر لمدرسة الألسن أن نفراً من تلاميذها شغلوا بعد تخرجهم فيها مناصب التدريس بها . ففى سنة ١٨٣٩ تخرج أول فريق من تلاميذ المدرسة فعين بعضهم مدرسين للغة الفرنسية والبعض الآخر مدرسين للغة العربية . فحلوا محل أساتذتهم . ولما أنشئ « قلم الترجمة » فى أوائل سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) ألحق به جل خريجى المدرسة أو كلهم وكانوا لا يمنحون الرتبة حتى يترجم كل منهم كتاباً يحوز الرضا السامى . وكانوا يظلون حيناً بالمدرسة بعد تخرجهم « تحت الطالب بصفة مستودعين » حتى إذا احتاجت مدرسة أو مصلحة إلى أحدهم استدعته ومنحته الرتبة ومرتبتها .

قلم الترجمة :

لما شرعت الحكومة فى تنفيذ ما اعتزمته من ترجمة الكتب الأجنبية فى العلوم والفنون المختلفة ، عولت على أعضاء بعثاتها الأولى فجعلت منهم مترجمين ودفعت إليهم كتباً فى علوم وفنون قد لا تمت بصلة إلى الدراسة التى تلقوها فى أوروبا وكانت تستحثهم دائماً على الجد والاسراع فى الترجمة حتى بلغ من تعجل الحكومة أن خصصت لهم غرفة وجعلت مفتاحها بيد من لا يدعهم يبرحونها حتى يتموا ترجمة ماعهد إليهم ترجمته . وإذا أظهر أحدهم قصوراً وادعى مرضاً ألحق بزميل له قدير على الترجمة ليعاونه ويمرن على يديه أو نزع منه الكتاب إلى آخر »(١)

على أن محمد على باشا لم يقع منه موقع الارتياح أن يشغل هؤلاء المبعوثون عن وظائفهم وعن الأعمال التى اغتربوا عن بلادهم للتخصص فيها ، ولذلك رفض اقتراحاً قدم إليه بجمع أعضاء البعثات المشتغلين بالترجمة فى قلم واحد ، وفضل إنشاء مدرسة للادارة الملكية ، وأخرى للترجمة (وهى التى دعيت بعد ذلك بمدرسة الألسن) ،

---

(١) إلى حبيب أفندى بتاريخ ١٩ جمادى الثانى سنة ١٢٤٨ دفتر ٥٠ معية تركى رقم ٣٢

واتجهت النية بعد إنشائها إلى إنشاء قلم للترجمة من خريجيها ، ولـكن إنشاء هذا القلم تأخر إلى سنة ١٨٤٠ وألحق بمدرسة الألسن بإدارة مديرها رفاعة بك .

*
* *

وظلت أسماء المدرسين الأتراك والأوربيين فى مدرسة الألسن مجهولة ، أما الطلبة المتخرجون فيها ، فقد ذكر المستر هيورث دن فى كتابه عن التعليم فى مصر ، نقلا عن السيد صالح مجدى بك (وهو أحد تلاميـذ الشيخ رفاعة بك) أسماء الذين اشتهروا فيما بعد ، فكانوا أسطع دليل على كفاية الشيخ رفاعة وحسن قيامه على التعليم .

كشف ببعض أسماء الطلبة الذين انضموا إلى مدرسة الألسن ١٨٣٦ — ١٨٣٧

الاسم	الوظيفـــة
محمد مصطفى البياع	محرر الرسائل الأوربية
خليفة محمود	مترجم (وسيأتى ذكره في عصر اسماعيل)
أبو السعود أفندى	كاتب ومترجم ومؤسس جريدة وادى النيل (١٧٦٩) ومعلم تاريخ (وسيأتى ذكره فى عصر إسماعيل)
محمد عبد الرازق	مترجم
عبد الجليل	مترجم وصار سكرتيراً خاصاً لاسماعيل باشا
ابراهيم مرزوق	شاعر ومستخدم بالسودان
شحاته عيسى	أرسل إلى فرنسة فى بعثة سنة ١٨٤٤
حنفى هنو	» » » »
محمد الحلوانى	مترجم
عبد الرحمن أحمد	مترجم
حسن فهمى	مترجم بالسكة الحديدية
أحمد عبيد	أرسل إلى فرنسة للالتحاق بالمدرسة الحربية (سيأتى ذكره فى عصر إسماعيل)
رمضان عبد القادر	مترجم
حسن الجبيلى	مترجم
سعد مجدى	معلم ومترجم
محمد السمسار	مترجم بالسويس
محمد القوصى	مترجم بمصلحة جوازات السفر
حسنين على الديك	معلم ومترجم

الاسم	الوظيفـــة
عثمان الدوينى	كاتب وقاض
حسن الشاذلى	التحق بالمدرسة المصرية بباريس
أحمد عياد	مترجم
عطية رضوان	معلم ومترجم
محمد زهران	معـــلم

ومن الطلبة المنضمين إلى المدرسة فى سنة ١٨٣٧

الاسم	الوظيفـــة
عبد الله السيد	التحق بالمدرسة المصرية بباريس
مصطفى السراج	مترجم ومحرر الرسائل الأوربية
صالح مجدى	شاعر ومترجم ومحرر (وسيأتى ذكره فى عصر إسماعيل)
محمد رشيدى	مترجم ومحرر أفرنجى
محمد الطيب	مترجم ومدرس
محمد البحيرى	معـــلم
محمد سليمان	مترجم ومدرس . وهو أول من تخصص فى اللغة الانجليزيه واشتهر فى عصر إسماعيل
خرشيد فهمى	التحق بالمدرسه المصرية بباريس
على سلامه	معـــلم
حسين خاكى	سافر إلى الآستانة
عبد السلام شابي	مترجم تخصص فى الرسائل الأوربية
قاسم محمد	مترجم انجليزى وفرنسى فى السكك الحديدية
على شكرى	مترجم
محمد لاز	مترجم ومدرس
محمد صفوت	مترجم
مصطفى الكريدلى	كان يجيد اللغات اليونانية والعربية والفرنسية والتركية
	مترجم فى المعية
محمد زيور اللبيب	مترجم فى المعية
أحمد صافى الدين	مترجم فى السكك الحديدية . وقد اشتهر فى عصر إسماعيل
عثمان فوزى	اشتغل فى الأدارة
السيد عمارة	مترجم بوزارة الأشغال العمومية وسيأتى ذكره فى عصر اسماعيل
منصور عزمى	يجيد اللغتين الإيطالية والفرنسية . اشتغل بديوان المدارس
بحر أحمد	مترجم فى مصلحة الصحة العمومية
حسن قاسم	مترجم بالأسكندرية
قاسم أسعد	مترجم ومدرس

الاسم	الوظيفـــة
إسماعيل سرى	مترجم واشتهر فى فن الخط
حسن عيساوى	محاسب
مصطفى أبو زيد	مدرس ومترجم
مراد مختار	ناظر مدرسة . وكان يجيد اليونانية والفرنسية والتركية والعربية واشتهر بفن الخط
حسن وفائى	خطاط فى نظارة الأوقاف

ومن الذين انضموا إلى المدرسة بعد سنة ١٨٣٧ بقليل

الاسم	الوظيفـــة
محمد شيمى	محاسب ومترجم بالسكك الحديدية
محمد قدرى	مترجم وسيأتى ذكره فى عصر اسماعيل
محمد عثمان جلال	اشتغل بنظارة الجهادية وسيأتى ذكره فى عصر اسماعيل
عباس سامى عبد الرحيم	كاتب ومترجم قوانين
أحمد خير الله	مترجم بمحافظة الاسكندرية
أحمد محمود	مترجم
بحر عبد الله	باشكاتب بنظارة الخارجية
عبيد الله محفوظ	محرر الرسائل العربية بمديرية الجيزة
حسن يوسف	أمين مخزن
عمر صبرى	موظف بالسكة الحديدية
على رشاد	« « «
أحمد حلمى	مترجم بنظارة الخارجية
عبد الله يوسف	مترجم ومحاسب بنظارة الخارجية
إمام أفندى	مترجم بنظارة الخارجية
متولى محمود	مترجم بالجمارك

وتحدث ما شئت عن مبلغ اهتمام محمد على باشا بكل ما يتصل بالترجمة من حيث السرعة والدقة والعمل وحسن طبع المؤلفات المترجمة وحسن تجليدها إذا أهديت إلى المكتبات الكبرى فى أوربة . وقد وجدنا فى المحفوظات التاريخية جملة وثائق تؤيد هذا الاهتمام أوضح تأييد .

السرعة فى العمل :

صدر أمر كريم فى ١٥ ربيع الثانى سنة ١٢٥٠ بإحالة ترجمة قانون السفرية الجديد

إلى المدعو أسطفان افندى والتشديد عليه فى الشروع فى ترجمته بعد فراغه من ترجمة الـكتاب السابق إحالته اليه . وفى ٢٨ ذى الحجـة سنة ١٢٥٠ صدر أمر آخر فى شأن ترجمة الـكتاب الفرنسى الخاص بأنظمة وترقيات العساكر « و بناء عليه يشير بأنه لكون ترجمة هذا الكتاب من الأمور المهمة المستعجلة يلزم جمع التراجمة وإعطاء كل مترجم كراساً لتسهيل ترجمته فى أقرب وقت » . وكذلك طلب الجناب العالى إلى كانى بك « أخذ ثلاث نسخ من تعليمات الطوبجية التى وجدت على أن تؤخذ من أدهم بك وتترجم بسرعة على أنها لازمة جداً »(١) .

الدقة :

ورد فى الوقائع المصرية رقم ٣٤٨ بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٤٧ « بناء على التماس سريوس افندى المترجم طبع الـكتاب المشتمل على اصطلاحات اللغات الخمس السابق صدور أمر سعادة افندينا ولى النعم بطبعه بعد ترجمته ولصلاحه يشترط أن يقوم المترجم بمباشرة طبعه وأن يذهب بذاته لمراجعة تصحيحه بالمطبعة ويكون بمعيته رجل خبير باللغات » .

وفى المحفوظات التاريخية أمثلة كثيرة تؤيد رغبة الوالى فى توخى الدقة فى أعمال الترجمة . منها أمر عال إلى بوغوس افندى بتاريخ ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٥ فحواه « أن الجناب العالى اطلع على ترجمة الـكتاب الخاص بارتفاع قيمة العملة بعد رفع الحصارعن مضيق البحر الأسود وتوصية مقادير من الذهب لإحضارها إلى تركيا ولاحظ فى الـكتاب المذكور بعض الابهام بخصوص قيمة العملة وأصدر أمره الكريم بتوضيح هذه الابهامات وعرضها على أعتابه الـكريمة(٢) . وكذلك الأمر إلى الخزينة دار السرعسكر بتاريخ ٧ ذى القعدة سنة ١٢٤٨ « فيطلب اليه أن يرسل حسن افندى مترجم كتاب تاريخ إيطالية ومعه النسخة الأصلية فى أقرب فرصة إلى

(١) دفتر ٦٧ معية رقم ٢٥٧ بتاريخ ٢٩ رجب سنة ١٢٥١
(٢) دفتر ٣٢ معية تركى رقم ٦٤٧

الإسكندرية حيث أن عزيز افندى القائم بتصحيح الترجمة لايمكنه أن يصحح بعض أوراقه إلا بوجود المترجم والنسخة الأصلية»[١] . كذلك الرسالة المبعوثة من ديوان المدارس إلى مدرسة الألسن بتاريخ ٤ صفرسنة ١٢٥٩ ؛ وهذا نصها « إن قلم الترجمة بديوان المدارس ومترجمى مدرسة الألسن قاموا بترجمة سبعة وستين كتاباً فى مختلف المواد من اللغة الفرنسية إلى العربية والتركية خلال سنة واحدة فصدر أمر عال بعقد اجتماع للنظر فى أمر هذه الكتب المترجمة فعقد اجتماع حضره سليمان باشا رئيس أركان الحرب ومحمود بك وكانى بك وحكاكيان بك وغيرهم ، ولما أمعنوا النظر فى الكتب المذكورة قرروا طبع أربعة عشر كتاباً منها على حسب لزوم ونفع الموادالتى تتضمنها على ألا يقدم ناظر قلم الترجمة أى كتاب منها إلى الطبع ما لم يقابل ترجمته بالأصل مقابلة دقيقة ويصحح اصطلاحاتها وعباراتها كما يجب أن يتأكد جيداً من صحة الترجمة ولياقتها للطبع ، فإنه مطلوب منه صحة عبارات الكتب المترجمة وهومسئول عنها . وإذا لم يعلم فى قلم الترجمة بعض الاصطلاحات المستعملة فى العلوم والفنون والصنائع فلا يعمد إلى وضع اصطلاحات بالتخمين وإنما يراجع الجهة المختصة ويحقق من أهل المعرفة[٢] » .

ونلفت نظر القارئ إلى أننا — بين الأمثلة الكثيرة التى عثرنا عليها — اكتفينا بذكر ثلاث وثائق صدرت فى تواريخ مختلفة ، فالأولى فى سنة ١٢٤٥ ، والثانية فى سنة ١٢٤٨ ، والثالثة فى سنة ١٢٥٩ . وهذا دليل قاطع على أن اهتمام الوالى بشئون الترجمة لم يفتر بالرغم من مشاغله الكثيرة فى الأوقات العصيبة التى مرت به .

حسن الطبع والتجليد

وإذا نال شىء من هذه الترجمات الرضا السامى أمر بطبعه ولم يتردد — كما أسلفنا — فى إهداء نسخ منه إلى المكاتب الشهيرة بأوربة ليكون فى عرضها على الجمهور

---

(١) دفتر ٤٩ معية تركى رقم ١٩١

(٢) دفتر ٢٠٨٣ صادر ووارد وديوان المدارس

و إطلاع المستشرقين عليها ما يعلى من شأن مصر و يظهر تقدمها نحو النور والمدنية . وقد أرسل ديوان المدارس كتاباً إلى ناظر المطبعة بتاريخ ٦ ربيع أول سنة ١٢٥٥ ذكر فيه « تلقينا أمراً خديوياً بتاريخ ٣ ربيع الأول سنة ١٢٥٥ بانتخاب عشر نسخ جيدة من كل صنف من الكتب العسكرية والطبية المطبوعة فى مطبعة بولاق و إرسالها إلى حضرة بوغوص بك مدير الأمور الأفرنكية بالإسكندرية تمهيداً لإهدائها إلى دور الكتب فى أوربة و بتجليد الكتب المشار إليها تجليداً فاخراً بقدر الإمكان فإنه يجب أن تكون مذهبة التجليد ومزخرفة ...... » .

الترجمة فى خدمة الدعاية

ولايفوتنا فى هذا المقام أن نذكر أن الوالى لم يهمل فى كثير من الأحيان استغلال أعمال الترجمة والتحرير والطباعة لنشر الدعاية لصالح بلاده ، فقد عثرنا على أمر فحواه « إن الإفادات والتقارير التى أرسلها عطوفة الباشا والى جدة والمورة وسر عسكر الأسطول المصرى بخصوص الفتوحات التى حصلت فى متون Medon قد أرسلت اليكم ، فلدى إرسالها إحضروا أحمد افندى ناظر مدرسة الجهادية وترجموها الى اللغة الإيطالية وكلفوا الخواجة طونقارلى وضعها فى صورة جريدة واطبعوا منها مقدار ٣٠٠ نسخة فى مطبعة بولاق وارسلوها لنا لتوزيعها »[1].

الوقائع المصرية وأعمال الترجمة فيها

صدرت الوقائع المصرية سنة ١٨٢٨ باللغتين العربية والتركية فى أربع صفحات كل صفحة منقسمة إلى نهرين فى أحدهما الموضوعات باللغة التركية وفى الآخر ترجمتها باللغة العربية .

وكان سامى بك يحرر القسم التركى فى الجريدة ، ولم يعرف على وجه الضبط من

(١) محفوظات عابدين

كان يترجم هـذا القسم إلى العربية إلا أنه يبدو أن الخواجة نصرالله (نصرى) وكيل التحرير كان على رأس الذين يترجمون للوقائع فصولها . « وليس لهذا الرجل مأثرة أدبية غير ما نشرته الوقائع وهى ترجمة تركية الأسلوب ملتوية المعانى ، وأكبر الظن أن من ساعده على صياغة عربية صحيحة فى بعض الأحيان هوالسيد شهاب الدين محمد بن إسماعيل الذى عين فيما بعد مصححاً أول لمطبوعات مطبعة بولاق » .[(١)]

ولم يكن القسم العربى من الوقائع ترجمة حرفية للقسم التركى ، على أن العبارة العربية فيه كانت ركيكه مشحونة بالألفاظ والتراكيب التركية .

وكانت الوقائع تضم عدداً غير قليل من المترجمين ، وكان الخواجة نصر الله مختصاً بترجمة الحوادث والأخبار كما يتضح من الوثيقة رقم ٥١٠ بتاريخ ١٠ محرم سنة ١٢٤٩[(٢)] . أما أعوانه فكانوا يجيدون اللغة التركية واللغات الأجنبية المختلفة التى كانوا ينقلون عنها أخبار الدول المعروفة إذ ذاك .

وتوسعت أعمال الترجمة فى الوقائع حين تقرر تعديل النظام فيها سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) إذ جاء فى القرار « أن الغرض من طبع الوقائع إنما هو لنشر الأخبار الحديثة على الناس حتى يستفيد منها كل إنسان ولا يجب الاكتفاء بنشر أخبارمصر فحسب وقد أصبح من اللازم إضافة بند للحوادث الخارجية . . . . وحيث أن نشر مثل هـذه الأخبار يتوقف على قراءة الجرائد التى تنشر فى الخارج ويستوجب أن يكون الموظف المشرف على ترتيب الجريدة وتنظيمها ملماً باللغتين ؛ وعلى ذلك فقد تقرر إحالة أعمال ترجمة المواد المناسبة من الجرائد الأجنبية . . . . . على حضرة الشيخ رفاعة بك ناظر مدرسة الألسن لوجود مترجمين جاهزين فى هـذه المدرسة . . . . وحيث أن حضرة الشيخ رفاعة سيضع أصول الجريدة بحسب اللغة العربية فتحال أعمال إفراغ الترجمة فى قالب حسن بدون الإخلال بالأصل العربى وتنظيم المواد

---

(١) ابراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية

(٢) دفتر ٥٠ ديوان خديوى تركى من المعية إلى حبيب افندى

حسب النظام التركى على حضرة حسين افنــدى ناظر المطبعة . . . » [1]

LE MONITEUR EGYPTIEN

قال المسيو « جبرائيل جيار » فى كتابه (الإصلاحات فى مصر) Les Réformes en Egypte إن محمد على باشا أمر سنة ١٨٣٣ بإصدار نسخة فرنسية من الوقائع المصرية سماها Le Moniteur Egyptien (المونيتور أجبسيان) وكانت تشابه النشرة الفرنسية الرسميــة التى كانت تصدر فى الآستانة تحت عنوان « Le Moniteur Ottoman » ولــكن المسيو جيار لم يذكر تفاصيل أخرى ، وكذلك الــكتّاب الذين تحدثوا عن هذه النشرة لم يزيدوا شيئاً ويجب أن نستثنى من هؤلاء المستر « جون باورينج » الذى قال فى تقريره المشهور المرفوع إلى « بالمرستون » وزير خارجية انجلترا — « وكانت تطبع أسبوعياً فى مدينة الاسكندرية جريدة فرنسية يقال لها Moniteur Egyptien (مونيتور أجبسيان) من أغسطس سنة ١٨٣٣ إلى مارس سنة ١٨٣٤ حيث تعطلت عن الظهور وكانت تعينها الحــكومة ولم تكن عظيمة الانتشار » .

أما المسيو رينو Reinaud فقد نشر فى المجلة الأسيوية الفرنسية بحثاً مطولا اقتبس منه الأستاذ إبراهيم عبده بعض البيانات وأضاف إليها ما عثر عليه من الوثائق التاريخية .

والواقع أن محمد على باشا لم ينشىء هذه الجريدة ، إلا أنه كان مؤمناً بفائدتها فأمدها بعون مالى . وقد أخذت الجريدة تقتبس أخبارها المحلية كلها تقريباً من الوقائع المصرية . ولم نقف على من كانوا يترجمون الأخبار من اللغة العربية أو التركية إلى اللغة الفرنسة .

أعيان المترجمين — سيرتهم ومؤلفاتهم

الآن وقد فرغنا من الحديث عن حركة الترجمة فى هذا العصر وأثر محمد على باشا

(١) دفتر رقم ٢٠٧٣ صفحة ٨٢ و ٨٣ وثيقة رقم ٥٨٤ فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٥٧ (١٨٤١)

فى تنشيطها وماذا كان الغرض منها ننتقل إلى المترجمين فنوجز القول فى سيرتهم ومجهودهم ومؤلفاتهم .

(١) المستشرقون والمترجمون الأجانب غير الملتحقين بخدمة الحكومة

لم يكن لهؤلاء الأجانب أية صلة مباشرة بالحكومة ولكننا لا نستطيع أن نهمل سيرتهم لأنهم أقاموا فى مصر واهتموا بشئونها وكتبوا الكثير عنها .

وأول من جاء ذكره فى مؤلفات الرحالين الذين هبطوا مصر فى هذا العصر « باسيلى فخر » ، وقد ورث عن أبيه ثروة طائلة ، وكان يعيش بدمياط بقصره الفخم بين أسرته وخدمه ، يتعاطى التجارة ويشغل منصب قنصل لبعض الدول الأجنبية وكتب عنه الكونت « دى فوربان » Forbin قائلا : « يقال إن هذا الرجل يتكلم اللغة العربية الفصحى ويكتبها بسهولة كما أنه يجيد اللغة الإيطالية . وهو يباشر الآن (١٨١٩) ترجمة بعض المؤلفات المشهورة . وله مكتبة تحوى أجود الكتب التى طبعت حتى الآن[١] ، وزارت مصر بعد الكونت دى فوربان الكونتيسة دى مينوتولى وذكرت هى أيضاً اسم « فخر » واتصلت به ، وعزت إليه أنه ترجم إلى اللغة الإيطالية عدة مؤلفات للعرب[٢] . أما البروسيانى « برامسن » الذى جاء من بعدها فكان يميل إلى التهوين من شأن فخر هذا إذ أكد « أنه يترجم مؤلفاته إلى اللغة الإيطالية بمعاونة سكرتيره »[٣] وقد ادعى بعض الوافدين على مصر « أن هذا السكرتير هو الذى يترجم الكتب ثم ينسب ترجمتها إلى فخر » .

وقد حاولنا العثور على مؤلف من مؤلفات فخر فلم نهتد ، ولعله لم يطبع شيئاً .

---

(١) Comte de Forbin, Voyage au Levant. Paris, 1819. in-fol. et in-8.

(٢) Baronne Wolfaridine von Minutoli, Mes Souvenirs d'Egypte. Paris, 1826. 2 vol. in-8.

(٣) Bramsen, Journal d'un Voyageur Prussien. Paris, 1819. in-8.

أما نحن فنميل إلى الظن بأنه أراد أن يتظاهر بحبه للعلم فى زمن كان والى مصر، يشجع العلم بشتى الوسائل، فآوى بعض المترجمين فى قصره. ولم تذكر المؤلفات الحديثة اسم هذا الرجل، ولم ينته إلينا شيء من سيرته إلا فى روايات من زاروا مصر وقتئذ.

شيرفيل — Asselin de Cherville :

لم يرد اسم هذا المستشرق فى كتب تاريخ أدب اللغة، ولم يهتم أدباؤنا بدراسة حياته على ما بذل فى خدمة العربية من عظيم المجهود. هذا لأنه لم يكن يطمع فى الشهرة فلم يكن يكثر المخالطة لزملائه الفرنسيين، بل كان يعيش بمعزل عنهم، فأهمل معظم السياح فى مؤلفاتهم ذكر اسمه.

وقد زاره الكونت De Marcellus (دى مارسلوس) فى معزله وهو الذى عرفنا بهذا العلامة الناسك وروى لنا لقاءه إياه[1]. فقال «أدخلنى المسيو دى شيرفيل فى معمله» وهو مستودع المخطوطات الكثيرة التى اشتراها بمال جزيل، وأخذ يترجمها بعد التعلق عليها. ولما كانت دراساته العويصة قد ملكت عليه وقته، فقد اعتاد المعيشة فى عزلة وسكون، ورأيته مرتدياً الزى العثمانى ومكباً على الأوراق والوثائق التى عثر عليها، وقد زهد فى كل رياضة وفرض على نفسه مهمة شاقة هى البحث عن أصول الأمم بالموازنة بين لغاتها وتحليلاتها. وأنشأ المسيو دى شيرفيل مجمعاً للترجمة فى الجامع الأزهر، وكانت وظيفته الرسمية وكيلا لقنصل فرنسا، أما مؤلفاته فهى كثيرة نذكر منها — ترجمة التوراة باللغة الأثيوبية، وبحث فى المؤرخين العرب الذين أقاموا فى مصر، ومعجم مقارن للغات النوبة وسنار . . .، وتراجم لمؤلفات لقمان وبيدبا وسعدى وغيرهم. وأحسن عمل قام به هو بلا شك دليل المخطوطات المودعة مكاتب القاهرة، وقد تطلب منه هذا العمل مجهوداً عظيما بالنظر إلى حالة المكتبات وقتئذ».

(١) Comte de Marcellus, Voyage au Levant. Paris, 2 vol. in 12°

لين — EDWARD WILLIAM LANE [١]:

إن أعظم المستشرقين قاطبة أثناء القرن التاسع عشر فى انكلترا ، وربما أمكن أن يقال فى أوربا كلها هو : ادوارد وليم لين (١٨٠١ — ١٨٧٦) ، فقد أحس منذ حداثته بهوى فى نفسه للدراسات الشرقية ، ولا سيما المصرية ، فأبحر فى يوليو سنة ١٨٢٥ قاصداً الاسكندرية ، وكانت هذه أول زيارته لمصر ، وبقى فى مصر حتى خريف سنة ١٨٢٨ ، وقضى معظم وقته فى القاهرة « وكان يرتدى الزّىّ المصرى أثناء إقامته فيها حتى صدق البعض أنه عربى ، وقد قال أحد أصدقائه فيما كتب من ترجمة حياته أنه كان يشبه فى ملامح وجهه أبناء أسرة عربية بحتة من أهل مكة ، حتى أن أحد المصريين أصرّ على اعتقاده بأن هذا الانكليزى المعروف هو أحد أفراد هذه الأسرة ، بالرغم من أنه قد نبه إلى هذا الخطأ مراراً وتكراراً [٢] ، وكانت نيته معقودة على درس قدماء المصريين ، ولكنه وجد درس أخلافهم المحدثين أمتع وأطيب ، وقام بدراسة العربية دراسة واسعة ، فتملك ناصيتها كتابة وكلاماً ، وحين عودته إلى انكلترا ، كان قد درس شئون مصر دراسة وافية عميقة شملت السكان واللغة ، وجمع فى مخطوطاته وصفاً لما رآه فى الشرق ولكن ميله الشديد إلى الدقة العلمية التى تجلت فى كل مؤلفاته جعلته يصر على زيارة مصر ثانية قبل نشر كتابه ، فأقام فيها من سنة ١٨٣٣ إلى سنة ١٨٣٥ متفرغاً لدراسة الحياة فى القاهرة دراسة مباشرة ، وكان أصدقاؤه المصريون الكثيرون يلقبونه بمنصور افندى ، وعند ما عاد إلى إنكلترا بعد هذه الزيارة نشر كتابه فى « أخلاق المصريين المحدثين وعاداتهم » ، فزاع صيته .

ولم يمض وقت طويل على عودة « لين » الثانية إلى إنكلترا ، حتى تفرغ

---

(١) اقتبسنا معظم هذا المقال من كتب الدكتور « برنار لويس » — تاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم العربية

(٢) الدكتور سارجانت — انكليزى مشهور . مقالة نشرها بالمستمع العربى . السنة الثالثة العدد ٢٤

لإعداد ترجمة بالانكليزية لكتاب « ألف ليلة وليلة » ، ولم تكن ترجمته هذه هى الأولى ، إذ سبقتها تراجم طبعت ولاقت رواجاً واستحساناً بين القراء ، ولكن هذه التراجم خلت من الدقة الفنية فأخذ « لين » على عاتقه إخراج ترجمة تحتفظ بمعنى الأصل وفحواه . وفى أثناء ذلك فكر مدة من الزمن فى وضع معجم عظيم عربى — إنكليزى ، إذ أن المعجمات العربية التى ألفها قبلا كل من « جوليوس» و « فريتاج » وغيرهما — وإن كانت نافعة فى نوعها — لم تكن وافية المواد ، ولم تكن سليمة من النقص من نواح عدة .

وكانت فكرة « لين » تدور حول البحث بدقة فى المعجمات العربية والأدبية كتاج العروس وغيره ، حتى يبنى معجمه الخاص على أساس مكين فبعثته هذه الفكرة على السفر إلى مصر مرة ثالثة . فقدمها فى يوليو سنة ١٨٤٢ ، ومكث بها إلى سنة ١٨٤٤ . وكان يعمل فى يومه بين اثنى عشرة ساعة وأربع عشرة ساعة . وبعد أن جمع كل ما رآه ضرورياً من المواد والمعلومات من المعجمات العربية ، قفل إلى إنكلترا ، وأمضى السنين الخمس والعشرين التى تبقت من حياته لإكمال معجمه ، وهذا الكتاب الذى يدين له بالفضل كل من توفر على دراسة العربية وشئون بلاد العرب ما زال إلى الآن الحجة التى يرجع اليها طلبة العلم المتقدمون المتوفرون على دراسة اللغة العربية [1] .

وقد ذكر « لين » كثيرون ممن زاروا مصر فى عهد محمد على باشا ومن بينهم « باتون » و « جان جاك آمبير » وقد اطلعنا فى كتابيهما على تفصيلات وافية عن حياة هذا المستشرق العظيم .

كريمر — Baron de Kremer

جاء هذا المستشرق إلى مصر فى عهد محمد على باشا ، ولكنه اشتهر فى عصر إسماعيل ، وسنتكلم عنه فيما بعد .

(١) الدكتور سارجانت : انكليزى شهير

مونك — SALOMON MUNK :

مستشرق ألمانى . ولد فى سنة ١٨٠٥ . وتوفى فى باريس سنة ١٨٦٧ . وكان والده خادماً فى معبد إسرائيلى . وفى سنة ١٨٢٨ ذهب سليمان إلى باريس ، وتعلم ثلاث لغات شرقية ، وهى : العربية والهندوسية والفارسية . وكان أساتذته S. de Sacy (دى ساسى) و Chezy (سيذى) و Quatremère (كاتريمير) وعمل بعد ذلك فى دار الكتب (١٨٣٥) فى قسم المخطوطات ، وأخذ يدرس المخطوطات الشرقية ويرتبها عشر سنوات . وفى سنة ١٨٤٠ سافر مع المسيو Montefiore (مونتيفيور) والمسيو Crémieux (كريميو) إلى مصر ، وترجم إلى العربية الخطب التى ألقاها Crémieux (كريميو) فى سبيل إنشاء المدارس الإسرائيلية فى مصر ، فأسهم بعمله هذا فى إنشاء عدة مدارس تابعة لهذه الطائفة ، وألف كتاباً فى جغرافية فلسطين وآثارها وتاريخها ، وله مؤلفات جمة فى الفارسية والعربية والعبرانية ومقالات كثيرة نشرت فى المجلة الآسيوية . وقد كف بصره فى أواخر أيامه (١) .

مولر — MULLER :

يقال عنه أنه كان يجيد اللغة العربية ، وبالرغم من ذلك ظل اسمه مجهولا ، ولم يشتهر بالترجمة وصحب المسيو Pacho (باشو) فى رحلته إلى ليبيا ، ونشر فى ذيل كتابه (رحلة إلى المارماريك) Voyage en Marmarique معجم لسان سكان أوجيله Vocabulaire du Langage des habitants d'Audjelah

(٢) المستشرقون والمترجمون الأجانب فى خدمة الحكومة المصرية

الدكتور بيرون PERRON :

قال العلامة الشهير Renan (رينان) فى حفلة تأبين الدكتور بيرون : « فى يوم

(١) زيدان — تاريخ أدب اللغة

و Encyclopédie Française, دائرة المعارف الفرنسية

١١ يناير سنة ١٨٧٦ توفى رجل ترك أثراً قيما فى تاريخ علومنا الشرقية . هذا الرجل هو الدكتور بيرون وهو فى طليعة الذين تطوعوا للسفر إلى مصر لمساعدة محمد على باشا على تنفيذ برنامجه . ولم يقتصر الدكتور بيرون على دراسة الشرق بوصفه عالما بحاثة ولكنه كان يؤمن بالشرق و يأمل احياءه فبذل الجهد العظيم لتحقيق هذا الأمل » (١) .

« كان الدكتور بيرون ينتمى إلى طائفة « السان سيمونيان » وجاء معهم وظل فى مصر مع لينان ولامبير بعد انصراف رفقائه . وهو من أبرع أساتذة مدرسة الطب علم فيها الطبيعيات وتولى رياستها بعد كلوت بك وامتاز على سائر الأساتذة الأجانب باجادة اللغة العربية وأتقنها على يد محمد عمر التونسى وغيره من المصححين ، وكثيراً ما كانوا لذلك يستعينون به فى تحرير الترجمات الفرنسية الأصل لمعرفته اللغتين المنقول اليها والمنقول عنها . فأدى خدمات جليلة لمصر وللغة العربية . فهو الذى ترجم الاصطلاحات الطبية معانيا مشقة عظيمة فساعد بذلك على تعليم العلوم الطبية باللغة العربية (٢) وترجم أيضاً « الرحلة إلى الدارفور والوادى » من تأليف الشيخ عمر التونسى « والمختصر » لسيدى خليل بن اسحق فى ثلاثة أجزاء و « كتاب الصناعتين فى الفروسية » للناصرى وكتاب « سيف التيجان » وقد بحث الدكتور بيرون فوق ذلك فى آداب الجاهلية وأخلاقها وله كتاب فى نساء العرب قبل الإسلام و بعده وترجم بعض أشعار الجاهليين .

كونج بك — Koenig Bey :

جاء مصر فى سنة ١٨٢٢ ليواصل دروسه فى اللغة العربية و يتقنها فظل فيها . ودخل فى خدمة الحكومة واشتغل فى بادىء الأمر بالترجمة . ومدحه البرنس « بوكلر

(١) Y. Artin Pacha, Lettres du Dr. Perron à M. Jules Mohl à Paris, Le Caire.

(٢) Victor Schoelcher, L'Egypte en 1845. - Paris, 1846. in-8

موسكاو » النمساوى Pückler-Muskau [١] فوصفه رجلا له خبرة فى العمل. وتكلم عنه المسيو Cadalvène (كادالفين) [٢] قائلا « بينما يسود الارتباك بعض المصالح الحكومية يتعجب المرء إذ يرى فيها عملا ينتج ثمرات طيبة . وهذا العمل هو ترجمة الأوامر واللوائح الفرنسية ويقوم به المسيو كونج أحد المستشرقين الفرنسيين وينجزه على وجه يدعو الى الاعجاب فتطبع بعد ذلك وتوزع على الضباط » وقد لفت مجهوده نظر محمد على باشا فعينه رائداً لسعيد (باشا) . وله أبحاث خاصة بمصر والنوبة واللغة العربية نشر بعضها بالمجلة الآسيوية ، وكان عضواً فى جمعيات علمية عدة منها الجمعية الآسيوية ، وهو أحد مؤسسى المجمع العلمى المصرى فى عهد سعيد [٣] .

فيدال — Georges Vidal :

ترجم من اللغة الفرنسية « المنحة فى سياسة حفظ الصحة » للخواجه « برنار » معلم قسم حفظ الصحة بمدرسة الطب . وأصلح عباراته محمد الهوارى . طبع سنة ١٢٤٩

فيناتى — Giovanni Finati (محمد افندى) :

ولد فى إيطاليا وترعرع فيها واشترك فى حروب نابليون وفر من الجيش ثم جاء الى مصر وأسلم ليتزوج مصرية وتطوع فى الجيش واشترك فى الحرب ضد الوهابيين . وبعد عودته من الحجاز اعتزل الخدمة واشتغل ترجمانا للسياح ، يصحبهم فى رحلاتهم ، وهو الذى كان مرافقا للمستر Salt قنصل بريطانيا العظمى والمسيو لينان أثناء رحلاتهما فى مصر والسودان .

لوبير بك — Lubbert Bey :

اشتغل فى فرنسا مديرا لمعهد الموسيقى بباريس . وبعد سقوط نابليون بقليل رحل

(١) Prince Puckler-Muskau, Aus Mehemed Ali's Reich. Stuttgart, 3 Vol. in-8°

(٢) Cadalvène et Breuvery, Correspondance d'Orient. Paris, 1834. 7 Vol. in-8°

(٣) Bulletin de l'Institut Egyptien, 2 mai 1865.

الى مصر حيث اتصل بخدمة الباشا وصار عضوا بديوان المدارس . ولما زار Gisquet جيسكيه[١] مصر سنة ١٨٤٥ قال عن لو بير إنه مترجم فى الديوان العالى . وقال Pardieu[٢] الذى زار مصر فى أوائل عهد عباس باشا إن لو بير صار سكرتيرا لعباس . ولعله كان يشغل منصب المترجم الخاص .

ماشورو MACHEREAU (محمد أفندى) :

قدم مصر مع طائفة « السان سيمونيان » وعين مدرساً للرسم وتزوج مصرية وأسلم وتعلم من زوجه اللغة العربية فاستطاع بعد مدة أن يلقى محاضراته دون الاستعانة بمترجم .

يوسف أجوب :

ولد بمصر العتيقة من أب مصرى وأم سورية . وقد غادروا مصر مع الجيش الفرنسى فى ارتداده وتلقى هو علومه فى مرسيليا ثم عين مدرساً للغة العربية فى ليسيه لويس الأكبر . وفى أثناء عمله أخذ يترجم كتاب بيدبا الفيلسوف وفرغ منه ، إلا أن بعض الظروف عاقته عن طبعه ولما توفى عنيت الدولة الفرنسية بنشره وأنفقت على طبعه فى المطبعة الأميرية . وقد اشتغل أجوب سكرتيراً للعالم الفرنسى جومار رئيس البعثة المصرية الأولى . وتوفى ولم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره . وقد ترجم آثاراً كثيرة نجتزىء ببيان ما يأتى منها :

Abrégé de Conversation Arabe (موجز اللغة العربية) وتولى الياس بقطر تصحيحه وتنقيحه وأضاف إليه فصلاً فى فوائد اللغة العربية .

حيصر الحكيم — Le Sage Heycar :

Les Maouals (الموال) وقد تولى نشرها Du Pongerville (دى بونجرفيل)

(١) Gisquet, L'Egypte, les Turcs et les Arabes. Paris, 1844. 2 Vol. in-8*

(٢) Pardieu, Excurions en Orient. Paris, 1850. in-8*

Mélanges de Littérature Orientale et Française . (متنوعات من الأدب الشرقى والفرنسى) . وكانت الحكومة الفرنسية قد عرضت على أرملته أن تتحمل نصف ما ينفق على طبع كتب زوجها على أن تتحمل هى النصف الآخر . فلم تستطع أرملته قبول هذا العرض السخى لعجز حالتها المالية . (١)

ماري بك Mari Bey

المعروف باسم بكيرأغا . كان جندياً فى الجيش الفرنسى والتحق بعد ذلك بالجيش المصرى النظامى وكلفه محمد على تدريب جنوده فقام بهذا العمل على وجه استوجب رضا الوالى وارتياحه . وبالرغم من أنه لم يتلق فى شبابه ثقافة عالية كان هذا الجندى ماهراً نشيطاً ، تعلم بسهولة لغة البلاد وترجم إلى اللغة التركية « مدرسة الجندى » L'Ecole du Soldat (٢)

(٣) المترجمون المصريون والشرقيون

وقد ترجم بعض المصريين والشرقيين من تلقاء أنفسهم أو استجابة لرغبة الوالى بعض الكتب والتقارير على حين أنهم لم يمارسوا هذه الصناعة وهم :

محرم بك :

وزير البحرية . ولم يشتهر بأى عمل حربى ولكنه ترك لنا ترجمة أنظمة البحرية المصرية إلى اللغة التركية . (٣)

عثمان نور الدين باشا :

قد أشدنا بذكر هذا الرجل البارع وعمله فى الترجمة فنضيف إلى ما ذكرناه إنه لما

(١) Bulletin de l'Institut Egyptien, 8 avril 1864.

(٢) G. Guémard, les Réformes en Egypte. Le Caire, 1935 in-8.

(٣) G. Guémard, ouvr. cité

بعث إلى أوربا مكث فيها سبع سنوات زار فى أثنائها إيطاليا وفرنسا وانجلترا .» ولما عاد إلى مصر أخذ ينشر جريدة أسبوعية عربية وفرنسية [1] ثم عينه محمد على باشا فى وظائف شتى حتى صار من كبار قواد الجيش . فعهد إليه فى الإشراف على تدريب الجيوش البرية والبحرية وتنظيمها كما عهد إليه فى مراجعة الترجمات والمشروعات والأنظمة الخاصة بادخال الإصلاحات فى الجيش . ولم نعرف حتى الآن الأسباب الحقيقية التى دعته إلى الاستقالة من خدمة الحكومة المصرية وذهابه إلى الآستانة حيث عينه الباب العالى فى منصب رفيع ولم يشغلة مدة طويلة إذ أصيب بالطاعون وتوفى فى الخامسة والأربعين من عمره . ومن الكتب التى ترجمها ووقع عليها :

قانون نامه سفاين بحرية جهادية طبع سنة ١٢٤٢ (١٨٢٧)

سياسة نامه جهادية بحرية طبع سنة ١٢٤٢ (١٨٢٧)

أرتين بك :

من تلاميذ البعثة الأولى عاد من فرنسا بعد أن أتم دراسة الحقوق والإدارة الملكية وعين وكيلا لمدرسة المهندسخانة ببولاق ثم سكرتيراً أول وترجماناً لمحمد على باشا . وعين بعد ذلك وزيراً للخارجية .

إبراهيم أدهم بك (باشا) :

لم يتخذ الترجمة حرفة وقد قال الجنرال « الدوق دى راجوز » أنه من أصل تركى ولد فى أوربا والتحق بخدمة محمد على باشا وتولى إدارة المصانع الحكومية . وتعلم اللغة الفرنسية والرياضيات وفن الطوبجية دون أن يستعين بأستاذ . ولما توفى مختار بك خلفه فى رياسة ديوان المدارس . وهذا العالم الجليل يعد حقاً مفخرة لمصر ، وقد أطنب فى مدحه من عرفه من الأوربيين الذين هبطوا مصر . وكان يترجم إلى اللغة التركية بعض التقريرات الخاصة بالصناعات والفنون الحربية . ومن المؤلفات التى ترجمها :

---

(١) G. Guémard, ouvr. cité

— رسالة فى علم جر الأثقال ، ترجمت من الفرنسية إلى التركية طبع سنة ١٢٤٩
— رسالة فى الهندسة ، ترجمت من الفرنسية إلى التركية طبع سنة ١٢٥٢
— مقالات هندسية ، ترجمت من الفرنسية إلى التركية طبع سنة ١٢٥٢

أما المترجمون الذين مارسوا الترجمة حرفة ، وكانت لهم شغلا شاغلا فهم :

الشيخ رفاعة بك رافع الطهطاوى(١)

رفاعة بن بدوى بن على بن رافع الطهطاوى ولد فى طهطا سنة ١٨٠١ وتوفى فى القاهرة سنة ١٨٧٣ . وانتظم فى سلك الطلبة بالجامع الأزهر وقضى فيه ثمانى سنوات وجاهد فى المطالعة والدرس جهاداً حسناً فلم يمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الأعلام . وفى سنة ١٨٢٤ عين واعظاً و إماماً فى أحد الايات الجيش النظامى ولما جاء عهد البعثات العلمية كان من حسن توفيقه أن اختاره محمد على باشا ضمن أعضاء البعثة الأولى وعينه إماماً لهم للوعظ والصلاة . و يقول على باشا مبارك « إن محمد على طلب إلى الشيخ العطار (شيخ الجامع الأزهر) أن ينتخب من علماء الأزهر إماماً للبعثة الأولى يرى فيه الأهليـة واللياقة ، فاختار الشيخ رفاعة لتلك الوظيفة « فهو إذن لم يكن مرسلا ليكون طالباً ولم يكن مطلوباً من إمام البعثة أن يتعلم « علوم الفرنسيين » وأنظمتهم ، ولقد كان معه ثلاثة أئمة آخرون للبعثة فلم تتحرك نفس واحد منهم للاعتراف من مناهل العلم فى فرنسا ولم يتجاوزوا حدود الوظيفة التى شغلوها . »

أما الشيخ رفاعة فتاقت نفسه إلى علوم الغرب فعكف على درس اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه رغبة منه فى تحصيل العلم بها أونقله منها إلى العربية ويقول على باشا مبارك إنه اتخذ له بعد وصوله إلى باريس معلماً خاصاً على نفقته وكان العالم Jomard جومار عليه فضل التعهد بالإرشاد والتعليم والمحبة الخصوصية وقد ساعده مساعدات

(١) رجعنا فى هذه الترجمة إلى صالح مجدى بك (حيلة الزمن) وعبد الرحمن الرافعى بك (عصر محمد على) وجرجى زيدان (تاريخ مشاهير الشرق)

جمة فى هذه البلاد وكذلك حاله مع العالم دى ساسى . وفى مدة إقامته بباريس نبغ فى العلوم والمعارف الأجنبية وعلى الخصوص فى فن الترجمة . وقال زيدان «إن الشيخ رفاعة لم يتقن التلفظ باللغة الفرنسية ولكن تمكن من فهم معانيها فهماً جيداً» وكان الشيخ رفاعة وهو فى باريس ميالا إلى الترجمة والتأليف فكان ينتهز أوقات فراغه فيترجم ويؤلف .

ولما عاد إلى مصر أراد محمد على باشا أن يستغل مواهبه واجتهاده فأرسل بتاريخ ١١ ذى الحجة سنة ١٢٤٦ إلى محمود بك ناظر الجهادية الرسالة الآتية — « حضرة صاحب السعادة أخى محمود بك ناظر الجهادية كنت حادثت كبير أطبائنا جوانى فى أن يبحث المجلس هل من المناسب إرسال الشيخ رفاعة القادم قبلا من باريس إلى مدرسة الطب الكائنة فى أبى زعبل ليعلم تلامذتها اللغة الفرنسية أو ليس من المناسب ذلك ويتخذ قراراً فيه . . . وتخطر الآن على قلبى الفكرة الآتية — إنه وإن كان لا بد من قيام رفاعة هذا بترجمة الكتب ولكنه إذا عين فى مدرسة أبى زعبل وقام بتعليم اللغة الفرنسية يخرج كل سنة خمسة وعشرين أو ثلاثين مترجماً ، لذلك أطلب اليكم أن ترسلوا الشيخ المشار إليه إلى مدرسة الطب الكائنة بأبى زعبل بمرتب مناسب »(١)

وقد تولى رفاعة بك فعلا بعد عودته إلى مصر رياسة الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية فى مدرسة الطب وكان متولياً رياسة الترجمة قبله يوحنا عنحورى وفى سنة ١٨٣٣ انتقل من مدرسة الطب إلى مدرسة المدفعية بطره وعهد إليه فى ترجمة العلوم الهندسية والفنون الحربية . ولما أنشئت مدرسة الألسن أسندت إليه نظارتها وكان رفاعة بك يتولى التدريس فيها بنفسه يعاونه طائفة من خيرة المصريين والأجانب ، ولم يزل رفاعة بك ناظراً لهذه المدرسة مع نظارة قلم الترجمة إلى أن أغلقت المدرسة فى عهد عباس باشا ، ولم يكتف هذا الوالى بإغلاقها بل أمر بإرسال مديرها إلى السودان بحجة توليته نظارة مدرسة الخرطوم الإبتدائية . وقد يكون السر الخفى لهذا

---

(١) محفظة رقم ١ محفوظات ديوان التجارة وترجمة الوثيقة التركية رقم ٤

النفى أنه قد وشى برفاعة بك عند عباس باشا . ولم نتبين حقيقة هذه الوشاية من أقوال من ترجموا له أما رفاعة بك نفسه فلم يذكر شيئاً فى هذا الأمر ، ويلوح أن لكتابه « تخصيص الابريز فى تلخيص باريز » أثراً فى نفيه إذ لا يخفى أنه طبع مرة ثانية سنة ١٢٦٥ أى فى أوائل عهد عباس باشا والكتاب يحوى آراء ومبادىء لا يرضى عنها الحاكم المستبد فربما كان الوشاة قد لفتوا نظر عباس باشا إلى ما فى الكتاب مما لا يروقه .

ولما تولى سعيد باشا الحكم عاد رفاعة بك من السودان وأسندت إليه المناصب المختلفة فجعل ناظراً للقلم الافرنجى بمحافظة مصر تحت رياسة أدهم باشا ثم أسند إليه سنة ١٨٥٥ وكالة المدرسة الحربية بالحوض المرصود تحت نظارة سليمان باشا ، وبعد قليل تولى نظارة المدرسة الحربية بالقلعة . وفى سنة ١٨٦٠ ألغيت هذه المدرسة كما ألغى قلم الترجمة فبقى رفاعة بك بغير منصب الى عهد اسماعيل باشا فأعيد قلم الترجمة بوزارة المعارف العمومية . وعهد إليه فى رياسته سنة ١٨٦٣ وعين عضواً فى قومسيون المدارس .

وترجم رفاعة بك فى عهد محمد على باشا مؤلفات كثيرة عدا ما صححه من أعمال سائر المترجمين ومن مترجماته[١] .

— نبذة فى تاريخ الاسكندر الأكبر

— تقويم سنة ١٢٤٤ تأليف المسيو جومار

— كتاب دائرة العلوم فى أخلاق الأمم وعوائدها

— تعريب كتاب المعلم فرارد فى المعادن النافق لتدبير المعايش . استخرجه من الفرنسية إلى العربية طبع سنة ١٢٤٨

— مقدمة جغرافية طبيعية .

(١) ملحوظة — لم تحتفظ مطبعة بولاق بنسخ من الكتب التى تولت طبعها ولم تحتفظ بجدول يشمل أسماء هذه الكتب فتعذر علينا ذكر كل ما ترجم فى هذا العصر حتى استنجدنا ببيان نشرته المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٤ للمسيو يانكى ولو أنه غير مستوف وفيه بعض الأغلاط فقابلناه بفهارس دار الكتب لتصحيح ما أمكن تصحيحه .

— قطعة من كتاب العلامة ملطبرون فى الجغرافية (وهو الجزء الأول من الكتاب ترجمه وهو فى باريس)

— قطعة من عمليات الضباط

— نبذة فى علم الهيئة

— أصول الحقوق الطبيعية التى يعتبرها الأفرنج أصلا لأحكامهم

— نبذه فى الميثولوجيا

— نبذة فى علم سياسة الصحة

— الجغرافية العمومية تأليف المسيو فيكتور أدولف ملطبرون الجغرافى الفرنسى . ترجم منه أربعة مجلدات كبيرة (ويظهر من مطالعتها أنه ترجمها على عجل والواقع يؤيد ذلك لأننا علمنا أنه ترجم مجلدا منها فى ستين يوماً) .

— كتاب قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر[١] . ترجمه فى سنة ١٢٤٥ وهو فى باريس طبع سنة ١٢٤٩

— جغرافية صغيرة ترجمها من اللغة الفرنسية . طبع سنة ١٢٥٠

— الجغرافية العمومية ترجمها من الفرنسية وشاركه فى حسن السبك والنظم الشيخ محمد هدهد الطنتدائى .

— تاريخ قدماء الفلاسفة طبع سنة ١٢٥٢

— التعريبات الشافية لمريد الجغرافية . انتخب فيها خلاصة الكتب الجغرافية الفرنساوية المطولة . وهو مجلد ضخم ترجمه من الفرنسية إلى العربية لتدريس الجغرافية فى المدارس المصرية . وأضاف إليه أيضاً إيضاحات واسعة . طبع سنة ١٢٥٤

— جغرافية عمومى فى كيفية الأرض طبع سنة ١٢٥٤

(١) المجلة الآسيوية — قلايد المفاخر فى أخلاق بلاد أوربا . أضاف المسيو بيانكى الملحوظة الآتية : أعتقد أنه كتاب المسيو ديبنج : « أخلاق وعادات الأمم »

— المنطق تأليف De Dumarsais (دى دومارسى) طبع سنة ١٢٥٤

— تاريخ المصريين القدماء طبع سنة ١٢٥٤

— أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل من تأليفه . . جمعه من التواريخ القديمة والجديدة عربية كانت أو غير عربية فيما يخص أزمان مصر مما يتعلق بالمدنية والعسكرية من الوقائع طبع سنة ١٢٥٨

— كتاب اتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى بلاد أوربا . ترجمه عن كتب أوربية طبع سنه ١٢٥٨

— مبادئ الهندسة « ترجمة كتاب ساسير » طبع سنة ١٢٥٩ وأعيد طبعه سنة ١٢٧٠ وسنة ١٢٩١

— مواقع الأفلاك فى وقائع تلماك . تأليف الكاتب فينولون رئيس أساقفة كمبراى . نقلها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية مع بعض التصرف وهو فى الخرطوم . وأعيد طبعه فى بيروت .

— ترجمة مونتيسكيو . وقال عبد الرحمن الرافعى فى هذا الصدد — « قرأت للأستاذ الشيخ عبد الكريم سليمان رسالة يقول فيها إنه سمع من ابن رفاعة بك أن أباه ترجم هذا الكتاب ورأيت فى قصيدة لرفاعة بك فى (مناهج الألباب المصرية) ما يؤيد ذلك إذ يقول عن نفسه .

على عدد التواتر معرباتى تفى بفنون سلم أو جهاد
وملطبرون يشهد وهو عدل ومونتسكو يقر بلا تمادى

وهذا كله غير ما ترجمه فى عصر اسماعيل باشا وسيأتى ذكره فيما بعد .

يوسف فرعون

لم نعرف من أخباره غير ما وقفنا عليه من آثاره . فإنه من أقدم المشتغلين بنقل الكتب الطبية من الفرنسية إلى العربية . وكان كثيراً ما يشترك مع الدكتور بيرون

فى النقل والضبط . وتوفى فى أواسط القرن التاسع عشر . وله مترجمات كثيرة منها .

— التوضيح لألفاظ التشريح البيطرى . ترجمه من الفرنسية . طبع سنة ١٢٤٩

— رسالة فى علم البيطارية . طبع سنة ١٢٤٩

— تشريح بيطرى للمؤلف جيرار . طبع سنة ١٢٤٩

— رسالة فى علم الطب البيطرى . طبع سنة ١٢٥٠

— التحفة الفاخرة فى هيئة الأعضاء الظاهرة (طب بيطرى) . ترجمها من الفرنسية طبع سنة ١٢٥٠ وأعيد طبعه سنة ١٢٥١

— عقد الجمان فى أدوية الحيوان . ترجمه من اللغة الفرنسية وصححه وهذبه وأطلق عليه هذا الاسم مصطفى حسن كساب . طبع سنة ١٢٥٠

— الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار . ألفه أحد المستشرقين الافرنج فى زمن محمد على باشا ونقله إلى اللغة العربية يوسف فرعون . صحح بمعرفة رفاعه بك طبع سنة ١٢٥١

— المادة الطبية البيطارية . طبع سنة ١٢٥٥

— نزهة الأنام فى التشريح العام (طب بيطرى) . وهو مختصر . طبع سنة ١٢٥٥

— الأمراض التامة البيطرية . طبع سنة ١٢٥٥

— تحفة الرياض فى كليات الأمراض (طب بيطرى) . طبع سنة ١٢٥٥

— فى علم الفيسيولوجيا (طب بيطرى) . طبع سنة ١٢٥٦

— منتهى البراح فى علم الجراح . طبع سنة ١٢٥٦

— الأمراض الظاهرة فى الطب البيطرى . طبع سنة ١٢٥٦

— نزهة الرياض فى علم الأمراض . طبع سنة ١٢٥٨

— أجل الأسباب فى أجل الاكتساب . وهو الثلث الثانى مما اختصره طايو الافرنجستانى فى الكتاب المطول فى الفلاحة فى سنة ١٢٥٩ . نقله من اللغة الفرنسية

فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا وصحح تراكيبه العربية المرحوم الشيخ نصر الهورينى (نسخة مخطوطة سنة ١٢٥٩) .

يوحنا عنحورى

لم نقف على ترجمته ولكنا عرفناه من آثاره وما نقله من الكتب فى هذه النهضة . وهو من أقدم المترجمين ولم يكن محسناً للفرنسية إحسانه الإيطالية . فاذا كان الكتاب مؤلفاً باللغة الفرنسية ترجموه له إلى الإيطالية أولاثم ينقله هو إلى العربية . وقد ينقلون له بالاملاء وهو يدونه ثم يترجمه ، ومن أهم أعماله :

— القول الصريح فى علم التشريح . طبع سنة ١٢٤٨

— بتولوجيا يعنى رسالة فى الطب البشرى . طبع سنة ١٢٥٠

— منتهى الأغراض فى علم شفاء الأمراض . ترجمه من اللغة الإيطالية وصححه محمد الهراوى . طبع سنة ١٢٥٠

— رسالة فى علم الجرحة البشرية . طبع سنة ١٢٥٠ (وترجم من اللغة الفرنسية)

— رسالة فى علم الطب البيطرى . طبع سنة ١٢٥٠

— بلغ البراح فى علم الجراح تأليف الدكتور كلوت بك . صححة محمد الهوارى . طبع سنة ١٢٥١

— الطبيعة على أشكال . طبع سنة ١٢٥٤ .

— الأزهار البديعة فى عالم الطبيعة . تأليف المسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب زمن المرحوم محمد على باشا . ترجمها من الفرنسية يوحنا عنحورى المدعو بحنين مترجم مدرسة الطب مع مساعدة المؤلف « جزءان »

الجزء الأول — العلوم الطبيعية.

الجزء الثانى — فى الكائنات الجوية . طبع سنة ١٢٥٤ وأعيد طبعه سنة ١٢٦٩

— علم النباتات . طبع سنة ١٢٥٧

محمد عصمت :

وهو من نقلة العلم الرياضى إلى العربية . ولـكنه امتاز بمعرفة اللغة التركية . وكان يترجم منها إلى العربية . وقد فعل ذلك بترجمة الأصول الهندسية الذى طبع ببولاق سنة ١٢٥٥ بأمر أدهم باشا مدير عموم المهمات . وذلك أن الـكتاب نقل أولا من الفرنسية إلى التركية . وتوفى فى أواسط القرن . ومن مترجماته :

— المقالة الأولية فى الهندسة . طبع سنة ١٢٥٢

— الأصول الهندسية من تأليف لوجندر . طبع سنة ١٢٥٥ وأعيد طبعه سنة ١٢٨٢ .

— مبادئ الهندسة من تأليف رفاعة بك طبع سنة ١٢٥٩

— قانون نامه فى بيان ترتيب وتنظيم مدرسة المبتديان . ترجم من التركية إلى العربية .

محمد بيومى :

هو من تلامذة البعثة العلمية الأولى . ولما عاد من فرنسا عين مدرساً بمدرسة المهندسخانة ببولاق . وكان أستاذاً ومرجعاً لـكثير من نوابغ المهندسين المصريين . وصار كبير الأساتذة بمدرسة المهندسخانة فى عهد نظارة لامبير بك . ثم انتقل من التدريس إلى قلم الترجمة بديوان المدارس واشترك مع رفاعة بك رافع فى العمل واشتغل بترجمة الـكتب فى الفن الذى أتقنه . وعين فى عهد عباس باشا مدرساً للحساب بالمدرسة الابتدائية بالخرطوم وتوفى بها فى منفاه سنة ١٢٦٨ (١٨٥١) وهاك بعض ما ترجمه :

— ثمرة الاكتساب فى علم الحساب . ترجمه من الفرنسية . طبع سنة ١٢٥٦

— كتاب الجبر والمقابلة . طبع سنة ١٢٥٦

— ثمرة الاكتساب فى علم الحساب . جزءان فى مجلد واحد . طبع سنة ١٢٦٣

— الهندسة الوصفية (مجلدان) . طبع سنة ١٢٦٣

— جامع الثمرات فى حساب المثلثات . ترجم بأمر مدير المدارس . وهو يشمل على حساب المثلثات المستقيمة والكروية . طبع سنة ١٢٦٤

— مثلثات مستوية وكروية . ترجمه بالاشتراك مع أحمد طاويل

— ميكانقية أى علم جر الأثقال ترجمه بالاشتراك مع أحمد طاويل .

محمد عبد الفتاح

هو من خريجى البعثة الثالثة . عرفنا هذا الرجل بما نقله من المؤلفات الهامة إلى اللغة العربية فى أيام محمد على باشا . ولم نطلع على ترجمة لحياته وتوفى فى أواسط القرن التاسع عشر وله من المترجمات

— نزهة المحافل فى معرفة المفاصل من تأليف المعلم ريجو . طبع سنة ١٢٥٧

— البهجة السنية فى أعمار الحيوانات الأهلية . طبع سنة ١٢٦٠

— مشكلة اللائذين فى علم الأقرباذين طبع سنة ١٢٦٠

— المنحة لطالب قانون الصحة طبع سنة ١٢٦٢

محمد هيبة

من خريجى البعثة الأولى ومن كبار الأطباء . وقد اشتغل بنقل الكتب إلى العربية والتدريس بأبى زعبل وتوفى فى أواسط القرن التاسع عشر . وله من المترجمات .

— كتاب طالع السعادة فى فن الولادة . صححه احمد حسن الرشيدى

— فيزيولوجيا طبع سنة ١٢٥١

— اسعاف المرضى فى علم منافع الأعضاء . طبع سنة ١٢٥٢

أوغوست سكاكينى

يقول زيدان إنه من مترجمى مدرسة الطب . ويذكر من مترجماته كتاب اسمه « العجالة الطبية فيما لابد منه لحكماء الجهادية » من تأليف الدكتور كلوت بك . وله

كتيب صار اليوم نادراً وقد أصدره سنة ١٨٣٧ باللغة الفرنسية عن المسألة الشرقية وذكر فيه لقبه وهو « مترجم الديوان العالى » .

ابراهيم النبراوى (بك) :

أرسله أهله إلى القاهرة ليبيع بطيخاً فخسرت تجارته فخاف الرجوع إلى أهله فدخل الأزهر . واتفق احتياج محمد على باشا إلى شبان يعلمهم الطب . فتقدم النبراوى ودخل مدرسة أبى زعبل. ومن ثم أرسل إلى باريس مع البعثة الأولى . فتزوج فرنسية وترجم وهو بفرنسا مؤلفات كلوت بك . وتولى بعد ذلك تعليم الجراحة الكبرى فى زمن كلوت بك . واختاره محمد على باشا طبيباً خاصاً له ورقاه إلى رتبة أميرالاى وانتخبه أيضاً عباس باشا طبيباً له . ومن مترجماته .

— مختصر يشتمل على نبذة فى الفلسفة الطبيعية ونبذة فى التشريح العام ونبذة فى التشريح المرضى طبع سنة ١٢٥٣

— نبذة فى أصول الفلسفة الطبيعية تشتمل على ستة مباحث تأليف الدكتور كلوت بك طبع سنة ١٢٥٣

— الأربطة الجراحية . طبع سنة ١٢٥٤

احمد حسن الرشيدى :

كان من نوابغ خريجى مدرسة الطب المصرية والبعثات ومن أركان النهضة الطبية العلمية بمؤلفاته ومترجماته ، وهو أكثر علماء الطب ترجمة وتأليفاً .

نشأ فى الأزهر ونقل منه إلى مدرسة الطب وأتم علومه فى فرنسا بين أعضاء البعثة الرابعة . ولما عاد إلى مصر عين معلماً للطبيعة وتمتاز مؤلفاته بالدقة إذ قلما كانت تفتقر إلى تصحيح وتحرير . ولما انتقلت الإمارة إلى عباس وسعيد وفترت الحركة العلمية لم يظهر فيها للرشيدى كتاب واحد . ويبلغ عدد مؤلفاته تسعة ، أما مترجماته فهى .

— الدراسة الأولية فى الجغرافية الطبيعية تأليف فليكس لاميروس . طبع سنة ١٢٥٤

— ضياء النيرين فى مداواة العينين . ترجمه من كتاب الطبيب الجراح لورنس الانجليزى وزاد عليه مستحضرات . طبع سنة ١٢٥٦

— طالع السعادة والإقبال فى علم الولادة وأمراض النساء والأطفال . (جزءان) طبع سنة ١٢٥٨

— نبذة لطيفة فى تطعيم الجدرى . طبع سنة ١٢٥٩

حسين غانم الرشيدى :

من أعضاء البعثة الرابعة . كان قبل سفره إلى فرنسا من مصححى الكتب الطبية بمدرسة الطب . وأقام بفرنسا ثلاث عشرة سنة فأتقن علم الصيدلة ثم عين أستاذا بمدرسة الطب وكان يعده كلوت بك من نوابغ المبعوثين ، ترجم كتاب الدر اللامع فى النباتات وما فيه من المنافع للدكتور فيجرى بك وساعده فى ترجمته محمد عمر التونسى

عيسوى النحراوى :

وهو من البعثة الرابعة . وكان أستاذ علم التشريح بمدرسة الطب . ترجم كتاب التشريح العام لكلار الفرنسى وهو تلميذ فى فرنسا (طبع سنة ١٢٦١) ولم يترك أثراً سوى هذا الكتاب .

مصطفى السبكى بك :

هو من البعثة العلمية الرابعة . ومدرس الرمد بمدرسة الطب ومن مشهورى أطباء العيون . توفى سنة ١٨٤٤ (١٢٥٩) واشترك فى ترجمة الكتاب الفرنسى فى المصطلحات الطبية والعلمية الذى أشار كلوت بك بترجمته . كما ترجم رسالة تطعيم الجدرى لكلوت بك . واشتغل كثيراً بالتأليف .

احمد فايد (باشا) :

تعلم فى المدارس المصرية ثم أقام فى فرنسا عشر سنوات يتلقى العلوم بمدارسها وعين

بعد عودته مدرساً للرياضيات والطبيعة والكيمياء بالمهندسخانة حتى صار وكيلا لها . وألف وترجم الكتب الكثيرة ومن مترجماته :

— الأقوال المرضية فى علم بنية الكرة الأرضية . طبع سنة ١٢٥٧

— تحرك السوائل من تأليف المهندس بلانجه . طبع سنة ١٢٦٤

— الدرة السنية فى الحسابات الهندسية (مجلدان) . طبع سنة ١٢٦٩

أحمد طائل (أو طاويل) :

تلقى العلم بمدارس مصر وألحق بالبعثة المصرية ، وعين أثر عودته من فرنسا بمدرسة المهندسخانة مساعد مدرس ومعيداً لدروس الأستاذ محمد بيومى إلى أن صار مدرساً للعلوم الميكانيكية . وأرسل إلى الخرطوم فى عهد عباس باشا مع رفاعة بك و بيومى أفندى . وعاد من منفاه فى عهد سعيد باشا حيث توفى بعد وصوله إلى بولاق بليلتين . واشترك مع محمد بيومى فى ترجمة مؤلفين وترجم كتاباً اسمه « تركيب آلات » .

محمد الشباسى :

من أعضاء البعثة الرابعة ، عين أستاذاً للتشريح بمدرسة الطب وألف وترجم . ومما ترجمه — التنقيح الوحيد فى التشريح الخاص الجديد ، ترجمه من اللغة الفرنسية فى فى ثلاثة أجزاء . طبع سنة ١٢٦٦ .

محمد الشافعى بك :

من أعضاء البعثة الرابعة ، ولما عاد من فرنسا عين أستاذاً بمدرسة الطب ثم ناظراً لها وله فى التأليف والترجمة ما نذكر منه :

— أحسن الأغراض فى التشخيص ومعالجة الأمراض . طبع سنة ١٢٥٩

— الدر الفوال فى معالجة أمراض الأطفال(أصله لكلوت بك). طبع سنة ١٢٦٠

— كنوز الصحة و يواقيت المنحة . تأليف كلوت بك . أملاه باللغة الفرنسية

على الدكتور محمد الشافعى فترجمه إلى اللغة العربية . طبع سنة ١٢٧١ (ثانيه) وأعيد طبعه سنة ١٣٠٢ .

ابراهيم رمضان :

عاد من فرنسة قبل أن يتم دروسه وعين معيد مدرس لمظهر باشا ثم عين مدرساً بالمهندسخانة ومما ترجمه :

— القانون الرياضى فى فن تخطيط الأراضى (أربعة أجزاء فى مجلد واحد) طبع سنة ١٢٦٠ .

— اللآلىء البهية فى الهندسة الوصفية طبع سنة ١٢٦١ .

أحمد دقله (بك) :

نشأ فى مدارس مصر وأرسل مع طلبة البعثة الثانية وتخصص فى العلوم الرياضية وكان معيداً للأستاذ بيومى ثم عين مدرساً لعلوم الجبر وهندسة الرى والقناطر والجسور ثم وكيلا للمدرسة . وله من المترجمات :

— رضاب الغانيات فى حساب المثلثات . طبع سنة ١٢٥٩

— ايدروليك أى علم حركة وموازنة المياه .

عبد الله بن حسين :

خريج مدرسة الألسن المصرية . ترجم « تاريخ الفلاسفة اليونانيين » وهو مختصر فى ترجمة المشهورين من قدماء الفلاسفة . طبع سنة ١٢٥٢ .

الأب روفائيل دى موناكيس :

أجملنا سيرته فى عهد الحملة الفرنسية . ونضيف إليها الآن أنه عاد إلى مصر فى عهد محمد على باشا والتحق التحاقاً غير رسمى بقلم الترجمة بالمعية السنية . ثم كلفه الوالى

إنشاء مطبعة بولاق فتولى نظارتها وواصل العمل فيها حتى سنة ١٨٣١ حيث توفى .
ومن مترجماته فى هذا العهد :

— قاموس عربى طليانى طبع سنة ١٢٣٨

Dizionario Italiano e Arabo, che contiene in succinto tutti i Vocaboli che sono più in suo e più necessari per imparar a parlare le due lingue corettamenti

— قانون الضباغة للمؤلف Macquer (ما كير) . طبع سنة ١٢٣٨ (طبعة ثانية سنة١٢٥١) .

— الأمير فى علم التاريخ والسياسة والتدبير . تأليف ما كيافيلى . ترجمه من الإيطالية بأمر محمد على باشا (مخطوط مودع دار الكتب المصرية) .

محمد الشيمى

خريج مدرسة الألسن ومحاسب ومترجم بالسكك الحديدية . ترجم :

— إفاضة الأذهان فى رياضة الصبيان . ترجمها من الفرنسية ورتبها على مقالتين الأولى فى الحساب والثانية فى الهندسة . طبع سنة ١٢٥٩

— كشف النقاب عن علم الحساب . طبع سنة ١٢٦٦ ، وأعيد طبعه سنة ١٢٨٩ مذيلا بجدول اللوغاريتمات ذى الخمسة أرقام .

مصطفى سيد أحمد الزرابى

المترجم بمدرسة الألسن ، ترجم :

— بداية القدما وهداية الحكما .

— قوة النفوس والعيون بسير ما توسط من القرون ترجمه من الفرنسية (تكملة لتاريخ القدماء الذى طبع فى مصر) . مجلدان . طبع سنة ١٢٦٢

حسن قاسم

مدرس ومترجم بمدرسة الألسن ، ترجم « تاريخ ملوك فرنسة » تأليف المسيو

مونيفورس هذبه رفاعة بك وهو مرتب على سؤال وجواب . طبع سنة ١٢٦٤

حسن أفندى

كاتب بديوان محمد على باشا (أنظر السيد عبد الله عزيز) .

السيد عبدالله عزيز

ترجم كتاب تاريخ دولة إيطالية فى بيان الاحتلال الواقع فى الممالك الأوربية بظهور نابليون بونابارته . ترجمه بمساعدة حسن أفندى . طبع سنة ١٢٤٩

على جيزه له

الخواجه بالمدارس المصرية له من المترجمات :

— إفاضة الأذهان فى رياضة الصبيان . ترجم من التركية إلى العربية . طبع سنة ١٢٥٩ .

— علم الحساب . ترجم من التركية إلى العربية . طبع سنة ١٢٧٦

سعد نعام

له من المترجمات : رسالة فى بيان حدود وأحوال وكيفية أهالى أفريقيا . تأليف هنرى مركام . ترجم من الفرنسية إلى العربية

— رسالة فى بيان حدود وأحوال وكيفية أهالى أفريقيا . تأليف هنرى مركام . ترجم من العربية إلى التركية بمعرفة عبد الله العنتابى .

مصطفى رسمى الجركسى

ترجم : تربية الأطفال . تأليف الدكتور كلوت بك . طبع سنة ١٢٦٠

كنوز الصحة . تأليف الدكتور كلوت بك . طبع سنة ١٢٦١

رستم بسيم العرضحالجى

بالدائرة السنية . ترجم « سفارة رفاعة بك أو سياحة نامة المعروفة برحلة رفاعة بك » طبع سنة ١٢٥٥

محمد عطا الله الشهير بشانى زاده

ترجم « قوانين العساكر الجهادية » من الفرنسية إلى اللغة التركية . طبع سنة ١٢٣٨

رمضان عبد القادر

« قانون السفرية » ترجمه من الفرنسية . طبع سنة ١٢٥٩

المسيو هرقل

قانون القباض والصيارف فى الحكومة المصرية . طبع سنة ١٢٤٤

محمود احمد

حساب التمام والتفاضل . ترجم من الفرنسية

خليل محمود

كنز البراعة فى مبادئ فن الفلسفة . طبع سنة ١٢٥٤

نور بن مصطفى الرومى المعروف بوجدى

ترجم من التركية إلى العربية كتاب الملل والنحل تأليف محمد بن عبد الكريم المعروف بالشهرستانى . طبع سنة ١٢٦٢

أبو راشد ابراهيم عاطف

ترجم من التركية إلى العربية رسالة فى بيان أوصاف نهر النيل المبارك ومنبعه وعجائبه وغرائبه . طبع سنة ١٢٢٢

بيومى افندى

ترجم الهندسة الوصفية . طبع سنة ١٢٥٢

يعقوب افندى

ترجم كتاب أقراباذين أو رسالة تحضير الأدوية . طبع سنة ١٢٥٢

وفيما يلى هذا بعض الكتب المترجمة التى لم تذكر أسماء مترجميها وقد ورد ذكرها فى الكشف الذى نشرته المجلة الأسيوية الفرنسية أو فى فهرس دار الكتب أو فى الكشف الذى نشره الدكتور كلوت بك باللغة الفرنسية فى ذيل كتابه المسمى : تقرير عن حالة التعليم الطبى ومصلحة الصحة المدنية والعسكرية فى مصر فى أوائل شهر مارس سنة ١٨٤٩

Compte-Rendu de l'état de l'enseignement médical et du Service de santé civil et militaire de l'Egypte au commencement de Mars 1849.

— كتاب تاريخ نابليون بونابرته . نقل من الـ Mémorial de Ste. Héléne (الميموريال) وترجم من اللغة الفرنسية إلى اللغة التركية . طبع سنة ١٢٤٧ (طبعة أخرى سنة ١٢٦٠)

— القانون الثانى فى درس العسكرى طبع سنة ١٢٣٩

— تاريخ بونابرته . ترجمة الجزء الأول من ذكريات « الدوق دى روفيجو » إلى اللغة العربية . طبع سنة ١٢٤٩

— فى أصول العلوم الطبية تأليف الدكتور فرنسوا فاكا من مدينة بيزا (جزءان) طبع سنة ١٢٣٢

— تنبيه فيما يخص الطاعون تأليف الدكتور كلوت بك . كتيب باللغة العربية طبع سنة ١٢٥٠

— رسالة فى علاج الجرب تأليف الدكتور كلوت بك . كتيب باللغة العربية طبع سنة ١٢٥١

— تطعيم الجدرى تأليف الدكتور كلوت بك . طبع سنة ١٢٥٢

— الترجمان (L'Interprète) قاموس عربى تركى طبع سنة ١٢٥٣

ومن المترجمات الرسمية فى هذا العصر .

— اللوائح المتعلقة بخدمات المستخدمين ومتعلقاتها بالحكومة المصرية ومعها ترجمتها باللغة العربية طبع سنة ١٢٦٠

— قانون نامه فى بيان عملية الترع والجسور بالأقاليم المصرية ومعها ترجمتها باللغة العربية .

— القوانين فى بيان ترتيب المواد السائر أعراضها من ديوان الإرادات وبيان المواد التى كان سائراً أعراضها من الخزينة عن المصالح المتحالة إلى الديوان المذكور مع ترجمتها باللغة العربية طبع سنة ١٢٦٥

— لائحة نظام المصالح ومعها ترجمة باللغة العربية . طبع سنة ١٢٥٣

— قانون فيما يتعلق بالزراعة (وفى أوله ترجمة باللغة التركية) طبع سنة ١٢٦٥

— لائحة فى بيان وضع صيارفة المستخدمين فى الحكومة المصرية على أصول مستحسنة ومعها ترجمة باللغة العربية . طبع سنة ١٢٦٠

— قانون نامة فى بيان قصاص الكورنتينا والنظامة . ومعه ترجمة باللغة العربية طبع سنة ١٢٦٠

— لائحة فى بيان خصوص الأوراق تتعلق برؤية المصالح الخيرية ودعاوى الرعية على اللايق ومعها ترجمتها العربية . طبع سنة ١٢٥٩

— لائحة وهى ذيل سياسة نامة فى ترتيب جزاآت المستخدمين ومعها ترجمتها .

عباس باشا

لم يتعد اهتمام المؤرخين حتى الآن عصرى محمد على باشا والخديو اسماعيل . أما فيما يختص بعصرى عباس باشا وسعيد فقد اقتصروا على تسجيل الآراء التى اتفق عليها جل الكتاب وهى أن عصر عباس باشا كان عصر الرجعية والاضمحلال على حين كان عصر سعيد باشا ممهد الطريق لإصلاحات إسماعيل و بشيراً جديداً بالنهضة المصرية.

ولكننا إذا قصرنا اهتمامنا على موضوع التعليم والترجمة يظهر لنا أن من الصعب أن نحدد لعباس باشا سياسة مستقرة فإن سياسته كانت تتطور على حسب الظروف وعلى حسب هواه الشخصى . ولما تبوأ هذا الوالى عرش مصر كان جده المعظم مريضاً فخشى إجراء أى تعديل جوهرى فى نظم الدولة وأسسها إلى أن توفى محمد على باشا الكبير . وعندئذ قام بتعديلات واسعة النطاق فى بناء الدولة شملت جميع نواحى النشاط . ومن بين الإجراءات التى اتخذها إلغاء بعض المدارس كمدرسة الطب والهندسة والألسن و إعادة البعوث تدريجياً من باريس « فى ختام سنة ١٢٦٤ أى منذ توليته مباشرة استحسن عودة سبعة وثلاثين منهم من بينهم الأمراء عبد الحليم واحمد بك و إسماعيل بك ، ثم تبع ذلك طلب عودة ثمانية من البعوث فى غضون سنة ١٢٦٥ ومن بينهم على مبارك (باشا)[١] . وفى ختام سنة ١٢٦٦ أبطل المكتب الذى خصصه العزيز ساكن الجنان محمد على باشا للتلامذة فى بلاد أوربا . وأبطلت الرسالة المصرية ومن بقى هناك فى المدارس الفرنسية تحت نظاراتهم بمصروفات على الميرى »[٢] .

وظلت مدرسة الألسن تؤدى رسالتها حتى سنة ١٢٦٧ . وفى هذا التاريخ ألغاها الوالى . وكان رفاعة بك قد تولى نظارتها نحو ٢٥ سنة . وربما يرجع سبب إلغاء هذه

(١) أمين سامى باشا — تقويم النيل وعصر عباس وسعيد
(٢) على باشا مبارك — الخطط التوفيقية (الجزء التاسع)

المدرسة إلى حقد الوالى على ناظرها إذ نفاه إلى الخرطوم ليتولى نظارة مدرسة ابتدائية لم تؤسس إلا بعد قدومه إلى عاصمة السودان .

أما قلم الترجمة الذى أنشأه محمد على باشا وألحقه بمدرسة الألسن فقد أدخل عباس عليه بعض التعديلات . وقد صدرت إرادة إلى ديوان مصر الملكى بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ [١] فحواها — « اطلعت على القرار الصادر فى ١٤ من ذى القعدة سنة ١٢٦٤ الخاص بقلم الترجمة المزمع تأسيسه من أجل الكتب المراد ترجمتها من اللغة الفرنسية إلى اللغة التركية تمهيداً لطبعها ونشرها ووافقت رغبتى تنفيذه ، فينبغى أن تصرفوا همتكم فى إجراء الأمور التى جاءت فى ذلك القرار طبق ما بسط فيه وأن ترسلوا صورة منه إلى كل من أدهم بك مدير ديوان المدارس وكانى بك ليكونا على بصيرة ويتخذا الإجراءات اللازمة فى الأمور التى يجب تنفيذها » .

وهذا نص قرار المجلس — « بما أن ترجمة الكتب التى تشتمل على القوانين والمشروعات والتواريخ والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة ونقلها من اللغة الفرنسية إلى اللغة التركية ثم طبعها ونشرها تؤدى إلى وفرة المعلومات اللازمة وزيادتها ، كان من الواجب أن ننظم هـذه المهمة (مهمة الترجمة) تنظيما حسناً ورؤى أن يؤسس قلم ترجمة تحت إدارة وإشراف حضرة كانى بك لما له من الألفة والخبرة بأمر الترجمة منذ أمد بعيد فتقرر إلحاق الأفندية المترجمين الموجودين بمدرسة الترجمة الواقعة بالقلعة بمعية سعادته ونقل المعاون زكى افندى القائم بتفتيشها إلى القلم المذكور وقيد المترجم ميناس افندى الذى بات خالى عمل فى ذلك القلم برتبته القديمة ونقل آلتون افندى إليه أيضاً لمناسبة مهمة الوقائع الذى بعهدته بهذا القلم إذ أنها ليست إلا الترجمة ، وتعيين مبيض واحد لكى لا يشغل التبييض المترجمين و يضيع عليهم أوقاتهم ، واختيار نفر من بين مترجمى قلم الترجمة التابع لديوان المدارس من القادرين على الترجمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ممن هم جديرون بالالتحاق إلى القلم الجديد على أن

---

(١) وثيقة ٤ صفحة ٤٧ من الدفتر رقم ٤٤٩ معية تركى

يكون تحت إشراف رفاعه بك و ينقلون معه جميعاً إلى القلم الجديد إذ أن الغرض من تأسيسه هو حصر مهمة الترجمة فى مكان واحد يمكن إدارتها والإشراف عليها على الوجه اللائق . ولما كانت الكتب المراد ترجمتها لا تترجم كيف ما اتفق بل يتعين بعد ذلك ما كان منها جديراً بالطبع بتصويب من الخبراء الذين يجتمعون لهذا الغرض فيقدم إليهم حضرة كانى بك قائمة الكتب المراد ترجمتها ، فيفحصونها ثم يشرع فى ترجمة وطبع مايختارون منها . ومن أجل ذلك ، اتخذ المجلس قراراً بأن يكتب إلى البك المشار إليه (كانى بك) فيبلغ وظيفته الجديدة و يوصى ببذل جهد طاقته فى تنشئة الأفندية الذين سيلحقون بمعيته فى أمر الترجمة ويقوم بهذه المهمة أحسن القيام ، و إلى ديوان المدارس ينقل قلم الترجمة العربية التى يديرها رفاعة بك وكذلك مهمة الوقائع إلى قلم الترجمة الذى سيؤسس حديثاً كما تقدم ، و إلى ديوان الخديوى بقيد ميناس افندى وتسوية لوازم القلم المذكور وتنظيمه إذ أن مقره سيكون فى القلعة كما كان فى الأول وأن على البك المشار إليه أن يخبر المجلس كلما عثر بعد ذلك على أشخاص مقتدرين على الترجمة فى الأطراف والأكتاف عدا الأفندية الذين سلف ذكرهم . »[1]

وفى ١٤ محرم سنة ١٢٦٥[2] . صدرت الموافقة السنية على قرار جديد لمجلس المدارس خاص بقلم الترجمة ومنطوقه — « لما كان المقصود أصلياً من جمع المترجمين الأتراك فى محل واحد هو ترجمة الكتب من اللغة الفرنسية إلى اللغة التركية مثلما تترجم من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ، وكذلك نقل الكتب التى ترجمت إلى اللغة العربية فى مدرسة رفاعة بك وترجمتها إلى اللغة التركية بمعرفة مترجمى اللغة التركية ليزيد عدد الكتب المترجمة إلى اللغة التركية فيقرأها كل واحد و ينتفع بها فقد سبق أن شرع فى تأسيس غرفة ترجمة حديثة بهذه المناسبة و إلحاق مترجمى اللغتين العربية والتركية بمعية حضرة كانى بك لتحقيق هذا الغرض على الوجه اللائق ثم اقترح

(١) دفتر ٤٤٩ معية تركى صفحه ٤

(٢) دفتر رقم ٤٤٩ معية تركى صفحة ٢٠٧ رقم ٢٨

إلحاق غرفة الترجمة العربية التى تحت إشراف رفاعة بك بتلك الغرفة مع البك المشار إليه ونقل ملازم الوقائع مع المطبعة و إلحاقه بغرفة الترجمة إذ أنها لا تخرج غالباً عن الترجمتين التركية والعربية وذلك لتسهيل الطبع والتصحيح. إلا أن المجلس رأى لما تدعو إليه الضرورة إبقاء رفاعة بك فى مدرسته يتولى شيئاً من الترجمة. ولما كان قلم الترجمة فرعاً من فروع المدارس فقد تقرر نقل قلم الترجمة الحديث إلى ديوان المدارس » .

ومما يلاحظ فى هذين الأمرين أن مجلس المدارس كان يغفل وجود مدرسة الألسن ولا يلقى بالاً للمتخرجين الجدد فيها ، كما أنه لم يذكر اسم رفاعه بك بوصفه مدير مدرسة الألسن . وقد ألغى عباس باشا قلم الترجمة الجديد مع مدرسة الألسن .

وقال أمين سامى باشا « إنه بالرغم من إلغاء مدرسة الألسن استمرت ترجمة الكتب وطبعها ماحوظة بالعناية التى كانت ملحوظة فى السابق ». ولسنا ندرى ما هو العامل الذى دفع المترجمين إلى الاستمرار فى ترجمة الكتب — وهم محتاجون إلى التشجيع الأدبى والعون المادى — فى الوقت الذى أغلقت فيه المدارس وقلم الترجمة توفيراً لمال الدولة .

حقاً إن عباس باشا فى السنة نفسها التى ألغى فيها مدرسة الألسن أوفد إلى حواضر أوربا ١٩ طالباً ليتلقوا الفنون المختلفة . وربما كان يقصد من ذلك التخلص من منشئات محمد على باشا بسبب تكاليفها الثقيلة ، على أن يعاد بعضها بعد فترة مراعاة للاقتصاد . هذا فيما يختص بالتعليم . أما الترجمة فبعد أن أغلق عباس المدارس وقلم الترجمة وزع المترجمين على مختلف الوزارات وكلفهم الأعمال الإدارية .

لذلك يمكننا القول انه لم يكن لترجمة الكتب المدرسية فى هذا العهد أى أثر حتى أن رئيس المترجمين الشيخ رفاعه بك لم يترجم فى عصر عباس إلاّ كتاباً واحداً على حين ترجم فى العصر السابق عشرات الكتب وصحح عشرات أخرى .

ولما كانت علاقات عباس باشا بالأجانب محدودة جداً وكانت سياسته العامة ترمى إلى الاقتصاد بجهد الإمكان ، أخذ يستغنى عن عدد كبير من موظفيه الأجانب

إلا أن اعتزازه بصداقة الإنجليز حملته على تكريم السياح بصفة عامة والإنجليز بصفة خاصة والسهر على سلامتهم ورفاهيتهم . وقد عين لهم فى بندر السويس محافظاً له دراية باللغات الأجنبية كما يتضح ذلك من الإرادة المرسلة إلى الأميرالاى حمدى بك ومنطوقها ـــ « إنه بالنسبة لجسامة بندر السويس واتساعه يوماً فيوماً وبالنسبة أيضاً لمرور السياح الإفرنج عليه وخصوصاً الإنجليز ، فلهذا السبب صار من المحتم وجود أحد الذوات من الملمين باللغة بهذا البندر لمقابلة السياح الأجانب والترحيب بهم وتحيتهم بما يليق بهم أثناء مرورهم على تلك المدينة و بالنسبة لمعرفتكم اللغة ولما هو مشهود فيكم من حسن الأداة فى إنفاذ كل ما عهد إليكم فقد عيناكم محافظاً للبندر المذكور »[1].

---

(١) أمين سامى باشا ـــ تقويم النيل وعصر عباس وسعيد

سعيد باشا

كانت تصرفات سعيد باشا ترمى فى ظاهرها إلى إحياء المدنية التى نشرها محمد على باشا والتى حاول عباس باشا القضاء عليها . ولكنها كانت تعمل على عكس ذلك فمثلا فيما يختص بالتعليم والمدارس لم يوجه سعيد باشا عنايته إلى إحياء النهضة العلمية حتى « أنه قال ذات يوم لكونج بك مر بيه السويسرى الذى أصبح سر يره الخاص بعد ما تولى العرش ، وكان يحضه على فتح المدارس التى أقفلها عباس باشا ، لم نعلم الشعب ؟ لكى يصبح الحكم عليه والتصرف فيه أعسر مما هو عليه ؟ دعهم فى جهلهم فالأمة الجاهلة أسلس قياداً فى يدى حا كمها »[١] .

حقاً أن عباس باشا أمر بإقفال جميع المدارس لكنه أبقى مدرسة واحدة هى مدرسة المفروزة وفكر فيما بعد فى إعادة فتح بعض المدارس العليا على أسس جديدة إلا أنه احتفظ بديوان المدارس . أما سعيد باشا فإنه ألغى ديوان المدارس فى السنة التى تولى الحكم فيها أى سنة ١٨٥٤ ، كما ألغى المهندسخانة وأرسل مديرها على باشا مبارك مع الحملة التى أرسلها لمساعدة تركيا فى حرب القرم . وفى السنة التالية ألغى مدرسة المفروزة ومدرسة الطب بقصر العينى . ثم فى سنة ١٨٥٦ قرر فتح مدرسة الطب والولادة فاستدعى الدكتور كلوت بك من فرنسة وأسند إليه إدارة هذه المدرسة . وفى سنة ١٨٥٨ أعاد فتح مدرسة المهندسخانة ونقلها إلى القلعة السعيدية تحت إدارة موجيل بك الذى عهد إليه أيضاً فى الأعمال الخاصة بالقناطر . وكذلك أنشأ مدرسة صغيرة للبحرية بالإسكندرية ومدرسة حربية بالقلعة .

و إذا استثنينا هاتين المدرستين الأخيرتين التى اهتم بهما سعيد باشا بعض الاهتمام نلاحظ أولا أنه لم يفكر مطلقاً فى إعادة تنظيم ديوان المدارس مما يدل على إصراره على عدم تنشيط التعليم فى البلاد كما أنه لم ير ضرورة لإعادة إنشاء مدرسة الألسن وهى

(١) إلياس الأيوبى — عصر إسماعيل (جزءين)

التى كانت تمد المدارس بالمترجمين والكتب المترجمة اللازمة للتدريس . ونلاحظ ثانياً أن الوالى اكتفى بفتح مدرستى الهندسة والطب مما يدعونا إلى الاعتقاد بأن ميله الكثير إلى الغربيين هو الذى دفعه إلى إنصاف موظفين خدما البلاد بإخلاص فى عصر محمد على باشا وأصيبا ببعض الأذى من جراء تطهير المصالح الحكومية من العنصر الأجنبى فى العهد السابق ، وهما كلوت بك وموجيل بك .

وبرغم جمود حركة التعليم إلى هذا الحد ، فإنه لم يبخل على البعثات الأجنبية الدينية بمساعداته فى فتح مدارسها . ومن متناقضاته عنايته بنشر التعليم الأجنبى أكثر من عنايته بنشر التعليم الأهلى .

وماذا كان نصيب الترجمة فى هذا العصر ؟ أما فيما يختص بالتأليف فقد رأينا سعيد باشا يمد بالمعونة المالية الأستاذ « بروكش » الذى شرع فى الكتابة عن تاريخ مصر القديم والحديث . كما أنه أمر بطبع كتاب لعلى بك مبارك . ويتبين ذلك من الإرادة الصادرة لناظر المالية راغب باشا بتاريخ جمادى الأخرى سنة ١٢٧٧ ونحواها — « قد أطلعنا على المسمى تقريب الهندسة الذى ألفه وحرره على بك مبارك المهندس العسكرى بمعيتنا لتسهيل وتقريب فن الهندسة لأذهان المبتدئين وحيث إنه فى الواقع مؤلف مختصر مفيد فى فن الهندسة فبناء عليه قد اقتضت إرادتنا طبع خمسمائة نسخة منه فى مطبعة الحجر التى بمطبعة بولاق وحيث أن الكتاب المذكور سيرسل إليكم من طرف الأميرالاى المومى إليه ، فبناء عليه يجب إجراء تصليح وتصحيح عباراته بمعرفة صالح مجدى أفندى مترجم الكتب العسكرية ويجب أيضاً المبادرة بطبع النسخ المار ذكرها وإرسالها إلى هذا الجانب لتوزيعها على ضباط العساكر وقد حررنا لكم هذا لاتباعه »[1] .

ولكننا لم نعثر على أى أمر لسعيد باشا يتضمن تشجيع ترجمة الكتب المدرسية أو المؤلفات القيمة ولعله رأى أنه ليس من الضرورى تزويد المدارس التى أعاد إنشاءها

---

(١) أمين سامى باشا — تقويم النيل وعصر عباس وسعيد

بالكتب الجديدة والاكتفاء بما ترجم فى عهد جده العظيم . ثم أنه استدعى من الخرطوم الشيخ رفاعه ، فلم يشغله بأعمال الترجمة بل عينه ناظراً للمدرسة الحربية .

إصلاح النظم القضائية وتنشيط حركة الترجمة

من الخطأ أن نظن أن حركة الترجمة توقفت توقفاً تاماً فى هذا العصر ، فقد كان اعتزام سعيد إصلاح النظم القضائية من الدواعى التى جعلت للترجمة شأناً عظيما . وهذه الإصلاحات كانت نوعين الأول يرمى إلى استعمال اللغة العربية فى القضايا ، والثانى يرمى إلى إنشاء أقلام إفرنجية فى الدواوين بالقاهرة والإسكندرية لترجمة المكاتبات الواردة من قناصل الدول والخاصة بشئون القضايا .

(١) استعمال اللغة العربية فى القضايا

الغرض من ذلك يفسره الأمر العالى الصادر إلى مجلس الأحكام بتاريخ ٤ ذى القعدة سنة ١٢٧٤ ومنطوقه — « إن الجارى — والحالة هذه بالدواوين وسائر الجهات — فى خصوص المخاطبات المتعلقة بالقضايا وإدارة المصالح البعض تركى والبعض عربى ، ومن أجل ذلك حاصل تداخل الأشغال فى بعضها ، ويمكن إذا كانت مادة فيما ذكر لا يتمكن صاحبها من نهوها بالعربى كما يرغب يتحايل على إجمالها تركى بالكيفية التى يتصور له بها نهوها وربما يبقى على ذلك حكم مخالف للصادر أولا ، وإن كانت قضية تركى لا تمت حسب مرغوب صاحبها يبذل جهده فى استمالتها إلى العربى ويمكن أن يحصل فيها بعكس ما حصل أولا بالتركى ويترتب من هذا وهذا وقوع مخالفات ومغايرات . وإن سئل الكاتب العربى أو التركى عن السوابق يحيلون على بعض استناداً على عدم المعلومية بما هو جار بالقلم الآخر . وبما أنه يجب تمشية المصالح على طريقة واحدة لمنع حصول ما يماثل ذلك إذ أنه من المعلوم أن معظم أشغال هذه الديار ومصالحها إنما تنتهى بالعربى ، فاقتضت إرادتنا أن كافة المخاطبات التى تجرى فيما يتعلق بالحسابات أو القضايا أو إدارة المصالح تكون

عربية سواء ما كان متبادلا بين المديريات والدواوين أو ما يلزم عرضه (مما هو خارج عن اختصاص) للجهات . هذا والجهات المرتب لها كتبة تركى يبقى فيها كاتب واحد لتحرير بعض الأمور الضرورية التى لا بد من كتابتها بالتركى . وحيث لا بد من وجود أوراق قضايا تركى فى اليد أو مواد موقوفة لورود ردها من جهات أو إفادات سبق تحريرها عن أشياء ومنتظر ورود أجوبتها ، ومن الاقتضى النظر فى ذلك فقد تعلقت إرادتنا أنه من الآن تحصل المباشرة فى الكتابة بالعربى كما ذكر ، والمتأخر المنوه عنه آنفاً وأمثاله يجرى اللازم لنهوه بوجود كتاب التركى المخصصين من الأول مع الاهتمام فى نهوه سواء بالبت فى القضايا اللازم رؤيتها أو الإسراع فى نهو الموقوف وتسديد الدفاتر وترجمة ما يلزم ترجمته إلى اللغة العربية ، وقد تحدد ميعاد لذلك لغاية توتى سنة ١٢٧٤ أى أن الكتاب التركى لا يصير رفتهم الآن بل يبقون فى الخدمة لغاية التاريخ المذكور على أن لا يبقى مواد متأخرة من هذا الميعاد ومن ابتدى توتى سنة١٢٧٥ يصير إبقاء كاتب تركى واحد فى كل جهة من الجهات ، وقد صدرت الأوامر إلى المديريات والدواوين بالاجرى على هذا الوجه فيلزم الاجرى بموجبه وبطرفكم أيضاً . ولما أن المجلس جارى به رؤية القضايا وبعد تحرير خلاصتها من العربى يصير ترجمتها تركى وعند وصولها إلى الجهة يلتزم ترجمتها بالعربى ثانياً ، وفى هذا تكرار وزيادة عمل بلا اقتضى ، فمن الآن كافة الخلاصات والمخاطبات التابعة لها تحرر بالعربى كما توضح وإذا كان بالمجلس من لا يعرف اللغة العربية يعرض عنه لطرفنا لأجل استبداله وبناء عليه أصدرنا أمرنا هذا إليكم للاجرى كما فيه حسب ما تعلقت به إرادتنا »

٢ — إنشاء الأقلام الإفرنجية

بقيت محاكم التجارة التى أنشئت فى عهد محمد على قائمة إلى عهد سعيد ، وهى المسماة « مجالس التجار » فى الإسكندرية والقاهرة . وكانت المحافظات والضبطيات

تنظر فى المشكلات الخاصة بالأجانب مما أدى إلى إنشاء « أقلام خاصة بالأمور الإفرنكية » فى القاهرة والإسكندرية . وتبين لنا الإرادة الصادرة لمحافظة الإسكندرية فى ١١ ذى الحجة سنة ١٢٧٣ الفائدةالمرجوة من هذه الأقلام فيما يأتى — «حيث إنه غير موجود فى ديوان محافظة الإسكندرية قلم خاص بالأمور الإفرنجية مثل الأقلام الموجودة فى دواوين ضبطية مصر ومحافظتها ، وحيث من مقتضى دواعى المخاطبات من جانب القناصل بشئون القضايا الجسيمة المتعلقة بالأوربيين أن تمر فى الأقلام العربية والتركية ، وتختلط بالمصالح السائرة وهذا يترتب عليه عدم رؤيتها وتسويتها على الأسلوب اللائق فبناء عليه ولتنظيم رابطة المصالح ومتانتها وإحكامها كما ورد فى كتابكم المؤرخ ٢٩ شعبان سنة ١٢٧٣ رقم ١١٣ يجب أن تبادروا بإنشاء قلم افرنكى وتعيين ناظراً له من أرباب الاستقامة ويكون واقفاً على اللغة الفرنسية والعربية ، واثنين من الكتبة لهما إلمام باللغة العربية وإفهامهما ضرورة السعى والإقدام إلى إتمام وإنهاء المصالح الواقفة فى قلمهما بغاية الدقة والعناية . فلذلك حررنا لكم هذا لاتباعه »[١] .

(١) أمين سامى باشا — تقويم النيل وعصر عباس وسعيد

الخديو اسماعيل

لن نقتصر فى دراستنا لعصر اسماعيل على إظهار أوجه الشبه بين حركة الترجمة فى هذا العصر وعصر محمدعلى باشا، بل سنبين أيضاً الجديد فى خطة الحكومة وأغراضها .

بين الوالى والخديو

ذكرنا من قبل أن محمد على باشا كان يستعمل اللغة التركية دون سواها وأشرنا إلى حاجته إلى المترجمين والكتب المترجمة . و بالرغم من التدابير التى اتخذها فى هذا السبيل فقد شعر بنقص من جراء عدم معرفته اللغات الأور بية فى وقت يسيطر فيه النفوذ الغر بى على العالم المتمدن . وحاول إزالة هذا العجز فى تر بية أحفدته . فعلمهم لغة أور بية علاوة على اللغتين التركية والعر بية . وأرسل بعضهم إلى أور با مع أعضاء البعثات ليختلطوا بالغرب و يألفوا عقلية الغر بيين وعاداتهم .

ولما أصيب الخديو اسماعيل فى الرابعة عشرة من عمره برمد صديدى أرسل إلى فينا ليعالج فيها ويربى فى الوقت نفسه تر بية أور بية . وقضى هناك عامين تحسنت صحته فيها فأمر جده بانتقاله إلى المدرسة المصرية بباريس فأتقن إسماعيل هناك اللغة الفر نسية اتقاناً تاماً .

ولما تبوأ عرش مصر ساعده تعليمه ورحلته إلى بلاد الغرب واطلاعه على مدنيتها على أن يحكم البلاد حكماً مطلقاً يتولى فيه تصريف شؤون الدولة و يشرف بنفسه على جميع الأمور التى ترفع إليه ويتصل مباشرة بجميع طبقات الأمة دون اللجوء إلى المترجمين . ثم أن بصره باللغة العر بية مكنه من تعميم استعمالها وجعلها لغة البلاد الرسمية بدلا من اللغة التركية . فبتاريخ ٦ شوال سنة ١٢٨٦ (١٨٧٠) أصدر أمره إلى نظارة الداخلية « بأن المكاتبات التى تتداول من الآن فصاعداً بكافة الدواوين والمصالح

الأميرية التى بداخل جهات الحكومة تكون باللغة العربية»[1] وقد كان لهذا القرار مغزى سياسى كما أنه أحدث تأثيراً عميقاً من الوجهتين الأدبية والاجتماعية وأكسب المصالح والدواوين الوقت الذى كان يصرف فى ترجمة الرسائل والتقارير التركية كما أتاح لطلبة المدارس الفرصة لإتقان اللغات الأوربية لأن معرفة تلك اللغات أصبحت تفتح فى وجههم منافذ مختلفة كمكاتب البريد وفروع مصلحة السكة الحديدية والمحاكم المختلطة والمحال التجارية ووظائف المترجمين فى القنصليات الأجنبية والمصارف وجميع ما أنشأه الأجانب أو تولوا إدارته فى هذا العهد .

الترجمة وتعليم اللغات الأجنبية فى المدارس

حالة التعليم فى أوائل عصر إسماعيل :

لم يكن فى سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣) فى القطر المصرى من مدارس سوى مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ومدرسة الطب والصيدلية والولادة والمدرسة الحربية . وكانت جميعاً فى حالة سيئة من حيث كيانها ونظامها والتعليم والتربية فيها . وبالإيجاز لم يكن فى الفترة ما بين سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٦٣ كثير من المصريين ذوى الكفاية للقيام بأعباء التعليم ؛ مما اضطر إسماعيل طوعاً أو كرهاً إلى الاستعانة برجال العصر القديم ؛ فقد ولاهم المناصب العليا فوكل إلى أدهم باشا وزارة المعارف وإلى على باشا مبارك إدارة مدرسة المهندسخانة ... أما رفاعة بك فلم يعد إلى رياسة مدرسة الألسن التى انضمت إلى مدرسة الإدارة ولكنه عين مديراً لقلم الترجمة بوزارة المعارف وعضواً بديوان المدارس .

وليس المجال ذا سعه للتعليق على ما أدخله إسماعيل من تعديل وتوسيع فى نظم التعليم وإننا لنقتصر على بسط الإجراءات التى اتخذت فى سبيل نشر العلم والتى لها

(١) سجل ١٩٢٠ (أوامر عربية) صفحة ٤٣

صلة مباشرة بحركة الترجمة فى هذا العصر . (وسنبسط الحديث فيما بعد عن المدارس التى اهتمت بوجه خاص بتعليم اللغات لخدمة الترجمة) .

أما هذه الإجراءات فهى :

١ — أصبح من أهم أغراض التعليم فى عصر اسماعيل تدريس اللغات الأوربية[١]

٢ — عدل الخديو عن إعادة مدرسة الألسن مدرسة مستقلة فأدمجها فى مدرسة الإدارة التى صارت فيما بعد مدرسة الحقوق ، ومما هو جدير بالذكر أن إسماعيل لم يصدر أمراً كتابياً بإعادة مدرسة الألسن ؛ بل اكتفى بإصدار أمر شفوى كما يتضح من الرسالة المبعوثة إلى كتاب الحسابات بتاريخ ١٣ صفر سنة ١٢٨٤[٢] ومنطوقها — « إنه بناء على الإرادة الشفهية الصادرة إلينا عن تشكيل مدرسة ألسن و إدارة ملكية مركبة من ثلاثين تلميذاً بمصر ... » . هذا ولم يتخرج منها ما خرجته مدرسة الألسن فى عهد محمد على من حيث العدد والكفايات .

٣ — إن معظم المترجمين الذين استخدمتهم الحكومة فى أوائل عهد إسماعيل تخرجوا فى مدرسة الألسن التى أنشأها محمد على باشا .

٤ — قبل إنشاء مدرسة الألسن والإدارة كان يجرى تمرين التلامذة فى بعض المدارس العليا على أعمال الترجمة كما يتضح ذلك من الرسالة المؤرخة ٣ جمادى الثانية سنة ١٢٨٣ إلى الرصدخانة والمهندسخانة[٣] — « كتب الخوجة الفرنساوى بأن تلامذة الفرقة الثالثة صاروا متقدمين ومرغوب تمرينهم فى التراجم من اللغة المذكورة إلى اللغة العربية وأن الترجمة تحتاج لاستعمال قواميس . فطلب عشرة قواميس بقطر (إلياس بقطر) وقاموس كازيمرسكى عربى فرنسى »

---

(١) ذكر هذا الغرض فى قانون ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ (٧ نوفمبر سنة ١٨٧٦) وكذلك فى بعض الأوامر الإدارية كالأمر الصادر من الديوان الى محافظة مصر فى ٥ شوال سنة ١٢٧٩ (دفتر ٢٤٢ مدارس عربى ص ١٨ رقم ٨)

(٢) دفتر ٣٨٨ مدارس عربى ص ١٤٨ نمرة ٦٢٧

(٣) دفتر ٣٩١ مدارس عربى ص ٩٤ رقم ٤٦

٥ — لم يقتصر تعليم اللغات فى المدارس — إذا استثنينا اللغتين العربية والتركية — على لغة واحدة . فكان الطلبة يتعلمون أحياناً النمساوية أو الإنجليزية . حتى أن الخديو فكر فى تعميم اللغة النمساوية كما شرع فى تدريس اللغة الحبشية وأخذت بعض المدارس الأوربية تدرس خمس لغات أو ستاً فى برامجها مع الإقلال من الفنون الأخرى .

٦ — كانت جميع المدارس الابتدائية والتجهيزية والخصوصية تعلم طلبتها اللغة الفرنسية وكان تدريس هذه اللغة مقصوراً فى بادئ الأمر على مدارس العاصمة . فلم تمض فترة وجيزة حتى عممها الخديو وجعلها تشمل مدارس الأقاليم . وكان غرضه من ذلك وضع أساس متين يساعد الطالب على فهم ما يدرسه عند الضرورة .

٧ — اهتم إسماعيل بتعليم اللغة الفرنسية وذلك بالنظر إلى أهمية مركز فرنسا الدولى وقتئذ وضعف النفوذ الإنجليزى فى مصر ، يضاف إلى ذلك أن اللغة الفرنسية كانت منذ عهد محمد على باشا لغة التخاطب بين الجاليات الأجنبية حتى أن المدارس الأمريكية والإيطالية واليونانية كانت تعلمها لتلاميذها .

٨ — كان عدد الأساتذة الإفرنج قليلا بالنسبة لعدد المدرسين والمدارس . ومن العجب أن الحكومة لم تستغل كفايتهم فى معظم الأحوال لتدريس اللغات الأجنبية بل قام بهذه المهمة الدقيقة المدرسون المصريون المتخرجون فى مدرسة الألسن فى عهد محمد على باشا . أما الأساتذة الأجانب فقد استعانت بهم الحكومة فى هذا العصر على تدريس الفنون التى أدخلها النظام الجديد ، ولم يكن للمصريين خبرة بها .

٩ — اقتضت الأحوال أحياناً تعيين معيد أو أكثر لمساعدة المدرسين الإفرنج . ولكن ظل عددهم قليلا لأن الحكومة لم ترغب فى الإكثار منهم . فقد حدث أن شكا المدرس الفرنسى بالمدرسة التجهيزية من عدم معرفة التلاميذ اللغة الفرنسية وعدم معرفته هو اللغة العربية . وطلب تعيين معيد له لتعريف التلاميذ ما يلقيه من الدروس ، فلم تعين الحكومة معيداً خاصاً بل كتبت للمدارس الحربية تطلب

تعيين أحد المصريين الملمين باللغة الفرنسية ليذهب وقت الدرس[١] .

١٠ — وسواء أكان تدريس الفنون باللغة العربية أم بلغة أجنبية فإن الحاجة أصبحت شديدة إلى الكتب المعربة لبطء حركة التأليف . فاقتضت الضرورة إنشاء أقلام للترجمة فى بعض المدارس . وهذه رسالة مؤرخة ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨١ من ناظر المدارس الحربية « يستعجل فيها موافقة الديوان على تشكيل قلم للترجمة تحت رياسة سليمان فوزى باش مترجم ورئيس التحريرات »[٢]

وقد اقتبسنا من كتاب دور بك[٣] بعض البيانات والإحصاءات ووضعنا الجدول التالى ، وهو يلخص بوضوح بعض ما ذكرناه عن حالة التعليم فيما يتعلق بالترجمة وتدريس اللغات الأوربية .

المدارس	اللغات الأجنبية المقررة	عدد المدرسين	عدد الأجانب منهم	المواد التى يعلموها أو صنعتهم
المهندسخانة	الفرنسية والإنجليزية والتركية والألمانية	١٥	٣	الفنون
الألسن والإدارة	التركية والفرنسية	٦	١	المدير
المساحة والمحاسبة	الفرنسية	٣	—	
التجهيزية	الفرنسية والإنجليزية	٢٤	٢	الرسم
اللسان المصرى القديم	القبطية والحبشية والألمانية	٣	٣	
الفنون والصنائع	الفرنسية والإنجليزية	١٢	٥	الفنون
الطب والصيدلة	—	١٤	—	
الولادة	—	٦	١	الناظرة
المدارس الابتدائية	الفرنسية والإنجليزية والألمانية			
رأس التين	الفرنسية والإنجليزية	١٦	٢	الفنون

(١) دفتر ٣٧٤ مدارس عربى صفحة ٣٥ رقم ٢٧٠ فى ٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ من التجهيزية

(٢) دفتر ٣٦٧ مدارس عربى صفحة ١١٧ رقم ٨٧

(٣) V. Dor Bey, L'Enseignement en Egypte, Paris, 1872 in 8°

أعمال الترجمة وتدريس اللغات فى بعض المدارس الخصوصية

مدرسة الألسن والإدارة :

أسست سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨) بأمر شفوى كما ذكرنا من قبل ، ولم نقف بالضبط على تاريخ إلغائها . ولكن إحصاء المدارس الذى نشره أمين سامى باشا فى كتاب التعليم يدل على أن المدرسة ألغيت قبل سنة ١٢٩٢ ، إذ ورد فى هذه السنة اسم « مدرسة الحقوق والإدارة » ، وذكر بعض المؤلفين أنه أعيد فتحها فى سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨) ، وسنتكلم عليها بالتفصيل فى العهد القادم .

مدرسة الفنون والصنائع

وكانت تعرف بمدرسة « العمليات » ولما بلغته الصناعة المصرية فى عهد إسماعيل من التوسع المطرد ، قرر الخديو إنشاء مدرسة لإخراج المختصين فى الميكانيكا والصناعة ، وفتحت المدرسة أبوابها فى سنة ١٨٦٧ تحت إدارة فرنسى خبير هو Eloi Guigon Bey (جيجون بك) ، وصادفت المسيو جيجون مصاعب جمة تتعلق باللغة خاصة ، ولكنه استطاع التغلب عليها بعد بذل مجهود عظيم ، فكان يجهل اللغة العربية هو وسائر الأساتذة الإفرنج الذين جاءوا معه ؛ ومما زاد المشكلة عسراً وجود أساتذة إنجليز كانوا يفضلون بطبيعة الحال إلقاء محاضراتهم باللغة الإنجليزية بدل الفرنسية ، لذلك تقرر تدريس اللغتين الفرنسية والإنجليزية فى السنتين الأولى والثانية ، ولا غرابة إذا قال دور بك فى تقريره أن مستوى تعليم اللغات الإفرنجية فى هذه المدرسة أحط من مستواه فى سائر المدارس الخصوصية . مما حمل المسيو جيجون على تكليف معاونيه ترجمة محاضراته فى الرياضيات إلى اللغة العربية ، وكانت هناك صعوبة أخرى ، وهى ترجمة الاصطلاحات الفنية ، إذ كانت الألفاظ الاصطلاحية الخاصة بالفنون والصناعات غير متداولة على الألسن إلا قليلا ، ولا يعرف

إلا القليلون جداً ما يقابلها فى العربية فاستغل هـذا المدير أوقات فراغه لتأليف معجم فرنسى إنجليزى عربى لهذه المصطلحات يفيد كل ذى فن وصناعة .

المدارس الحربية :

هبط الجيش المصرى فى أواخر عهد سعيد إلى منزلة محزنة من الضعف والارتباك ؛ فعزم إسماعيل على إنهاضه ، ففى الشطر الأول من عصره أرسل إلى فرنسة بعثة حربية تتألف من خمسة عشر ضابطاً من خيرة ضباط الجيش ليقضوا زمناً فى مشاهدة نظام الجيش الفرنسى واقتباس الخبرة من قواده وضباطه ، فجمعوا طائفة من المؤلفات الحربية الفرنسية المشتملة على أساليب الجيش الفرنسى ونظمه وعادوا بها ليطبقوها فى مصر ، ثم أحضر إسماعيل من فرنسة بعثة حربية من الضباط الفرنسيين من بينهم (ميرشير بك ولارمى باشا Larmée Pacha, Mircher Bey, Robatel, Polard وبولار وريباتيل) فتولى بعضهم نظارة المدارس الحربية ، كما عهد إلى طائفة من الضباط الأمريكيين تأسيس هيئة أركان حرب للجيش المصرى ، وأمر بإنشاء صحيفتين حربيتين لتثقيف التلاميذ والضباط نشرت فيها أبحاث قيمة لكبار الضباط المصريين والأجانب .

وقد ازدهرت أعمال الترجمة فى هـذا العهد بسبب تلك النهضة الحربية فمن جهة صدرت الإرادة السنية بترجمة الكتب العسكرية الواردة من فرنسة حتى يسهل على التلاميذ فهمها[١] ، وكان قلم الترجمة بديوان الجهادية يتولى ترجمة الكتب الحربية ، فاتخذت الإجراءات لنقل بعض المترجمين إلى هذا القلم للقيام بالعمل على الوجه الأكمل . كذلك تتضمن الرسالة المبعوثة إلى السكة الحديدية بتاريخ ٢ ذى الحجة سنة ١٢٧٩[٢] « إشعار المصلحة المذكورة على أن حضرة الباشا ناظر الجهادية طلب

(١) رسالة إلى ديوان الجهادية بتاريخ ١٢٧٩ دفتر ٥٣٠ معية تركى صفحة ١٢٥ رقم ٣٠ تفيد إشعاره بصدور الإرادة السنية بترجمة بعض المؤلفات الخاصة بالتعليمات العسكرية التى جلبت من فرنسة بواسطة جناب قنصلها .

(٢) دفتر ٥٣٠ معية تركى صفحة ١٤٦ رقم ٤١ .

إفادته المؤرخة ٢٦ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ رقم ٤٧ نقل و إرسال رمضان شكرى افندى المستخدم بجهة السويس تبع الامرارية إلى ديوان الجهادية بدلا من عبد السلام سلمى أفندى لأجل ترجمة بعض المؤلفات الواردة من فرنسة المتعلقة بالتعليمات العسكرية وحيث أن هذا الطرف استنسب ذلك أيضاً نظراً لأهمية المؤلفات المذكورة وأن تحرر إلى الباشا المشار إليه بما يلزم ، فيقتضى المبادرة بنقل المومأ إليه من الامرارية و إرساله للباشا المشار إليه وقيد عبد السلام افندى بدلا منه » كما يتضمن الامر الكريم إلى الجهادية بتاريخ ١٩ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢[1] « الموافقة على قيد و إلحاق البكباشى سليمان رءوف افندى الذى كلف بترجمة الكتب المتعلقة بالعسكرية إلى اللغة العربية بديوان الجهادية محل البكباشى إسماعيل صفوت افندى المنقول إلى ضبطية طنطا » .

ومن جهة أخرى كان المدرسون الإفرنج فى حاجة إلى المعربين لتعريب ما ينطقون به وما يكتبونه من محاضرات أو مقالات لنشرها فى الصحف الحربية .

و يلوح أن قلم الترجمة بالجهادية لم يستطع القيام بجميع الأعمال التى أسندت إليه . (ونقول هنا أن أكثر الكتب المطبوعة فى الفنون العسكرية ظهرت فى أيام إسماعيل) فطلب ناظر المدارس الحربية فى خلال سنة ١٢٨١ إنشاء قلم ترجمة خاص بمدارسه . ولم نهتد إلى الأمر المتعلق بإنشاء هذا القلم .

مدرسة اللسان المصرى القديم

أسسها الخديو فى أغسطس سنة ١٨٦٩ (١٢٨٥) وألغاها سنة ١٨٧٦ (١٢٩٢) وعهد إلى المسيو H. Brugsch (هنرى بروكش) النمساوى بإدارتها . وكان التعليم فيها باللغة النمسوية حتى أن الخديو فكر فى إدخال هذه اللغة فى المدارس فى سنة ١٢٨٩ و يلاحظ إن الفكرة عانت له بعد انهزام فرنسا بقليل وازدياد النفوذ الألمانى

---

(١) دفتر ٥٥٧ معية تركى رقم ١٥

وقد أشارت الرسالة التى نصت على ذلك[١] إلى الحاجة إلى المدرسين فذكرت إنه « لو استحضر خوجات من الخارج كلفوا كثيراً و إن تلامذة اللسان المصرى القديم خمسة تلامذة لهم إلمام بها و يقترح إرسالهم إلى النمسا أو بروسيا برفقة المسيو بروكش للاقامة بها مدة سنة أو سنة ونصف سنة فى مدرسة من المدارس تختار بمعرفته ليتموا فيها تعليم هذه اللغة وعند عودتهم يعينون خوجات لها بالمدارس الملكية »[٢]. ولكن لم يبرح هؤلاء الطلبة القطر المصرى ، إذ لم ترسل الحكومة أية بعثة علمية إلى بروسيا والنمسا .

و إذا وجدنا مسوغا لدراسة اللغة النمسوية فى مدرسة اللسان القديم وتعليمها فى المدارس بعد انتصار بروسيا على فرنسا ، فكيف نعلل دراسة اللغة الحبشية وفائدتها من الوجهة الفنية بالنسبة لتعليم الآثار ؟ وقد فهمنا بعد الاطلاع على وثيقة فى المحفوظات التاريخية أن لهذا الإجراء مغزى سياسياً يتعلق بمشروعات إسماعيل الاستعمارية ، وهذه الوثيقة هى أمر كريم إلى ديوان المدارس بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٢٨٥[٣] هذا نصه — « يعلم لسان الأحباش وخط الهيروغليف أى الخط المصرى القديم بمدرسة التجهيزية بشرط أن يكون التلامذة سمراً أو زنوجا ويكون الخوجات من بطريرخانة الأقباط » فنلاحظ أولاً إن الأمر أوصى بتعليم اللغة الحبشية قبل تعليم الخط الهيروغليفى ، ثم اشترط أن يكون التلاميذ سمراً أو زنوجا . ألم يكن ذلك دليلا قاطعاً على إصرار الخديو على تكوين طبقة من المترجمين يستخدمهم فى بلاد الحبشة بعد فتحها ؟ ومما يؤيد وجهة نظرنا هذه إلغاء هذه المدرسة بعد فشل الحملة الحبشية بسنة واحدة .

---

(١) إفادة بتاريخ ١٧ شعبان سنة ١٢٨٩ إلى المعية دفتر ٤٥٦ مدارس عربى صفحة ١١ رقم ٥

(٢) أرسل مائة وعشرون إلى مدرسة الطب والمدرسة الحربية بباريس وخمسون إلى مدارس طورينو الحربية والملكية وثلاثة فقط إلى مدارس لندن الهندسية

(٣) دفتر ١٩٢٧ أوامر صفحة ٢٤ رقم ١

مدرسة الطب :

كان مدير مدرسة الطب ومعظم أساتذتها فى عهد محمد على باشا من الأوربيين ولكن بفضل عناية كلوت بك بها والمجهود الذى بذله لرفع مستواها وتخريج عدد كبير من الأطباء المصريين المتمكنين ووضع المعاجم الطبية وترجمة الكتب ، تمصرت المدرسة تدريجاً حتى رأى إسماعيل عند ما أعاد تنظيمها فى بداية عهده أن مدرستى أبى زعبل وقصر العينى قد أخرجتا فى عهد جده عدداً غير قليل من الكفايات مما يغنيه عن تعيين مدرسين جدد من الأجانب ، ولو أن Burguières Bey (بورجيير بك) تولى نظارة المدرسة فترة قصيرة فى أوائل العهد . وظل محمد على بك (محمد على باشا البقلى) مدير المدرسة مدة طويلة يعاونه أربعة عشر أستاذاً كلهم مصريون وكذلك صار التعليم فى هذه المدرسة باللغة العربية [1] .

غير أن المجلس الخصوصى قرر بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)[2] بناء على الرسالة الواردة من رئيس مدرسة الطب ... إعادة تدريس اللغة الفرنسية بالمدرسة فخصصت حصص فى غير أوقات الدراسة ، وكان حضورها إجباريا لطلبة المدرسة جميعاً وقد أكدت الرسالة المؤرخة ١١ شوال سنة ١٢٨٩ من مدرسة الطب[3] الغرض من تعليم هذه اللغة ، إذ جاء فيها « إن تعليم الفرنسية من المنافع الضرورية لتعليم الترجمة فى الكتب الطبية وهذا لا يمكن حصوله بغاية الإتقان إلا إذا كان بأيدى التلامذة كتب دراسية طبية ... »

ولقد عظم شأن الترجمة حين أصبح تعليم الفنون الطبية باللغة العربية ولما كان الطلبة غير متقنين اللغة الفرنسية وكان المدرسون ضعاف الكفاية والقدرة على تأليف

---

(١) أما النظارة المصريون فكانوا — حافظ محمد افندى (١٨٦٣) محمد على بك (١٧٦٧) محمد شافعى بك (١٨٧٥) ومحمد على بك (١٨٧٦)

(٢) قرار المجلس الخصوصى دفتر ٦٦ ص١٤ رقم١٦

(٣) دفتر ٤٦٢ مدارس عربى رقم ١٧ فى ١١ شوال سنة ١٢٨٩

الكتب كانت المدرسة فى حاجة مستمرة شديدة إلى ترجمة الكتب الفرنسية[١] وسنذكر أسماء بعض الكتب المترجمة مع سيرة المترجمين فى هذا العصر .

مدرسة البحرية :

جدد إسماعيل المدرسة البحرية بالإسكندرية وأنشأ مدرسة أخرى بجوار الترسانة أحضر لها المدرسين الأكفاء من مصر وأوربا . وصدر أمر كريم بتاريخ ٦ صفر سنة ١٢٨٤ إلى ديوان المدارس[٢] فحواه — « أنه اطلع على ترتيب مدرسة البحرية التى أمر بإنشائها وأنه قد أوصى فى انجلترا على ايفاد ربان ليكون ناظراً لهذه المدرسة والتى يجب أن يكون وكيله ملماً باللغة الإنجليزية ولذا يجب انتخاب الوكيل ممن يعرفون اللغة الإنجليزية وأن يصرف النظر عن تعيين أستاذين للغة الفرنسية إذ يكفى تعليم التلاميذ الإنجليزية وأن يستخدم أساتذة مدرسة الإسكندرية للتعليم بالمدرستين » . وكانت مدرسة رأس التين الابتدائية من المدارس النادرة التى ضمت إلى برامجها تعليم اللغة الإنجليزية لتغذية المدرسة البحرية بالتلاميذ الملمين بمبادىء هذه اللغة فيسهل عليها إتقانها فيما بعد .

المدارس الأوربية :

كتب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك فى شأن المدارس الأوربية قائلا[٣] — « كثر عدد المدارس الأوربية التى فتحتها البعثات الدينية للبنين والبنات . ولم تنتشر فى أى عهد بمثل ما كثرت فى عهده . وقد أخرجت عدداً كبيراً من رجال الأعمال والمهن الحرة وموظفى الحكومة وخاصة موظفى البريد والسكة الحديدية والمحال التجارية

---

(١) تشير الرسالة المبعوثة من الاسبتالية والمدرسة الطبية بتاريخ أول ربيع الأول سنة ١٢٨٥ (دفتر ٤١١ مدارس عربى ص ١٦٩ رقم ٣٨) إلى كثرة الكتب المترجمة فى المدارس والحاجة إلى المترجمين والمصححين

(٢) دفتر ٥٥٧ معية تركى ص ٥٠ رقم ٧

(٣) عبد الرحمن الرافعى بك — عصر إسماعيل (جزءين)

والبنوك وتراجمة القنصليات والمحاكم المختلطة » . وعلق إلياس الأيوبى[1] على أعمال المدارس الأوربية قائلا : « إن الإنصاف يقضى علينا بأن نعترف مع المستر ماك كون بأنها عملت عملا محموداً على تقدم العلوم فى البلاد بين طبقات الأمة . وأنها وضعت نصب عينها التعليم الجيد أولا ثم السعى إلى نشر الدين . فكان هذا سرّ نجاحها وتوافد الطلبة عليها من كل ملة ونحلة وجنس » . ونضيف إلى ذلك أنها هيأت أبناء كبار المصريين للاختلاط بالغربيين وساعدت على انتشار اللغة الأجنبية وتكوين فئة من المترجمين فى زمن كانت فيه البلاد فى حاجة ماسة إليهم بسبب تعدد الجاليات الأوربية وسعة نفوذها .

الترجمة فى المصالح والدواوين

وجوب استعمال اللغة العربية

ظلت اللغة التركية حتى أوائل عصر إسماعيل لغة البلاد الرسمية . وقد وطد الخديو عزمه لأغراض اجتماعية وسياسية على إبطال استعمالها فى المصالح والدواوين و إحلال اللغة العربية محلها .

وتلك الأغراض ملموسة ولو أنها غير مثبتة فى الوثائق الرسمية . فقد أراد الخديو إلغاء قيد من القيود التى كانت تربط مصر بالباب العالى ، وذلك بالتخلص تدريجاً من خدمة الموظفين الأتراك كما أنه أراد إفساح مجال العمل لأبناء البلاد المتعلمين وتكوين طبقة من الموظفين الأهليين ينافسون الأتراك فى الوصول إلى المناصب العالية وكان وجوب استعمال اللغة العربية فى مصالح الدولة أمضى سلاح وضعه الخديو فى أيدى المصريين .

وقد عثرنا على أول وثيقة لتمصير الدواوين ، وهى الأمر الكريم الصادر إلى

---

(١) إلياس الأيوبى — عصر إسماعيل (جزءين)

الداخلية بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٢٨٣[١] . « بلزوم جمع صور الأوامر واللوائح وكل ما سبق صدوره من الإجراءات من زمان تولية ساكن الجنان المرحوم محمد على باشا جد الجناب العالى لغاية مدة المرحوم سعيد باشا بكتابة ويطبع منه خمسماية نسخة . فما كان عربيا يطبع كما هو وما كان تركيا يطبع معه ترجمته بالعربية » .

الأمر سابق لأوانه

وقد نوهنا سابقاً بالأمر الكريم الصادر سنة ١٢٨٦ باستعمال اللغة العربية فى دواوين الحكومة ومصالحها ، ودلت التجربة على أن صدور هذا الأمر كان سابقاً لأوانه بالنظر إلى قلة عدد المتعلمين فى البلاد ولا سيما بعد إغلاق المدارس فى عصرى عباس وسعيد . فحدث بعض الارتباك لعجز بعض الدواوين عن تطبيقه كما يتبين ذلك من الأمر الصادر إلى ناظر الجهادية فى ٢٨ شوال سنة ١٢٨٦ الذى جاء فيه — « لقد اطلعنا على كتابكم المؤرخ ٢٦ شوال سنة ١٢٨٦ رقم ٢٧ بخصوص إرادتنا الصادرة إليكم بأن تكون كافة المخاطبات بين جميع الدواوين والمصالح الأميرية وسائر الجهات فى داخل الحكومة باللغة العربية فيما بعد ، وأنكم وإن كنتم قائمين بموجبها فإنه لوقوف جميع قومندانات الألوية وميرالايانها وأكثر ضباطها على قراءة وكتابة التركية ولأن المخاطبات والخلاصات الجارى صدورها من الجهادية بخصوص الإجراءات تصدر باللغة التركية وأن بعض القوانين الموضوعة باللغة العربية بمقتضى إرادتنا السنية قد صار ترجمتها إلى اللغة التركية وباقى هذه القوانين جار ترجمته ، فلذلك تستحسنون أن تكون المخاطبات والخلاصات باللغة التركية كما كان جارياً من قبل ، فبناء على هذه الأسباب قد وافقت إرادتى على إجراء مخاطبات الجهادية باللغة التركية كما كانت جارية فى العهد القديم فلاجراء موجبه على هذا الوجه قد أصدرنا أمرنا هذا وأرسلناه إليكم »[٢] .

---

(١) دفتر ١٩١٦ أوامر عربى ص ١١٥ رقم ٢٠٤

(٢) محفوظات عابدين

واضطر الخديو فى معالجة هذه الحالة إلى إصدار أمره بتاريخ ٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٢[1] إلى ديوان المدارس « بخصوص تخصيص فرقة أو فرقتين من تلامذة المدارس لتعليمهم فن الكتابة التركية والعربية والترجمة من اللغتين المذكورتين لبعضهما مع ما يلزم أيضاً تعليمه إليهم من الحسابات وكل من تقدم منهم واستعاد للقيام بأداء هذه الوظيفة يرسل إلى الدواوين الأميرية لزيادة التمرين و إتقان هذا الفن حتى أنه عند الاحتياج واللزوم لاستخدام كتاب بالدواوين والمصالح الأميرية يؤخذ منهم . وأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم لتعلموه وتجروا إيجابه كما هو مطلوبنا — حاشية — ولو أنه ذكر تخصيص فرقة أو فرقتين لكن استنسب لدينا الاكتفى بتخصيص فرقة واحدة الآن » .

نفوذ الجاليات الأجنبية وإنشاء أقلام الترجمة

و إذا كان نفوذ الجاليات الأوربية قد تضاءل فى عهد عباس باشا فإنه استشرى فى عهدى سعيد و إسماعيل . و بلغ عدد الأجانب سنة ١٨٧٩ مائة ألف نسمة . وساعد فتح قناة السويس ومدّ السكك الحديدية والأسلاك البرقية وغير ذلك على ازديادهم نشاطاً . فتعاطوا التجارة والصناعة وأسسوا المصارف والشركات ، ودخلوا فى خدمة الحكومة مديرين أو فنيين ولا سيما بعد أن اضطربت الحالة المالية ، وكثرت الديون وعجزت خزانة الدولة عن الدفع . فبديه أن يزداد استعمال اللغات الأجنبية فى البلاد ، والدواوين الحكومية خاصة .

وكان سعيد باشا قد أنشأ بعض الأقلام الإفرنجية لتصريف أمور الأجانب وتيسير العلاقات بينهم و بين المصريين . فأملت الحاجة فى عصر إسماعيل عليه الزيادة فى عدد هذه الأقلام . ويرجع إنشاء أول قلم افرنجى فى هذا العصر — على ما نعلمه — إلى سنة ١٢٩٠ ، ففى ٣ ربيع الأول من هذه السنة أصدر الخديو أمره إلى المجلس

---

(١) دفتر ٨ أوامر ص ٨ رقم ٦

الخصوصى «بلزوم ترتيب قلم افرنكى به مركب من رئيس ومساعد يكونين أورباو يين ومترجمين اثنين من أبناء الوطن يكون أحدهما له اقتدار على الترجمة بالفرنسية والثانى مقتدراً على الترجمة بالإنجليزية[١]» وهذا أيضاً أمر آخر بتاريخ ٩ محرم سنة ١٢٩٢ : « بلزوم ترتيب قلم افرنكى بالداخلية حيث نظارة الحقانية والتجارة يلزم تحرير مكاتبات منها باللغة الإفرنكية و بالضرورى يقتضى أن تتخابر مع الداخلية فيما يستوجب ذلك كما أنه لا يخلو الحال من حصول مخاطبات من الداخلية أو إليها بتلك اللغة »[٢] وكان أهم اختصاصات القلم الإفرنجى التحرير لا الترجمة بخلاف قلم الترجمة بنظارة الجهادية الذى كان يتولى ترجمة الكتب المدرسية والتقارير والمراسلات .

مصلحة البريد وفائدة الأقلام الإفرنجية

ويجب ألا نغض من فائدة الأقلام الإفرنجية فإن أعمال بعض المصالح الحكومية كالبريد والجمرك كانت كلها باللغة الأجنبية . ولكى يتضح ذلك اتضاحاً مقنعاً نذكر كيف أنشئت مصلحة البريد .

كان محمد على باشا قد رتب بريداً رسمياً [٣] يحمل على أيدى السعاة براً وفى السفن بحراً . واقتدى خلفاؤه به فلم يزيدوا على ما فعل شيئاً . ولولا إقدام الدول الأجنبية و بعض أفراد الجاليات الغربية على إنشاء مكاتب بريدية فى الإسكندرية والقاهرة وغيرهما لاستمرت البلاد المصرية محرومة المواصلات البريدية كما كانت فى عهد إسماعيل .

وأشهر هؤلاء الأجانب السينيور موتسى الإيطالى وكان إلى سنة ١٨٦٥ قائماً لحسابه الخاص بأعمال بريدية عامة فى العاصمتين يساعده طائفة من مستخدمين بأجور يدفعها إليهم لقاء تسلم الرسائل حتى الرسمية منها . فرأى إسماعيل أن استمرار وسيلة مهمة كهذه من وسائل المواصلات فى يد إدارة فردية غير حكومية مع حاجة الحكومة

(١و٢) محفوظات عابدين

(٣) اقتبسنا هذه التفصيلات من كتاب إلياس الأيوبى

نفسها إليها أمر يشين الحكومة المصرية كثيراً لأنه ينم عن تأخرها فى هذا المضمار الذى سبقت فيه الدول المتمدنة . فاشترى مصلحة البريد من ذلك الإيطالى النشيط وأنعم عليه بلقب « بك » وأبقاه مديراً لها إلى سنة ١٨٧٦ فأبقى موتسى بك مستخدميه القدماء فيها . وكان بعضهم من الإيطاليين وبعضهم خليطاً من السوريين والفرنسيين والاغريقيين والنمسويين والروس والمصريين . وكان العمل يجرى باللغة الإيطالية . وضمت المصلحة إلى نظارة التجارة بأمر مؤرخ ١١ ربيع الثانى سنة ١٢٩٢[(١)] .

قلم الترجمة بالمعية السنية

وقد تساءلنا هل كان لدى المعية السنية قلم ترجمة تحت تصرف الخديو كما كان الأمر فى عهد محمد على باشا ؟ والجواب عن ذلك أننا لم نتمكن من العثور على أى دليل يثبت وجود هذا القلم . حقاً أن الخديو كان لدية قلم أوربى وسكرتير أوربى للتحرير باللغات الأوربية والاتصال بنزلاء مصر ولكن الخديو لم يكن شخصياً فى حاجة إلى المترجمين ، إذ كان يجيد اللغة الفرنسية وكانت هى وقتئذ اللغة الدبلوماسية . و إذا أراد الاطلاع على ما كان يكتب بسائر اللغات الأوربية أرسله إلى الخارجية لترجمته. هذا ما استنتجاه من رسالة شريف باشا مأمور الخارجية إلى المعية بتاريخ ٢١ ربيع الثانى سنة ١٢٧٩ يخبرها بأنه أرسل ترجمة المقال المنشور فى صحيفة « التيمس » الإنجليزية الذى طلب منه ترجمته[(٢)] .

الترجمة فى المحاكم

المحاكم التجارية المختلطة

سبق أن ألمعنا إلى المحاكم التجارية المختلطة فى عهد سعيد باشا ، وقلنا إنها كانت فى عصر اسماعيل مقصورة على الإسكندرية والقاهرة وكانت محكمتا التجارة فى القاهرة والإسكندرية مختصين بالنظر فى القضايا التجارية بين بعض الأجانب والأهالى ؛ وكان كل من هاتين المحكمتين مؤلفة من رئيس وطنى ومن محلفين وطنيين ومحلفين أجنبيين وكان لدى كل محكمة مترجم .

---

(١) محفوظات عابدين

(٢) دفتر ٥٣٤ معية تركى .

تنظيم القضاء وإنشاء المحاكم المختلطة

فكر إسماعيل أول عهده ، فى إلغاء المحاكم التجارية وإبدالها بمحاكم مختلطة منظمة تنظر قضايا الأجانب جميعاً . ولكن تركيا وفرنسا وقفتا فى سبيل هذا المشروع فلم تنته المفاوضات إلا فى سنة ١٨٧٥ . ولما كانت اللغة الغالبة على قضاة تلك المحاكم هى اللغة الفرنسية أو الإيطالية ، جرت المرافعات بهاتين اللغتين ، ولا سيما الأولى منهما وإن كانت اللغة العربية مقررة رسمياً بمقتضى لائحة الترتيب النظامية . فكان لوجود تلك المحاكم أثر محسوس فى نشاط حركة الترجمة فى مصر .

نقل القوانين الحديثة

وكانت البلاد مفتقرة أيضاً إلى القوانين . فصار من أهم أعمال المترجمين نقل القوانين الحديثة عن الفرنسية وهى المعروفة ب « كود » نابليون طبعت بمصر سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) فى ثلاثة مجلدات منها — القانون المدنى نقله رفاعة بك وعبدالله بك أبوالسعود وأحمد حلمى وعبد الله أفندى ، وقانون المحاكمات وقانون الحدود والجنايات . وترجم رفاعة بك أيضاً قانون التجارة الفرنسى . وهذا هو أساس المنقولات القضائية الجديدة . وكذلك ترجمت فى ذلك العهد قوانين المحاكم المختلطة إلى العربية وطبعت بمصر سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) .

القضاة

بقيت لنا كلمة وجيزة فى القضاة المصريين بالمحاكم المختلطة . وكان ينص الاتفاق الخاص بإنشاء المحاكم المختلطة على وجود عدد معين من القضاة المصريين يحكمون فى القضايا بالاشتراك مع زملائهم الأجانب . ولا يخفى أن رجال القانون المصريين بالرغم من وجود مدرسة الإدارة « لم يكن لهم وقتئذ العلم الكافى لحسن سير القضايا » [١] . فكانت الحكومة تؤثر من يعرفون اللغات الأجنبية على غيرهم من ذوى الكفايات القانونية . لذلك وقع اختيارها بوجه خاص على المتخرجين فى مدرسة الألسن ومن فى طبقتهم كما سنبينه فى سيرة بعض المترجمين فى عصر اسماعيل .

(١) من أقوال شريف باشا (الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) .

الترجمة فى الصحافة

(المونيتور إيجبسيان) "Le Moniteur Egyptien"

كان عدد الصحف المنتشرة فى عصر إسماعيل سبعاً وعشرين ، تسع منها باللغة العربية وواحدة باللغتين التركية والعربية ، وواحدة باللغة العربية والفرنسية والإيطالية ، وبقية الصحف باللغة الفرنسية أو الإيطالية أو اليونانية .

وأهم إجراء اتخذه إسماعيل فى عالم الصحافة هو إصدار جريدة رسمية باللغة الفرنسية عنوانها "Le Moniteur Egyptien" (المونيتور إيجبسيان)

وكانت الوقائع المصرية تطبع باللغة التركية والعربية . وكانت النسخة التركية « روزنامة وقائع مصرية » مطابقة تمام المطابقة للنسخة العربية من حيث الشكل والموضوع معاً .

وبالنظر لاتساع الجاليات الأجنبية فى مصر قرر إسماعيل إصدار الوقائع باللغة الفرنسية ففى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٩١ صدر أمر كريم للمالية[1] فحواه — « قد علمنا من إنهاكم الرقيم ٢٦ شوال سنة ١٢٩١ نمرة ٢٩ أن الباشا ناظر الخارجية حرر للمالية عما صدر به أمرنا إليه شفاهاً بلغو و إبطال اسم « جورنال إيجبت » الذى سبق توقيف طبعه ونشره من ١٧ يوليو سنة ١٢٧٤ (١٢٩٠) نظراً لضرورات اقتضتها الأحوال وأن يصير تسميته بجورنال « مونيتور إيجبسيان » وأعمال ترتيب جديدة عن مستخدميه » .

وكانت الحكومة هى التى تتحمل جميع ما يتطلب إصدار هذه الجريدة من النفقات . وعينت المسيو بوسنو مديراً لها ، وكان مقرها الإسكندرية فى ذلك الحين . ولم نعرف على وجه الدقة عدد المحررين والمترجمين الذين كانوا يقومون بأعمالهم فيها

(١) دفتر عربى بدون نمرة ص ٤٩

وكذلك لم نقف على أسمائهم ، ومن بين الوثائق القليلة التى عثرنا عليها الأمر الكريم الذى صدر للمالية بتاريخ ٢١ صفر سنة ١٢٩٢[1] فى هذا الشأن ونصه : « عرضنا لطرفنا أنها كم رقم ٨ صفر سنة ١٢٩٢ نمرة ١٣١ وعلمنا أن الباشا ناظر الخارجية كتب للمالية بأن مكتب جورنال مونيتور إيجبسيان بالإسكندرية كان معطى له محال مجاناً بالسراى الكائنة بالمنشية المعروفة بمنزل طوسيجه ، وأنه لمناسبة استعداد هذه السراى للمجالس المستجدة صار نقل ذلك المكتب إلى محل حصل تأجيره بمبلغ ألف وستين فرنك » .

أعيان مترجمى هذا العصر وأشهر ما ترجموه

برز فى عصر إسماعيل عدد غير قليل من المترجمين ، لمعت أسماء بعضهم فى مناصب عالية وظل الآخرون يؤدون عملهم فى المدارس والدواوين . وكان أشهرهم قد تخرجوا فى مدرسة الألسن بين سنة ١٢٥١ وسنة ١٢٥٨ أى فى عهد محمد على باشا . فأتقنوا لغاتهم وأدوا عملا لا يستهان به .

رفاعة بك

كان رفاعة بك فى هذا العصر رجلا أدركته الشيخوخة ، وأنهكته الأعمال الكثيرة واعتراه القنوط . هذا إلى أن ما أصابه من عداوة عباس باشا و إهمال سعيد باشا كانا سبباً فى خمود نشاطه . وحاول إسماعيل اعترافاً بكفايته وخدماته الجليلة أن يعوضه عما أصابه فى هذين العهدين فمنحه هبات مالية وعينه رئيساً لقلم الترجمة بديوان المدارس وعضواً فى مجلس هذا الديوان . وكان يعهد إليه ببعض الترجمات المستعجلة أو المهمة .

ومن بين ما اطلعنا عليه من الوثائق الأمر الكريم الصادر إلى مدير ديوان المدارس

---

(١) دفتر عربى بدون نمرة ص ٩٤

بتاريخ ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٨٢[1] وهو يتضمن أنه « بناء على التماس حكمدار السودان يكلف رفاعة بك بترجمة الباقى من كتاب ملطبرون (الجغرافى) ويعهد إليه أيضاً أمر ترجمة كتاب الربان (اسبيك) الإنجليزى المرسل نسخة إفرنسية منه والباحث فى شئون سكان وادى النيل من منبعه إلى مصبه ليرسل إليه بعد طبعه ٥٠ نسخة عربية منه لتدريس تلاميذ المدارس السودانية وتوزيعها على الضباط والموظفين الملكيين » .

ولكن رفاعة بك لم يعد قادراً على أن ينتج فى هذا العصر ما كان ينتجه فى عصر محمد على باشا ومن ترجماته فى هذا العهد :

— القانون المدنى (الجزء الأول من الكود الفرنسى) بالاشتراك مع عبد الله بك أبو السعود رئيس قلم الترجمة وأحمد حلمى بك وعبد السلام أفندى . طبع سنة ١٢٨٣

— قانون التجارة الفرنسى . طبع سنة ١٢٨٥ .

السيد صالح مجدى بك (باشا)

ولد سنة ١٨٢٧ وتوفى سنة ١٨٨٨ . تلقى مبادىء العلم بمدرسة حلوان ، ثم انتقل إلى مدرسة الألسن فأتقن العربية ودرس الفرنسية ومهر فى الترجمة على يد أستاذه رفاعة بك ، ثم التحق بقلم الترجمة وكانت كتب التدريس فى العلوم الرياضية يومئذ لا يزال معظمها باللغة الفرنسية فتخصص فى ترجمتها ثم أحيل فى سنة ١٢٧١ إلى آلاى المهندسين والكبورجية ، وتولى ترجمة ما طلبت ترجمته من الفنون الحربية وتصحيحه وانتقل فى عهد إسماعيل إلى قلم الترجمة وتولى رياسته ، ولما أنشئت المحاكم المختلطة عين قاضياً بمحكمة مصر وشغل هذا المنصب حتى توفى . وكان صالح بك يحسن الإنشاء وفنون الكتابة . ومن أهم مترجماته :

---

(١) دفتر ٥٥٧ معية تركى رقم ٥

— كشف رموز السر المصون فى تطبيق الهندسة على الفنون (الجزء الثانى فقط) طبع سنة ١٢٦٢

— الدر المنثور فى الظل المنظور . نقله من اللغة الفرنسية (جزءان فى مجلد واحد) . طبع سنة ١٢٦٩

— النخبة الحسابية للمدارس العسكرية طبع سنة ١٢٦٩

— بغية الطلاب فى قطع الأحجار والأخشاب . نقله من اللغة الفرنسية . (مجلدان) الأول يحتوى على المتن والثانى به خمس وعشرون لوحة بها أشكال الكاتب . طبع سنة ١٢٧٠

— الروضة السندسية فى الحسابات المثلثية . طبع سنة ١٢٧٠

— طوالع الزهر المنيرات فى استكشاف الترع والنهيرات . طبع سنة ١٢٧٤

— ميادين الحصون والقلاع ورمى القنابل باليد . طبع سنة ١٢٧٥

— تذكير المرسل بتحرير المفصل والمجمل . طبع سنة ١٢٧٦

— المطالب المنيفة فى الاستحكامات الخفيفة . طبع سنة ١٢٧٨

— استكشافات عمومية .

— الاستحكامات القوية .

— كتاب الطوبوغرافية والجيولوجيا .

— كتاب فى الميكانيكا النظرية .

— كتاب فى الميكانيكا العملية .

— كتاب فى حساب الآلات .

— كتاب فى حفر الآبار .

— رسالة فى الأرصاد الفلكية من تأليف آراجو .

عبد الله أبو السعود بك

أول صحفى سياسى ظهر فى تاريخ مصر الحديث ، تلقى العلم فى مدرسة البدرشين ثم انتقل إلى مدرسة الألسن وتخرج فيها على يد رفاعة بك وأتقن اللغات العربية والفرنسية والإيطالية . وارتقى فى المناصب حتى صار فى عهد إسماعيل باشا رئيساً لقلم الترجمة . وعلاوة على ما ألف ترجم عدداً من الكتب نذكر منها :

— نظم اللآلىء فى السلوك فى من حكم فرنسا من الملوك . نقله من اللغة الفرنسية وجعل فى آخره جدولاً زمنياً يتضمن مقابلة تاريخ الهجرة بتاريخ الميلاد . طبع سنة ١٢٧٥

— قناصة أهل العصر فى خلاصة تاريخ مصر ويعرف بتاريخ قدماء المصريين تأليف أوغست ماريت بك . ترجمه من الفرنسية بأمر من نظارة المعارف المصرية وضم إليه على سبيل الختم ضميمتين ، إحداها فهرست المسائل التاريخية الواردة به ، والثانية فهرست الأعمال الغريبه الواردة فيه . طبع سنة ١٢٨١

— ترجمة القانون المدنى من الكود الفرنسى بالاشتراك مع رفاعة بك . طبع سنة ١٢٨٣

— قانون المحاكمات والمخاصمات فى المعاملات الأهلية المعتادة . عربه من الكود الفرنسى بالاشتراك مع حسن افندى فهمى . طبع سنة ١٢٨٣

— الدرس المختصر المفيد فى علم الجغرافية الجديد . تأليف فورتانبير الفرنسى . طبع سنة ١٢٨٦

— فرجة المتفرج على الأنتيقة خانة الخديوية الكائنة ببولاق مصر المحمية ، وهى عبارة عن وصف نخبة الآثار القديمة المصرية الموجودة فى خزينة المتحف العلمية المصرية . طبع سنة ١٢٨٦

— باشر ترجمة تاريخ عام مطول واسمه « الدرس التام فى التاريخ العام » . طبع منه قسم سنة ١٢٨٩

— ترقية الجمعية بالكيمياء الزراعية أو تدفق الجماعة لتطبيق الكيميا على الزراعة . تأليف فيليكس ملجوتى الفرنسى . طبع سنة ١٢٩٠

— تاريخ الديار المصرية فى عهد الدولة المحمدية العلية . وهو القسم الثالث من الكتاب المسمى « فوائد جغرافية وتاريخية عن الديار المصرية » . تأليف برنار الفرنسى . طبع سنة ١٢٩٢

أحمد بك ندى

— اشتهر بالصيدلة ، وتلقى هذا الفن فى قصر العينى ، ثم سافر إلى باريس مع البعثة الخامسة للتفقه فيه ودرس صناعة الصابون وشمع العسل ، وعين بعد عودته استاذاً للتاريخ الطبيعى ، ثم مترجماً للدكتور جاستينيل بك الكيماوى وما زال عاملا على التعليم والتأليف والترجمة حتى توفى سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) . ومن مترجماته :

— حسن البراعة فى فن الزراعة من تأليف الدكتور فيجرى بك ، مجلدان يليهما نبذة فى المفردات الطبية والاستحضارية الاقرباذينية . طبع سنة ١٢٨٣

— الحجج البينات فى علم الحيوانات ، نقله عن الفرنسية . طبع سنة ١٢٨٣

— نخبة الأذكياء فى علم الكيمياء . من تأليف جاستينيل بك . نقله إلى العربية فى جزءين صدرا سنة ١٢٨٦ فى الكيميا المعدنية وغير المعدنية . وترجم الجزء الثالث فى الكيمياء النباتية ، والرابع فى الكيميا الحيوانية .

— الأزهار البديعة فى علم الطبيعة من تأليف جاستينيل بك . ترجمه إلى العربية فى جزءين طبعا فى سنة ١٢٩١ الأول فى الطبيعة والآخر فى الظواهر الجوية .

أحمد عبيد بك الطهطاوى

— من نوابغ خريجى مدرسة الألسن ورئيس قلم الترجمة بوزارة الحربية وكان وكيلا للمحكمة التجارية بالقاهرة ، ثم عين قاضياً بمحكمة الإسكندرية المختلطة سنة ١٨٧٥ . ومن مترجماته :

— الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر . تأليف الفيلسوف الشهير بوليتير ، ترجمه عن الفرنسية . طبع سنة ١٢٦٦

— تعليمات البيادة ومناوراتها . ترجمه من الفرنسية . بدون تاريخ

— تعاليم الخيالة ومناوراتها . ساعده فى ترجمته رمضان شكرى . طبع سنة ١٢٨٤

— تعليم السوارى . ترجمه بالاشتراك مع مصطفى صفوت وعبد السلام سلمى . طبع سنة ١٢٨٤

— القانون الخامس وهو تعليم الأورطة البيادة . طبع سنة ١٢٨٤

— فى تعليم الشرخجية . طبع سنة ١٢٨٥

محمد عثمان جلال بك

— واضع أساس القصة الحديثة فى الأدب العصرى . ولد سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩) وتعلم اللغات فى مدرسة الألسن ، فهو من تلاميذ رفاعة بك ، ثم دخل فى سنة ١٨٤٤ فى قلم الترجمة ، ثم انتدبته الحكومة لأعمال الكتابة فى وزاراتها إلى أن استوزره توفيق باشا .

وكان ميالا إلى الفن الروائى يجيد ترجمة مؤلفاته مع تمصير ما يترجمه أحياناً ، وكانت تمثل رواياته على المسارح المصرية . وكان بالعامية المصرية مشغوفاً .

وآخر ما تولاه من المناصب منصب القضاء فى المحاكم المختلطة فى سنة ١٨٨٨ وأحيل على المعاش سنة ١٨٩٥ وكانت وفاته سنة ١٨٩٨ . وله مؤلفات نقل بعضها من اللغة الفرنسية وهى :

— أمثال لا فونتين . نظمها بالشعر ودعاها « العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ » .

— التحفة السنية فى لغتى العرب والفرنسوية .

— رواية بول وفرجينى .

— رواية « تارتوف » للكاتب الفرنسى موليير عربها بتصرف وسماها « الشيخ متلوف » بعد أن أسبغ عليها مسحة مصرية .

— الروايات المفيدة فى علم التراجيدة . نظم الروائى الفرنسى راسين . نقلها إلى اللغة العربية العامية نظماً .

— الأمانى والمنية فى حديث قبول وورد جنة .

محمد قدرى باشا

ولد سنة ١٨٢١ من أب أناضولى وأم مصرية وتلقى التعليم الأولى بمكتب ملوى ثم التحق بمدرسة الألسن على عهد رفاعة بك . فظهر نبوغه وميله إلى العلم والترجمة . و بعد أن تخرج فيها جعل مترجماً مساعداً بها ، واتجه ميله إلى دراسة علوم الفقه ومقابلة الشريعة الإسلامية بالقوانين الأوربية . وظل يشغل منصب الترجمة فى الحكومة إلى أن قربه الخديو إسماعيل واختاره مربياً للأمير محمد توفيق . ثم عين بالمعية فالمحكمة التجارية بالإسكندرية . ثم كان رئيساً لقلم الترجمة بوزارة الخارجية ، واشترك فى ترجمة الكود فترجم قانون الحدود والجنايات واختص كذلك بترجمة قوانين المحاكم المختلطة تمهيداً لوضع قوانين المحاكم الأهلية الجديدة . وجعل مستشاراً بمحكمة الاستئناف المختلطة ، وتولى وزارة الحقانية فى وزارة شريف باشا سنة ١٨٨١ وتوفى سنة ١٨٨٦ .

محمود حمدى باشا الفلكى

(١٨٠٥ — ١٨٨٥) — تعلم فى مدرسة الإسكندرية وانتقل منها إلى غيرها من المدارس الأميرية ، وكان يميل إلى الرياضيات . فأرسلته الحكومة إلى أوربا سنة ١٨٥١ للاستزادة منها ، ونال عليا الشهادات الدراسية وتولى بعد ذلك التدريس فى المهندسخانة ، ولم يتخذ الترجمة حرفة ولكن مؤلفاته كان بعضها يظهر باللغة الفرنسية و بعضها باللغة العربية . فكان عند علماء الإفرنج أثيراً . ومما ترجمه — «حسن التفاضل والتكامل» من تأليف شفيق منصور يكن بك . طبع سنة ١٣٠٠

إسماعيل مصطفى باشا الفلكى

كان مولعاً بالرياضيات ، وقد أرسلته الحكومة إلى باريس لإتقان تعلمها . وهو يعد من مشهورى علماء هذا العصر . وترجم كتاب « التحفة المرضية فى المقاييس والموازين المترية » وشاركه فى ترجمتها صادق بك شنن . وله تقاويم فلكية كان ينشرها كل عام باللغتين العربية والفرنسية .

حسن بك عبد الرحمن

تخرج فى مدرسة الطب بقصر العينى ، ثم تولى تدريس التشريح فيها ، ونبغ فى هذا الفن وترجم كتابْ « القول الصحيح فى علم التشريح » طبع سنة ١٢٨٣ بإرشاد محمد على باشا البقلى الذى كان ناظراً لمدرسة الطب وتوفى سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥) .

عبد الرحمن على بك

توفى سنة ١٣٠٦ ومما ترجمه :

— تذكار الشجعان فى إصابة النيشان . طبع سنة ١٢٨٩
— غنيمة العسكرية فى بعض قواعد حربية . طبع سنة ١٢٨٩
— الأزهار الرياضية فى الأعمال الطوبوغرافية . طبع سنة ١٢٩١

خليفة محمود أفندى

من خريجى مدرسة الألسن ، ومن أنبغ تلاميذ رفاعة بك . التحق بقلم الترجمة وصار رئيساً للقسم الخاص بترجمة التاريخ والأدب . وله مترجمات كثيرة فى علم التاريخ منها :

« اتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى بلاد أوربا وهو مقدمة لتاريخ الإمبراطور شارلكان امبراطور ألمانيا وملك أسبانيا لروبيرتسون وليم المؤرخ الإنجليزى » . طبع سنة ١٢٥٨ وأعيد طبعه سنة ١٢٦٦ بعنوان « اتحاف ملوك الزمان بتاريخ الإمبراطور

شارلكان » وألف كتاب « قلائد الجمان فى فوائد الترجمان » وهو كتاب لتعليم كل من اللغات العربية والتركية والفرنسية . طبع سنة ١٢٦٦

حسين حسنى باشا

من خريجى مدرسة المهندسخانة بالقاهرة . تولى تدريس العلوم الرياضية بها ثم انتقل إلى مطبعة بولاق سنة ١٢٦٨ كاتباً ومصححاً بالوقائع المصرية وارتقى فى وظائف مطبعة بولاق حتى أصبح ناظراً لها . ولم يعد من المترجمين إلا أنه ترجم من اللغة التركية إلى اللغة العربية كتاب « الدر النثير فى النصيحة والتحذير » طبع سنة ١٢٩١ . وهو يشمل حكايات حكمية على لسان الحيوانات .

حسن محمود باشا

(١٨٤٨ — ١٩٠٦) تلقى علومه بالمدرسة الحربية . ثم أوفدته الحكومة سنة ١٨٦٢ فى بعثة مدرسية إلى ألمانيا لدراسة الطب . وعاد سنة ١٨٧٠ فعين أستاذاً للتشريح فى مدرسة قصر العينى إلى أن صار ناظراً لها . وله مؤلفات أبحاث قيمة ، وهو الذى ترجم « كتاب فى الرمد الصديدى » تأليف الدكتور روثيريو الكحال . طبع سنة ١٢٩٥ وأعيد طبعه سنة ١٣٠٨

أحمد بك

من تلاميذ البعثة الأولى . تخصص فى فرنسة لدراسة الفنون الحربية وترجم كتاب « النخبة السنية فى الأصول الهندسية » لصادق بك شنن . طبع سنة ١٢٩٩ وأعيد طبعه سنة ١٣٠٣

جليلة تمرهان

وهى حبشية الجنس . دخلت والدتها مدرسة القوابل لتلقى فن القبالة فيها ، ولما ماتت خلفتها ابنتها جليلة هذه . وألفت فى هذا الفن كتاباً اسمه « محكم الدلالة فى أعمال

القبالة » طبع سـنة ١٨٢١ . وهو منقول عن كتاب افرنجى ، ونشرته فى مجلة اليعسوب .

محمد أحمد بن عبد الرازق

أحد مدرسى اللغة الفرنسية فى المدارس الملكية المصرية توفى سنة ١٢٩٠ . ترجم كتاب «غاية الأرب فى خلاصة تاريخ العرب» من تأليف المؤرخ الفرنسى سيديللو . طبع سنة ١٢٨٩ .

محمود فهمى أفندى

لا أدرى أهو محمود فهمى باشا الذى صار فيما بعد قائداً عسكرياً وأحد أقطاب الثورة العرابية ؟ . فقد ذكر على ظهر المجلد الذى ترجمه من الفرنسية سنة ١٢٧٥ ، وهو « جامع المبادئ والغايات فى فنّ أخذ المساحات » أنهُ أحد خوجات مدرسة المهندسخانة السعيدية . وإذا كان قد ولد سنة ١٢٥٥ فلعله نال شهاداته العليا فى سن العشرين ، وعين على الفور مدرساً للهندسة . ومعلوم أن علم الهندسة ولا سيما فى ذلك العصر كان وثيق العلاقة بالفنون العسكرية .

هؤلاء هم الذين برزوا فى هذا العصر فى فن الترجمة ، وقد عرفنا أسماء مترجمين آخرين إلا أننا لم نقف على سيرتهم ، وهم :

على افندى عزت — مدرس رياضة بالمهندسخانة .

له ترجمة كتاب « حسن الصيغة فى علم الطبيعة » (مجلدان) طبعا سنة ١٢٧٠

زيور افندى — بالمعية السنية

« رسالة فى المقاييس والمكاييل العملية بالديار المصرية » وضعها محمود حمدى باشا الفلكى باللغة الفرنسية . طبع سنة ١٢٩٠ .

أحمد زكى — أحد معلمى الرياضة واللغة الفرنسية بالمدارس الحربية .

له ترجمة كتاب « اللآلئ السنية فى تعليم قراءة الخرط الطوبوغرافية » . طبع سنة ١٢٩٠

بشارة شديد

ترجم « رواية الكونت دى مونتى كريستو » تأليف اسكندر دوماس (أتى بعبارات بسيطة ليكون ذلك سهلا على عامة الناس) . طبع سنة ١٢٨٨

ابراهيم مصطفى البياع الصغير

ترجم كتاب سياحة الهند تأليف أو بيرثولد ، وهو مختصر جمع غرائب الآثار الهندية القديمة وعادات أهلها . طبع سنة ١٢٦٥

حنين نعمة الله الخورى

ترجم كتاب « التحفة الأدبية فى تاريخ تمدن الممالك الأوربية » . تأليف « جيزه » . طبع سنة ١٢٩٤

حسن عاصم

ترجم خطبة رينان التى جعل موضوعها « الدين الإسلامى والأمة العربية » (ولم نقف على هذه الخطبة) .

أحمد نجيب

له كتاب « العقد النظيم فى مآخذ جميع الحروف من اللسان القديم » هو ترجمة كتاب المسيو بروكش ناظر مدرسة اللسان القديم . طبع سنة ١٢٨٩

سليمان رؤوف افندى

له المجلد الأول من كتاب ترجمة تعليمنا منه . عساكر بيا دكان . من اللغة العربية إلى اللغة التركية .

نخله صالح

له كتاب «الدرة الحقيقية البهية أوخروج الاسرائيليين من مصر والآثارات المصرية وما أورده عنها هنرى بروكش بك وكيل المدارس المجانية بمدينة مصر» (مطبوعة ومعها النص الفرنسى) . طبع سنة ١٨٧٤

مراد مختار أفندى — ناظر الـكتبخانة الخديوية سابقاً .

له — «قصة أبى على بن سينا وشقيقه أبى الحارث وما حصل منهما من نوادر العجائب وشوارد الغرائب» . ترجم من التركية . طبع سنة ١٢٩٧ . وأعيد طبعه سنة ١٣٠٥

عيسى ندور وسعيد البستانى — المترجمان بقلم الإحصاء .

لهما ترجمة «مبادىء فيما يتعلق بالديار المصرية من الإحصاء من سنة ١٨٧٢ إلى سنة ١٨٧٧ . محررة بمعرفة قلم الإحصاء بنظارة الداخلية» طبع سنة ١٢٩٦ (جزءان فى مجلد) .

جرجس بن هليا

له كتاب — «الفلاحة الروسية اليونانية» . تأليف قسطوس لوقا الرومى نقله من اللغة اليونانية طبع سنة ١٢٩٣

محمد سليمان — مدرس اللغة الإنجليزية .

له ترجمة — «قوانين وترقيات تتعلق بالسكة الحديدية» . طبع سنة ١٢٨٦ .

سليمان سليمان

له ترجمة — «كتاب تعليم السوارى الإنجليزى» طبع سنة ١٢٧٥

حسن مظهر

له ترجمة — «كتاب تعليم مدفع عيار ٤ ششخانة» طبع سنة ١٢٨٤

أحمد حمدى — أحد مدرسى المدرسة الحربية .

له ترجمة — « كتاب النبذة السنية فى تعبئة الجيوش العصرية » تأليف ادمون هورفلير . طبع سنة ١٢٨٨ .

محمد عثمان

— له ترجمة كتاب « حكم ونصائح فى فن العسكرية » .

— «قانون الحرب» . حرره رئيس عموم أركان حرب الجيش المصرى ستون باشا سنة ١٨٧٢ .

محمد أفندى بن أحمد بن صدقى

له كتاب « ملجأ الطباخين » . ترجم من اللغة التركية . طبع سنة ١٣٠٤

كجاردو بك — مترجم بنظارة الحقانية

ترجم قانون المسيو منولى الأفوكاتو الفرنسى . طبع سنة ١٢٩٠

نجيب بحرى أفندى .

ترجم كتاب « الأسلوب الوجيز فى لغة الإنجليز » جمع المستر بورك مدرس اللغة الإنجليزية بالمدارس الحربية المصرية . طبع سنة ١٢٩٥

محمد خلوصى	—	معيد انجليزى
محمد ثابت	—	مدرس ومترجم
اسكندر أفندى	—	رئيس قلم الترجمة بنظارة الخارجية
محمد ترابى	—	مدرس اللغة الإنجليزية
حمد الله أمين	—	مترجم بقلم الترجمة ثم معيد انجليزى
خليل زكى	—	مدرس اللغة الإنجليزية
ابراهيم عارف	—	معيد نمسوى
محمد مختار	—	مدرس فرنساوى

ابراهيم زين الدين — مدرس ثم كاتب بالدواوين ثم مترجم لمفتش المدارس الملكية .

محمد وصفى — مترجم ومتخرج فى مدرسة اللسان المصرى القديم

أحمد فخرى — شرحه

أحمد حسن — شرحه

حسين زكى — شرحه

ابراهيم متى — شرحه

أما المستشرقون الذين عاشوا فى مصر فى هذه الفترة فلم نقف منهم إلا على اثنين: البارون دى كريمر والمسيو كازيمرسكى .

كريمر Baron de Kremer[1]

ولد فى ڤينا فى مايو سنة ١٨٢٨ وتوفى فى ديسمبرسنة١٨٨٩ . ودرس أولا الفلسفة ودرس بعد ذلك العلوم الشرقية . ولما بلغ العشرين من عمره جال فى الشام ومصر ، وعين قنصلا فى الشرق مدة طويلة جمع خلالها مجموعة كبيرة من المخطوطات الشرقية (وهى الآن مودعة فى لندن) ترجم الجزء الأكبر منها وتولى طبعه ونشره .

وكان مقتدراً على التأليف فى علوم الشعوب الإسلامية لاتصاله المطرد بعلماء القبط والعرب . وعلم اللغة العربية فترة من الزمن فى مدرسة المهندسخانة بڤينا وعين سنة ١٨٥٨ وكيل قنصل ، وفى السنة التالية عين قنصلا فى مصر وبرح الديارالمصرية سنة ١٨٦١ ولكنه عاد إليها في سنة ١٨٧٥ قوميسيراً نمساوياً لصندوق الدين وفى فبراير سنة ١٨٨١ ترك خدمة الحكومة وأتقن دراسة العلوم الشرقية . ونشر بين حين وحين مقالات فى الجرائد معظمها عن أحوال مصر . وترأس سنة ١٨٨٦ مؤتمر المستشرقين فى ڤينا . ومن أهم ما ترجم :

(١) Bulletin de l'Institut Egyptien, 10 janvier 1890

— مقالات فى شعر عبد الغنى النابلسى

— ترجمة ديوان أبى نواس

— كتاب المغازى للواقدى

— القصيدة الحميرية لنشوانْ بن سعيد

— مقالات فى شعر أبى العلاء المعرى

— الأحكام السلطانية للماوردى

كازيمرسكى KAZIMIRSKI

ولد فى بولندا . وأقام فى فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة وقد نقل القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ، وترجمته معروفة بدقتها وسلاستها . ومن مترجماته :

— كتاب اللغتين العربية والفرنسية . وهو معجم عربى وفرنساوى . طبع بباريس سنة ١٨٤٥ وأعيد طبعه بمصر سنة ١٨٧٥ فى أربعة مجلدات بعد أن راجعه وصححه عبيد جلاب .

— حكاية أنيس الجليس منتخبة من كتاب ألف ليله وليله . ومعها ترجمة فرنسية طبع بباريس سنة ١٨٤٦

ومن المترجمات الرسمية فى هذا العصر :

— ترجمة مقالة جليلة حضرت خديو أفخمى فى بيان لائحة الانتخاب لأعضاء نواب مجلس شورى النواب) وحدود نظاماتها الصادرة فى ١٧ رجب سنة ١٢٨٣ (الوقائع المصرية) .

— ترجمة معالى جليله حضرت خديوى أفخمى فى بيان لائحة إنتخاب أعضاء نواب شورى ونظاماتهم ١٢٨٣

— لائحة حدود ونظام نامه مجلس شورى النواب . طبع سنة ١٢٨٣

— خلاصة تقرير المستر قاوان المتعلقة بسكة الحديد السودانى . طبع سنة ١٢٩٠

بين سـنة ١٨٨٠ و ١٨٩٩

ترددنا كثيراً قبل أن نشرع فى تأريخ حركة الترجمة فى العشرين سنة الأخيرة فى القرن التاسع عشر.

فإن الفترة بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٨٩٩ ليست إلا شطراً من عهد الاحتلال الذى يمتد إلى سنة ١٩٢٢ وهو التاريخ الذى اعترفت فيه الدولة المحتلة باستقلال مصر ، فغادر معظم الموظفين الأجانب مناصب الحكومة ، وابتدأت اللغة العربية تستعيد مكانتها حتى صارت من جديد لغة التعليم والعمل . فنحن أمام أمرين : إما إغفال هذه الفترة بأكملها ، وإما دراستها بأكملها .

على أننا أخيراً آثرنا بعد أن تعمقنا فى دراسة حركة الترجمة فى السنوات الثمانين من هذا القرن أن نلم بالفترة الباقية مع التنويه بأشهر المترجمين وما تركوه من آثار .

*
* *

ازدهرت الترجمة فى العشرين سنة الأخيرة من هذا القرن ازدهاراً لم يكن له مثيل فى العصور السابقة . وقد تناولت جميع نواحى الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية . وإذا كنا نرى الحكومة فى هذه الفترة تستمر فى تشجيع المترجمين للانتفاع بقدرتهم على ترجمة الكتب المدرسية ، والمراسلات الرسمية ، فإننا نجدها مع ذلك لم تتبع سياسة مستقرة فى تعليم اللغات أو إنشاء مدارس الترجمة لإعداد الطلبة أو إنشاء أقلام الترجمة فى المصالح والدواوين ، ويلوح أن أهم ما أثر فى الحياة العلمية هذا الأثر هو تلك الحالة السياسية المضطربة التى نشأت من تدخل الدول الأجنبية فى شئون مصر المالية . ثم تدخل الإنجليز فى شئونها السياسية فاحتلالهم لها عسكرياً إثر ثورة عرابى باشا .

الترجمة وتعليم اللغات فى المدارس

قال جرجى زيدان فى الجزء الرابع من كتاب تاريخ أدب اللغة العربية : « لما احتل الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ كانت قاعدة التعليم فى هذه المدارس اللغة العربية ومن أراد إتقان اللغات الأجنبية دخل مدرسة الألسن ، ومن هذه المدرسة يخرج المترجمون . ثم أخذت الحكومة بعد الاحتلال فى تنظيم المدارس على نسق جديد . وأهم ما حدث فيها إقفال مدرسة الألسن و إغفال البعثات إلى أوربا و إبطال التعليم المجانى وجعل قاعدة التعليم بإحدى اللغتين الإنجليزية والفرنسية . وقلت العناية باللغة العربيه رويداً رويداً . فبعد أن كانت معظم ساحات التدريس عائدة إلى إتقانها أخذت تتحول إلى اللغات الأخرى تدريجاً حتى صارت ساعات التدريس للعربية أقل من ساعات التدريس لسواها . فضعف شأن اللغة العربية » .

تقرير على باشا ابراهيم والترجمة

فى شهر مايو سنة ١٨٨٠ قدم المرحوم على باشا ابراهيم ناظر المعارف تقريراً إلى رياسة مجلس النظار يشمل عدة اقتراحات لنشر العلم وتوسيع دائرته والنهوض بمدارس نظارة المعارف . فرفعه رياض باشا رئيس مجلس النظار إلى الحضرة الفخيمة الخديوية مقترحاً تشكيل قومسيون (لجنة) لبحثه ورسم الخطة المثلى .

وإذا تعمقنا فى بحث هذا التقرير وجدناه منصرفاً بوجه خاص إلى إتقان تعليم اللغات الأجنبية فى المدارس الثانوية والخصوصية لإعداد تلاميذ المدارس الأميرية لمزاحمة إخوانهم المتخرجين فى المدارس الأوربية من مصريين ومتمصرين وأوربيين فى الوظائف الحكومية . واقترح على باشا ابراهيم لرفع مستوى المدرسين إنشاء مدرسة تسمى « دار العلوم التوفيقية » إلى جانب مدرسة دار العلوم القائمة منذ عهد إسماعيل لتقوية المدرسين فى اللغة العربية ، وغرضها تقوية الأساتذة فى اللغات الأوربية وسائر العلوم الغربية ، كما اقترح لتحسين الكتب المدرسية إنشاء مجلس للتعليم يقيم

فى الديوان نفسه ويكون من بين اختصاصاته تنظيم البرامج المدرسية و بحثها واختيار الـكتب اللازمة و إقرارها والأمر بتأليف أو ترجمة كتب أخرى . ولتحقيق هذا الغرض أوصى بوضع قلم الترجمه تحت إشراف الديوان .

وعلق المستر (هيورث دن) على هذا الاقتراح الأخير فقال : « إن المؤلفين — أو بالأحرى المترجين — يكتفون بالترجمة والنقل والجمع من مؤلفات الأور بيين ، فيعرضونها على المجلس كأنها من وضعهم » .

تقرير اللورد Dufferin (دوفيرين)

وفى فبراير سنة ١٨٨٣ أرسل اللورد دوفيرين إلى اللورد غرانفيل تقريراً شاملا للحالة فى مصر جاء فيه ما يأتى خاصاً بمدرسة الألسن : « يجب أن يعاد تنظيم مدرسة الألسن كى يتخرج فيها عدد أكبر من المترجين والـكتبة للمصالح الحـكومية . أما فى الوقت الحاضر فقد صار معظم المترجين فى الدواوين من السوريين الذين يمتازون بثقافة عالية تلقوها فى المدارس التى أنشأتها البعثات الأمريكية والفرنسية والألمانية فى سوريا . ثم إن الـكتب المستعملة فى المدارس الفنية أصبحت لا تفى بالغرض المنشود . ويعود ذلك إلى أسباب منها إنفاق بعض الوقت فى ترجمة الـكتب إلى العربية ونشرها . وكان عدد التلاميذ فى مدرسة الألسن فى هذه السنة ٢٣ طالباً[١] » .

و إذا فرغنا من بسط محتويات هذين التقريرين فيما يتعلق بالترجمة ننظر الآن فى شئون الترجمة فى بعض المدارس .

مدرسة الألسن وقلم الترجمة :

ذكرنا من قبل إنه تعذر علينا العثور على تاريخ لتحويل مدرسة الإدارة والألسن إلى مدرسة الحقوق والإدارة . وقد ذكر المستر (هيورث دن) والمسيو شونسكى[٢] وغيرهما أن مدرسة الألسن فتحت من جديد فى سنة ١٨٧٨ . وقال الأول : « كانت هذه المدرسة تخرج طلبة غير متمرنين فى شئون الترجمة . وكانت المصالح

(١) Parliamentary Reports, Egypt nº 6 (1883)
(٢) Chonski, Croquis Egyptiens

والدواوين مفتقرة إلى المترجمين . وكان عدد المتخرجين لا يكفى لسد الحاجة . وفى الواقع لم تؤد مدرسة الألسن مهمتها على الوجه الذى كانت تؤديه فى الفترة التى كانت فيها تحت إدارة رفاعة بك . فاضطرت الحكومة إلى الاستعانة بالسوريين والأوربيين » .

أما اللجنة التى ألفت لبحث تقرير على باشا ابراهيم فقد اقترحت بخصوص مدرسة الألسن جعل تعليم اللغة التركية اختيارياً ، إذ أصبح تعليمها يفيد بعض الطلبة الأتراك وحدهم . واقترحت أيضاً قصر مجهود الطالب على درس اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية وإلغاء اللغة الألمانية والتاريخ الطبيعى . وقد ترددت اللجنة فى اتخاذ قرار بخصوص تدريس الشريعة الإسلامية . وأوصت بأن يكون تدريس اللغة العربية بقصد تدريب الطلبة على استعمال الاصطلاحات الفنية وتحرير المكاتبات الرسمية . وأدركت اللجنة أن هناك بعض المصاعب فى استعمال الاصطلاحات الفنية فحملت الحكومة على أن تستخدم جميع موظفيها الفنيين لتذليل هذه المصاعب كما أوصت بتقسيم المدرسة ثلاثة أقسام : القسم الأول لتخريج المترجمين ، والثانى للمحاسبين ، والثالث للكتبة والسكرتيريين . وشدد فى أن تمنع الحكومة موظفيها من أخذ أبنائهم إلى المصالح لتدريبهم على العمل . ونصحت بإرسال هؤلاء الأبناء إلى المدارس[1] .

وقال المسيو شونسكى أن فيدال بك كان يوصى بإنشاء مدرسة للادارة تستمد منها الحكومة المحاسبين والمترجين والمحررين للدواوين .

ولما لم تنشر حتى الآن جل الوثائق التاريخية الخاصة بعهد توفيق باشا . فقد اعتمدنا على ما ورد فى الكتب وخاصة كتاب أمين سامى باشا عن « التعليم فى مصر » لبحث التطورات المختلفة التى أدخلت على مدرسة الألسن . ولذلك تعتبر معلوماتنا فى هذه الفترة غير مستوفاة أو أنها على شىء من الإبهام والغموض .

---

(١) وثائق رسمية نشرها أمين سامى باشا فى كتابه (التعليم فى مصر) .

ظلت مدرسة الألسن التى أنشئت فى سنة ١٨٧٨ مفتوحة إلى سنة ١٨٨٥ ، وفى هذه الأثناء (١٨٨١) تقرر إنشاء مكتب للترجمة والتحرير تولى إدارته أديب إسحق افندى ثم مصطفى رضوان افندى . وظل هذا المكتب حتى سنة ١٨٩٩

وتلت مدرسة الألسن مدرسة للترجمة (مكتباً) أنشئت فى نوفمبر سنة ١٨٨٥ وتولى نظارتها على بك شعبان وأحمد ناظم بك . ونشرت المجلة الآسيوية الإنجليزية Journal of the Royal Asiatic Society فى عددها الصادر سنة ١٨٨٦ بحثاً وافياً للمستر كاننجهيم H. Cunnynghame عن حالة التعليم فى مصر ، علق فيه على التعليم فى مدرسة الترجمة قائلا : « وجدت طلبة مدرسة الألسن فى حالة متأخرة بالرغم مما يبذل من عناء لتعليمهم اللغات وما يبذلون هم من تعب لتعلمها . وأظن أن العيب ناتج عن الحاجة إلى الكتب الجيدة ، إذ وجدت المدرس الفرنسى يترجم أجرومية فرنسيه إلى اللغة العربية كى ينقلها طلبته ، وذلك بطبيعة الحال يسبب تبديد الوقت(١) » .

ومن أول نوفمبر سنة ١٨٨٩ تحول هذا المكتب إلى مدرسة للمعلمين سميت بالمعلمين الخديوية (وسيأتى ذكرها فيما بعد) لتقوم على المنهج الذى قامت عليه مدرسة المعلمين التوفيقية . وعين لإدارتها المرحوم أحمد بك ناظم . وكان الغرض من إنشائها تخريج مدرسين مصريين لتعليم اللغة الإنجليزية بالمدارس الابتدائية وكان بها ٢٩ طالباً .

مدرسة العلوم التوفيقية :

وفى أثناء قيام لجنة تنظيم المعارف بعملها وقبل تقديم تقريرها كانت الحكومة تتبع سير أعمالها وتطلع على المهم من قراراتها وتنفذ منها ما ترى تنفيذه لأنها كانت

---

(١) H. Cunnynghame, The present state of Education in Egypt. Communicated through M. Habib Anthony Salmoné, Journal of the Royal Asiatic Society, 1886.

راغبة فى الاستجابة للضرورى منها . وكان من القرارات التى نفذتها إنشاء مدرسة المعلمين التوفيقية ، وغرضها « تخريج مدرسين مصريى الجنس للتعليم فى المدارس الابتدائية التى تحت نظارة المعارف العمومية . وهى تعتبر من المدارس العليا المصرية» . وتكونت هذه المدرسة من تلاميذ مبتدئين وتلاميذ كانوا يشتغلون فيما قبل بالتعليم الثانوى ، كون منهم القسم الخاص المسمى بقسم المعلمين ، وجعلت هذه المدرسة ومدرسة دار العلوم فى مكان واحد بدرب الجنينة ، وكان لكل منهما ناظر . ووفقاً للمسطر بمنهج التعليم المطبوع فى سنة ١٨٨٧ ، سبق هذا المنهج منهج خاص بالقسم الابتدائى التابع لهذه المدرسة ويمتاز هذا المنهج عن منهج المدرسة الابتدائية على وجه عام ، حيث يقضى بتدريس اللغة الفرنسية للسنتين الأولى والثانية وتعليم الخط الإفرنجى بها . والمنهج الثانوى يقرب من مناهج المدارس الثانوية . وكانت جميع المواد تدرس باللغة الفرنسية .

مدرسة دار العلوم الخديوية :

الغرض من إنشاء هذه المدرسة ، يتبين من قرار نظارة المعارف العمومية المرقوم ٤٣١ « إنما هو تخريج مدرسين مصريى الجنس للتعليم فى المدارس الابتدائية التى تحت نظارة المعارف العمومية » . وتعتبر هذه المدرسة من المدارس العليا المصرية . وكانت جميع المواد تدرس فيها باللغة الإنجليزية .

مدرسة الإدارة والحقوق :

لما أنشئت المحاكم الأهلية كانت البلاد فى حاجة إلى القضاة والمحضرين والمترجمين وغيرهم لأقلام الكتاب . فاتجهت أنظار الحكومة إلى مدرسة الإدارة والحقوق بقصد رفع مستوى الدراسة فيها . فصدر قرار من نظارة المعارف فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٦ بناء على قرار لمجلس النظار فى ١٢ يوليو سنة ١٨٨٦ موقع عليه من المرحوم عبد الرحمن رشدى باشا ناظر المعارف ، جاء فيه أن مدرسة الحقوق

تنقسم إلى قسمين : ابتدائى وعالى . فالقسم الابتدائى معدّ لتحضير المحضرين والمترجمين وما يلزم من المستخدمين لأقلام الكتاب والنيابة بجميع المحاكم وكذلك أقلام قضايا الحكومة والنظارات وسائر المصالح التى تحتاج لأشخاص لهم معلومات قانونية . وخريجو القسم العالى يرشحون لوظائف الكتاب من الدرجة الأولى والثانية والنواب حتى يكونوا أهلا لتولى الوظائف التى تستدعى معرفة تامة بجميع فروع القوانين بالمحاكم والنظارات وغيرها من سائر المصالح الأميرية .

مدرسة الطب :

كان التعليم فى المدرسة الطبية باللغة العربية . يتخرج فيها الأطباء والعلماء فيعلمون بالعربية ويؤلفون بالعربية أو يترجمون إلى العربية . وهم نخبة رجال هذه النهضة ، وعليهم كان المعول فى نقل العلوم الحديثة بالترجمة أو التأليف أو التلخيص ظلوا على ذلك نحو سبعين سنة . ثم رأت الحكومة سنة ١٨٩٨ أن تغير برامج هذه المدرسة . فأدخلت فيها إصلاحات كثيرة من حيث إتقان المعدات والأدوات وإدخال المواد الحديثة . ولكنها جعلت صبغتها إنجليزية . ثم استقدمت الحكومة مديراً من كبار مديرى المدارس الطبية فى لندن وطلبت إليه أن يرفع تقريراً فى إصلاح هذه المدرسة . فأشار بضم المستشفى إلى المدرسة وإنشاء إدارة واحدة لهما وذكر إصلاحات تتعلق بالدروس والأساتذة ولغة التدريس وغير ذلك . وفى سنة ١٨٩٨ جعلوا التعليم فيها باللغة الإنجليزية . وضمت المدرسة إلى المستشفى، وجعل نظامها يشبه نظام مدرسة الطب بجامعة لندن . فلم تحتج مدرسة الطب من هذا الوقت إلى أعمال الترجمة ، بل اشترط فى كل من يريد الالتحاق بها إجادة اللغة الإنجليزية إذ صارتْ جميع الكتب فيها انجليزية ، كما أصبحَ جلّ المدرّسين وكثير من المديرين من الإنجليز . وصارت المحاضرات تلقى باللغة الإنجليزية دون سواها .

المدارس الابتدائية والثانوية :

كانت اللجنة (القومسيون) قد اهتمت بوجه خاص بضعف الطلبة فى اللغة العربية ، إذ لاحظت أنه بعد أن يقضى التلميذ سنوات متوالية فى المدرسة لايتمكن من تحرير كتاب أو وضع تقرير عربى الصيغة عند التحاقه بإحدى الوظائف الحكومية وأوصت بتأليف لجنة خاصة لحل هذه المشكلة .

وكذلك أوصت بجعل اللغة التركية لغة اختيارية فى المدارس الابتدائية والتجهيزية وفى المدارس الإقليمية . ووجدت أن تعليم اللغة الفرنسية غير مرض . وكانت اللغة الإنجليزية لم تدرس وقتئذ إلا فى عدد قليل من المدارس . ولم يكن لتدريس اللغتين الإيطالية والألمانية خطر يذكر .

ومرت السنون وعظم شأن اللغتين الإنجليزية والفرنسية . فكان من يجهل إحدى هاتين اللغتين يشعر بنقص كبير فى حياته العملية . واتخذت الوزاراة قرارات فى هذا الصدد كان من أثرها الغض من اللغة العربية . وإليك ملخص التقرير الرابع المقدم من نظارة المعارف إلى الحضرة الفخيمة الخديوية ، عن التعليم فى سنة ١٨٨٨ . وهو يصور لنا فكرة القرارات الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية بالمدارس الثانوية : « إن تعليم اللغات الأجنبية التى لها فى هذا العصر من الأهمية ما لا يخفى بمصر خاصة ، لم يأت إلى الآن فى مدارسنا بالنتائج المطلوبة ، وليس ذلك لتقصير من المعلمين ، أو فتور فى همتهم ، فإنهم فى الواقع أهل لما عهد إليهم من الوظائف ، غير أن الوقت المخصص لتعليم هذه اللغات غير كاف ، حتى تكتسب التلامذة ملكة استعمال اللغة ، ويسهل عليهم التكلم بها ، وهو أمر لا يمكن الحصول عليه إلا بعد تمرين طويل مستمر . فلتلافى هذا الأمر بقدر الإمكان ، تقرر أن موارد العلوم الجارى تدريسها للآن باللغة العربية تعلم من الآن فصاعد بمعرفة مدرسى اللغة الأجنبية ، إما باللغة الفرنسية ، وإما باللغة الإنجليزية . فإذا درس التاريخ

والجغرافية والعلوم الطبيعية بلغات أجنبية وضم هذا إلى تعليم اللغة المقصودة بالذات سهل نيل المقصود للأسباب الآتية :

(١) لاشتمال هذه العلوم على التمرينات التى تقوى بها التلاميذ فى اللغة .

(٢) لزيادة الزمن المعين لتعليم اللغات الأجنبية بجعله ساعتين فى اليوم ، بعد أن كان ساعة واحدة [١] .

وأدخلت أيضاً بعد ذلك حصص للترجمة .

المنافسة بين اللغتين الفرنسية والإنجليزية فى المدارس :

ظلت اللغة الفرنسية بعد أن حلت محل اللغة الإيطالية لغة الاتصال بين الجاليات الأجنبية والمصالح الحكومية . وكانت مصر تستمد من فرنسة المدرسين والكتب المدرسية لترجمتها إلى اللغة العربية . ولم تنافسها فى هذه السيادة لغة أجنبية أخرى . ولكن الحالة تغيرت بعد احتلال الإنجليز البلاد وازدياد النفوذ البريطانى فى الشرق الأدنى . قال أحد الكتاب الإنجليز فى هذا الشأن : « كانت اللغة الفرنسية تدرس فى المدارس الابتدائية ولكن حلت محلها اللغة الإنجليزية » ثم أضاف : « إن استبدال اللغة الإنجليزية باللغة الفرنسية فى المدارس الابتدائية يرجع إلى أسباب سياسية . فبعد أزمة فاشودة أدرك الأهالى أن النفوذ البريطانى سيأخذ فى الازدياد على حين يضمحل النفوذ الفرنسى . وكانت نتيجة ذلك أن الأقسام الخاصة بالتعليم الفرنسى فقدت تلاميذها تدريجا . وفى سنة ١٩٠٢ ألغى القسم الفرنسى فى المدارس الأميرية ولم تعلم فى المدارس الابتدائية إلا لغة أوربية واحدة وهى اللغة الإنجليزية . ومع ذلك لم تفقد اللغة الفرنسية فى مصر مركزها ، إذ أن معظم المدارس الأوربية الدينية تدرس هذه اللغة وتخرج كل سنة عدداً غير قليل من التلاميذ المصريين والأوربيين يتقنون الكتابة والكلام باللغة الفرنسية فساعدوا على أن يبقى العمل فى بعض الدواوين باللغة الفرنسية دون الإنجليزية » .

(١) أمين سامى باشا — التعليم فى مصر .

الترجمة فى المحاكم الأهلية

تكلمنا عن المحاكم المختلطة فى عصر إسماعيل باعتبارها إحدى منشآته ونذكر أن النظام القضائى الأهلى كان مختلا إلى أن أنشئت المحاكم الأهلية الجديدة فى سنة ١٨٨٣ ، أى فى عهد توفيق . وقد ترتب على إنشاء تلك المحاكم إدخال تغييرات جوهرية فى أنظمتها فاضطرت الحكومة إلى تعديل نظام تعيين القضاة ، وشرعت فى تعديل القوانين المستعملة أو تنقيحها ، كما قررت إعداد هيئة خاصة من الموظفين لأعمال المحاكم .

ففيما يختص بالقوانين اتخذت الحكومة عدة إجراءات منها :

(١) ترجمة القوانين من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية . ولا نعنى بذلك ترجمة الكود والقوانين المختلطة التى تكلمنا عنها فى عهد إسماعيل ، ولكننا نقصد القوانين التى صدرت فى مصر باللغة التركية . إذ كانت القوانين توضع وتنشر بأصلها التركى ثم تترجم إلى العربية ليفهمها المصريون . إلا أن نقلها من أصلها التركى إلى اللغة العربية كان مشوهاً إلى درجة توجد اللبس . وكانت اللغة التركية هى اللغة السائدة فى المحاكم ، بيد أنهم كانوا يطلبون من رئيس كتاب المجلس معرفة اللغة العربية إلى جانب اللغة التركية .

(٢) توحيد القوانين وجمع الأحكام الأهلية . وكان بعضها بالتركية وبعضها بالعربية .

(٣) جهود الحكومة فى حمل تلاميذ الحقوق على دراسة القوانين الفرنسية والشريعة الإسلامية فى آن واحد .

وقد قام المترجمون بنصيب كبير فى تأدية هذه الأعمال .

أما فيما يختص بالقضاة فقد اتضح للحكومة حينما أنشئت المحاكم الأهلية أنه ليس لديها من القضاة المصريين علماء بالقانون . « فعند ما انعقد مجلس النظار فى ٢ نوفمبر

سنة ١٨٨٢ للنظر فى المذكرة المتقدمة من ناظر الحقانية التى طلب فيها تأليف لجنة لترتيب المحاكم الأهلية ولإعداد القوانين التى تتبع أمامها حدثت مناقشة بين رياض باشا وفخرى باشا وشريف باشا وزكى باشا وعلى مبارك باشا وحيدر باشا وعمر لطفى باشا دار البحث فيها على النقطة الآتية : هل الأوفق اختيار قضاة أجانب يعاونون القضاة المصريين ؟ . فقال على مبارك باشا : لوكان من الممكن إدخال قضاة أجانب لكان أتم . فأجاب زكى باشا : ربما كان من تؤلف منهم المحاكم لا يفهمون القوانين الموجودة الآن . فرد عليه رياض باشا : الذى لا يفهم القوانين الموجودة الآن لا يفهمها بعد تعديلها . فأيده شريف باشا قائلا : لا أرى فى الأهلين الاستقلال الكافى ولا العلم الكافى لحسن سير المحاكم الأهلية بدون مساعدة قضاة أجانب»[1] .

فأصبح وجود المترجمين ضرورياً لوجود القضاة الأجانب فى المحاكم الأهلية . وكانت مهمتهم مزدوجة ، إذ كان عليهم ترجمة المرافعات والأقوال فى الجلسات . ثم ترجمة المذكرات وسائر الأوراق كى يتسنى للقاضى الأجنبى الاطلاع على محتوياتها قبل الحكم فى القضايا .

الترجمة فى الدواوين

كان لاشتغال الأجانب فى المصالح والدواوين واحتلالهم بعض المناصب العالية الفنية واشتغال المحاكم المختلطة باللغات الإفرنجية أثر محسوس فى استعمال اللغات الأجنبية فى المكاتبات الرسمية وتحرير التقريرات . وكانت بطبيعة الحال تترجم إلى الجهات المختلطة . واستوجبت هذه الحالة إعادة إنشاء مدرسة الألسن وتوظيف التلاميذ المتخرجين فيها كل سنة فى أقلام الترجمة .

(١) عزيز خانكى بك — التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية (من الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) .

وقد صدر أمر إدارى موقع عليه من سعادة رئيس مجلس النظار وموجه إلى جميع النظارات بتاريخ ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٨٨ (٨صفر سنة ١٣٠٦) ورد فيه فيما يختص بمترجمى مكتب الترجمة «أن هؤلاء الطلبة يرسلون إلى النظارات المختلفة لأخذ اللازم منهم فى وظائف الكتابة والترجمة ووضع الباقين فى أقلام هذه النظارات تحت التمرين»[١].

وليس فى وسعنا حصر جميع الوظائف المخصصة للمترجمين فى الوزارات والمصالح ولكننا نستطيع أن نقول أنها كانت غير قليلة .

الترجمة غير الرسمية

وإذا كانت الحكومة المصرية استمرت فى عهد احتلال تشجع المترجمين الرسميين لأغراض تتعلق بشئون المدارس والمصالح فإن شدة العناية بتعليم اللغات الأوربية فى المدارس المصرية أدت إلى ازدياد عدد من أتقنوا فهم الكتب الإفرنجية فقام فريق من رجال الأدب البارزين بترجمة المؤلفات النفسية والإنفاق على طبعها دون أن يعولوا على إعانة حكومية . ووجدوا من القراء إقبالا شجعهم على مواصلة عملهم وتوسيع دائرته حتى أصبحت الترجمة تشمل خلال هذه الفترة جميع العلوم والفنون من اجتماعية وسياسية إلى قضائية واقتصادية ولا شك أن ازدياد الكتب العربية وجعلها فى متناول القراء وتزويد المكتبات المصرية بخلاصات الفكر الحديث ساعد على تثقيف طبقات الشعب المتعلمة .

وقد قلنا أن الترجمة شملت جميع الفنون والعلوم غير أننا نقول أن المؤلفات التى ترجمت فى كل علم وفن كانت قليلة إلا فيما يختص بالروايات التى أخذ عددها يزداد لإقبال الجمهور عليها وشغفه بها .

(١) أمين سامى باشا — التعليم فى مصر .

ومن دواعى انتعاش حركة الترجمة فى هذه الفترة نشاط حركة السياحة فقد طبعت بعض شركات السياحة أو بعض الأشخاص كتيبات تحوى إلى جانب البيانات الخاصة بآثار مصر وسكانها وغير ذلك كلمات وعبارات يستعملها السياح فى علاقاتهم بأهالى مصر ، فترجمت تلك العبارات إلى اللغة العربية مع كتابتها بالحروف اللاتينية ومن أشهر هذه الكتيبات التى نشرت فى هذه الفترة « دليل السياح لمصر والشام وفلسطين » للمؤلف Philippe Wolff (فيليب وولف) .

أشهر المترجمين ومترجماتهم

أحمد زكى باشا

ولد بالإسكندرية فى شهر المحرم سنة ١٢٨٤ هـ . ودرس فيها ثم انتقل إلى القاهرة حيث تلقى علومه فى مدرسة القربية ، ثم فى مدرسة درب الجماميز ، فمدرسة الإدارة والحقوق . وفى أثناء دراسته — وكان يبلغ العشرين من عمره — تقدم إلى مسابقة لوظيفة مترجم بمحافظة الإسماعيلية . وفى أكتوبر سنة ١٨٨٨ م عين مترجماً من الدرجة الأولى فى مكتب الصحافة بوزارة الداخلية . فتولى أعمال التحرير والترجمة فى الوقائع المصرية ، وكان هذا عاملا أول فى توسيع معارفه ؛ فأتقن اللغتين العربية والفرنسية ، وفى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ فاز بالمسابقة فى منصب مترجم بمجلس الوزراء ، و بعد قليل أنعم عليه برتبة البيكوية وعهد إليه فى تدريس الترجمة بالمدرسة الخديوية بدرب الجماميز حيث قضى سنتين هناك ، ثم عاد إلى مجلس الوزراء سكرتيراً ثانياً له . وفى سنة ١٩١١ رقى إلى درجة السكرتير الأول ، وأنعم عليه بالباشوية فى سنة ١٩١٦ ثم أحيل إلى المعاش فى سنة ١٩٢١ ولكنه واصل أبحاثه التاريخية والأدبية واتصل به رجال الأدب والصحافة فى مصر والبلاد العربية ، وكانت داره بالجيزة كعبة القصاد حتى لقد سموها دار العروبة كما سموا صاحبها — رحمه الله — شيخ العروبة . ومن مؤلفاته :

— رسالة فى المعارف العمومية بالديار المصرية و بيان ما يلزم إدخاله فيها من الإصلاحات الضرورية ، ألفها محمد سعيد باللغة الفرنسية : طبع سنة ١٣٠٥

— الرق فى الإسلام لأحمد شفيق بك . وأضاف إليها ملحوظات وشروحاً .

— مصر والجغرافيا تأليف فريديريك بونولا بك .

— التعليم فى مصر تأليف Vercamer (فيركامير) .

تاريخ الشعوب الشرقية من تأليف ماسبيرو . ترجمه بأمر من وزارة المعارف . طبع سنة ١٣٠٤

— أربعة عشر يوماً سعداء فى خلافة الأمير عبد الرحمن الأندلسى — ترجمها من اللغة الفرنسية . طبع سنة ١٨٨٦

— آثار بلاد المشرق . جمع المستشرق ماسبيرو .

— وله أيضاً معجم خصصه لتحرير الأعلام الجغرافية وردها إلى أصولها المعتبرة المعروفة عند أهلها .

محمد كمال باشا (١٨٥٠ — ١٩٢٣)

تلقى دروساً فى فن الآثار فى مدرسة اللسان القديم ، ودرس اللغات العربية والفرنسية والألمانية والقبطية والحبشية وعين مساعداً ومترجماً فى نظارة المعارف العمومية ثم أستاذاً للغة الألمانية فى المدارس الأميرية فمترجماً فى مصلحة وابورات البوستة وديوان البحرية . ولكنه كان يشتغل دائماً بفن الآثار ويسعى للالتحاق بالمتحف المصرى فقاومه مدير المتحف مقاومة عنيفة ، ولكنه استطاع بفضل نفوذ رياض باشا أن يشغل منصب سكرتير ومترجم فى المتحف وأستاذ للغة القديمة . ثم عين أميناً مساعداً للمتحف . ونشر فى العالم الغربى نتيجة أبحاثه العلمية الدقيقة . وله مؤلفات بالفرنسية والعربية ومعجم خاص بالآثار وترجم دليل متحف القاهرة والإسكندرية .

شفيق منصور بك (١٨٥٦ — ١٨٩٠)

ابن الأمير الجليل منصور باشا يكن . تعلم فى المدارس المصرية اللغات العربية والتركية والفرنسية وأتقنها على أيدى أساتذة اختصوا بتعليمه إياها . ثم سافر إلى باريس سنة ١٨٦٩ ولما عاد منها اتصل بالقضاء . وترجم كتاب « رياض المختار » وكتاب « إصلاح التقويم » من التركية إلى العربية ، وكلاهما لصاحب الدولة الغازى مختار باشا . واشترك أيضاً فى ترجمة تاريخ الجبرتى من العربية إلى الفرنسية .

ونذكر فى هذه المناسبة أن كتاب الجبرتى ترجم إلى الفرنسية مرتين : الأولى بقلم المسيو Pardieu (بارديو) مترجم القنصلية الفرنسية الذى توفى سنة ١٨٣٨ وهذه الترجمة مقصورة على الجزء الخاص بالحملة الفرنسية وهى تحوى أغلاطاً كثيرة وطبعت سنة ١٨٣٨ . أما الترجمة الصحيحة الوافية فهى التى قام بها نخبة من أدباء مصر برياسة المرحوم شفيق بك منصور يكن ، وقد ظهرت فى تسعة أجزاء من ١٨٨٨ إلى سنة ١٨٩٦ .

فتحى زغلول باشا (توفى سنة ١٩١٤)

ولد بمصر وتفقه فى مدارسها . وتخصص فى دراسة الحقوق وانتظم فى سلك القضاء وارتقى فى مدارجه ، ثم عين مساعداً بقلم قضايا الداخلية ، ثم وكيلا لنظارة الحقانية . وصفه المنفلوطى[١] بأنه « نابغة الأمة العربية علماً وفضلا ونادرتها ذكاء وفهماً ، وأقدر كتابها على الترجمة الصحيحة التى لا يضيع فيها معنى ولا يضطرب فيها لفظ . وما انتفعت هذه الأمة (الأمة المصرية) فى عصرها الحاضر بعلم أحد من علمائها انتفاعها بمؤلفاته ومترجماته . ويمتاز فى كتابته بالبيان والإيضاح والدقة فى وضع الألفاظ بإزاء معانيها فلا يتجوز إلا قليلا ولا يتخيل إلا نادراً ولا يغرب ولا يتندر بحال من الأحوال وكان عاملا نشيطاً فى التأليف خلف آثاراً هامة فى القضاء والاجتماع نذكر منها :

(١) ذكره اليان سركيس فى كتاب « مراجع الكتب العربية والمعربة ».

— الإسلام ، خواطر وسوانح . ترجمه عن تأليف الكونت « هنرى دى كاسترى » وقدم له مقدمة ضمنها الآراء السديدة والنصائح المفيدة . طبع سنة ١٣٠٥

— روح الاجتماع تأليف جوستاف ليبون .

— تطور الأمم تأليف جوستاف ليبون .

— روح الشرائع تأليف بنتام الفيلسوف (عربه وكان عمره ٢٥ سنة) . طبع سنة ١٨٨٨

— سر تقدم الإنجليز الساكسونيين تأليف أدمون دومولان .

— من أمير إلى سلطان . كتاب أرسله الأمير مصطفى فاضل إلى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ بشأن إصلاح الدولة .

— أصول النواميس والشرائع . من تأليف بنتام .

عبد الله باشا فكرى المصرى (توفى سنة ١٨٩٩)

هو من نوابغ المصريين فى الأدب والشعر ؛ تعلم اللغة التركية وسافر بمعية الخديو اسماعيل إلى الآستانة ثم كلفه مراقبة تعليم أنجاله . وعين أخيراً وكيلا لنظارة المعارف سنة ١٨٧٨ . وندبته الحكومة فى سنة ١٨٨٨ لرياسة الوفد المصرى فى المؤتمر الشرقى الذى عقد فى استكهلم . ونقل من التركية كتاب « المملكة الباطنية » (طبع سنة ١٢٩٠) إلى طائفة جليلة من الشعر والمقالات .

الشيخ نجيب الحداد اللبنانى (توفى سنة ١٨٨٩)

ولد سنة ١٨٦٧ وقد عالج القريض قبل أن يبلغ الحلم . وكان مع ذلك منشئاً بليغاً مال إلى الصحافة . فحرر فى جريدة الأهرام إلى سنة ١٨٩٤ ثم اعتزلها وأنشأ جريدة « لسان العرب » بالإسكندرية . وامتاز عن أكثر معاصريه من الأدباء بترجمة الروايات التمثيلية أو تأليفها . وهاك أشهر آثاره :

— رواية صلاح الدين . تأليف ولتر سكوت .

— رواية Cid (السيد) من مؤلفات (Corneille) (كورنيل) نقلها إلى اللسان العربي وسماها « غرام وانتقام » .

— رواية حمدان نقلها من رواية هوجو (Hernani) هيرناني .

— شهداء الغرام ترجمها عن رواية روميو وجوليت لشكسبير .

— رواية البخيل نقلها عن (موليير) (Molière)

— رواية الفرسان الثلاثة لاسكندر دوماس أربعة أجزاء طبعت سنة ١٨٨٨ ولها طبعة ثانية فى ثلاثة مجلدات ولها طبعة ثالثة فى أربعة مجلدات سنة ١٩١٣

جورجي زيدان (توفى سنة ١٩١٤)

ولد فى سنة ١٨٦١ والجأته ملابسات حياته على أن يترك المدرسة صغيراً . لقن الإنجليزية فى مدرسة ليلية . وفى سنة ١٨٨١ اعتزم دراسة الطب إلا أن طول المدة اللازمة لنيل إجازته صرفه عن متابعة الدراسة فتابع البحث والاطلاع الحر وتولى تحرير جريدة « الزمان » وقد رافق الحملة النيلية إلى السودان سنة ١٨٨٤ مترجماً بقلم المخابرات . وله — علاوة على ما ألفه من الكتب القيمة — عدة مترجمات نشرها فى الصحف والمجلات .

نجيب ابراهيم طراد (توفى سنة ١٩١١)

هو من أسرة بيروتية . أتقن لغات كثيرة ولا سيا الألمانية وحرر عدة جرائد في بيروت والإسكندرية والقاهرة . وترجم جملة من الروايات وعلم فى مدارس مختلفة ثم التحق بالحكومة موظفاً .

محمد النجارى المصرى (توفى سنة ١٩١٤)

ولد فى مصر وارتقى فى مناصب حكومتها إلى القضاء فى المحاكم المختلطة . وألف فى ساعات الفراغ معجما مطولا بالفرنسية والعربية فى خمسة مجلدات حوى كثيراً من مصطلحات القانون وسائر العلوم والفنون .

أديب اسحق الدمشقي (١٨٥٦ — ١٨٨٥)

بدأ فى تأليف الروايات التمثيلية أو ترجمتها مع صديقه سليم نقاش . ورحل إلى مصر فى زمن الخديو اسماعيل وأصدر جريدة « مصر » ولما عطلت الحكومة جريدته سافر إلى باريس . ثم عاد إلى مصر سنة ١٨٨١ حيث تولى إدارة مكتب الترجمة والتحرير .

فيليب جلاد بك (١٨٥٧ — ١٩١٤)

لم يكن من المترجمين المحترفين برغم أنه اشتغل فى بادئ الأمر مترجماً أول لمحافظة القناة . ودرس القانون والتحق بقلم قضايا الحكومة ثم بوزارة الحقانية حيث تولى تحرير « المجلة الرسمية للمحاكم الأهلية » ثم ترك خدمة الحكومة واشتغل بالمحاماة والتأليف وألف « قاموس الإدارة والقضاء » الذى صدر فى ستة مجلدات باللغتين العربية والفرنسية . وهو يشمل قوانين الحكومة المصرية وغيرها . وقد ترجم الكثير منها إلى اللغة العربية . (طبع بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٢) .

أما سائر المترجمين فهم :

نجيب غرغور . له :

— حديقة الأدب وهو يشمل ستة تآليف : التعساء لهوغو وتاريخ مصر ومنيرة وانتقام المزارع والقاتلة والطائف فى ربى الطوائف . طبع سنة ١٨٨٨ فى خمسة أجزاء .

— عفريت النسوان (جزءان) . طبع سنة ١٨٨٧

— غرائب التدوين . طبع سنة ١٨٨٢

محمد أمين واصف وعبد العزيز محمود . لهما :

« اتحاف أبناء العصر بتاريخ ملوك مصر » طبع سنة ١٣٠٧ (جمع وتعريب) .

محمود زهرى

له « غاية الآمال فى فن الحرب والقتال » تأليف مورى بك قائمقام أركان حرب . ترجمه بإشراف مؤلفه . طبع سنة ١٢٩٣

صمويل ينى

له « استراتونكى » . طبع سنة ١٨٩٤

نسيب بدر

له « بوليس لندن » تأليف كونن دويل . طبع سنة ١٩٠٠

خالد حمصى

له « بيبيتا الحسناء ، أو ذات اليد الحمراء » تأليف ليون سازى طبع مرتين ، ثانيتهما سنة ١٢٩١

السيدة فريدة عطية

لها « الروضة النضيرة فى أيام بمباى الأخيرة » تأليف اللورد ليتن . طبع سنة ١٨٩٩

ميشيل جورجى عورا

له « عجائب البخت فى قصة الأحد عشر وزيراً وابن الملك ازار بخت» . ترجمها عن السريانية . طبعت سنة ١٨٨٦

تادرس وهبى

مدرس فن الإنشاء والعلوم العربية واللغة الفرنسية بمدرسة حارة السقايين القبطية

له « العقد الأنفس فى ملخص التاريخ المقدس » نقله من كتاب تاريخ الأمة الإسرائيلية لفكتور دروى . طبع سنة ١٢٩٨ وأعيد طبعه سنة ١٣١٤

حسين زكى افندى

له « مختصر تاريخ الأمم الشرقية القديم » استخرجه من اللغة الفرنسية (المقتطف سنة ١٨٩٣ م).

مصطفى نصر

له « المنحة فى تدبير الصحة » . طبع سنة ١٣٠٦ ﻫ (كتاب ترجمه من اللغة الفرنسية) .

سعيد عمون

له « الأحكام المرعية فى شأن الأراضى المصرية » تأليف يعقوب أرتين باشا . ترجم بمساعدة المؤلف . طبع سنة ١٣٠٧ ﻫ

محمد لطفى تلغرافجى المعية السنية

له « تحفة المريد فى زواج أودت بفريد » (ترجمه من اللغة الإنجليزية)

رفله جرجس

له « أصول الاقتصاد السياسى » . طبع بمصر سنة ١٨٨٩ (اقتطفه من كتب غربية و بسط عباراته وسهل مأخذه).

حافظ ابراهيم وخليل مطران

لهما «الموجز فى علم الاقتصاد» فى خمسة أجزاء . تأليف PAUL LEROY-BEAULIEU (بول ليروى بوليو) تقدم إليهما بترجمته بأمر حشمت باشا ناظر المعارف .

عزيز خانكى بك

له « الطعن فى الأحكام بطريق النقض والإبرام » . طبع سنة ١٩٠٠

يحيى ابراهيم .

له « الروض الزاهر ، فى علم مسك الدفاتر » . طبع سنة ١٨٨٥ (ترجمه من اللغة الفرنسية .

جرجس مالطي : أحد مدرسى اللغة الانجليزية بالمدارس الأميرية

له « رى القطر المصرى » تأليف ولكوكس .

محمد أنسى

له « القواعد العمومية التى يجب على التعليمجى إجراؤها وقت التعليم » . تأليف بولار بك .

محمد دياب : المدرس بالمدرسة التوفيقية

له « مسائل تطبيقية على الهندسة العادية » . طبع سنة ١٣٠٣

يحيى قدرى بك ونخلة قلفاط

لهما « كتاب حقوق الدول » تأليف حسن فهمى باشا العثمانى ، ترجم من اللغة التركية . طبع سنة ١٨٩٤

نجيب بن يوحنا ابكاريوس

له « تاريخ الحوادث فى السودان من سنة ١٨٨١ إلى سنة ١٨٨٩ » تأليف القائمقام السير ونجت المقيم الإنجليزى بالديار المصرية سابقاً . طبع سنة ١٨٩١

محمد لبيب البتانونى

له « تاريخ كلوت بك » وهو الدكتور أنطون برتيليمى الايطالى الأصل (كذا) المعروف بكلوت بك . نقله من الفرنسية بأمر الدكتور محمد بك الدرى . وهو يتضمن تاريخ حياته وأعماله بمصر فى عصر ساكن الجنان محمد على باشا . طبع سنة ١٣٠٨

مراد مختار : مدير دار الكتب سابقاً

له « قصة أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا المعروف بالشيخ الرئيس ، مع شقيقه أبى الحارث » ترجمها من اللغة التركية . طبعت سنة ١٢٩٧ (أعيد طبعها سنة ١٣٠٥)

عزيز يوسف

له « مر الفراق وحلو التلاق» انتقاها من روايات هونمان (طبعت سنة ١٨٩١)

يوسف تادرس

له « النجاة من الغرق» . طبع سنة ١٨٩٣ (كتاب نقله من اللغة الإنجليزية)

وإلى جانب آثار هؤلاء المترجمين نذكر ما قامت به مجلتا الهلال والمقتطف فى الترجمة ، إذاً كان رجالها يقومون ، فضلاً عن ترجمة الأبحاث والمقالات الأجنبية بترجمة روايات لتهدى إلى المشتركين .

الترجمة الرسمية

واصلت المصالح الأميرية فى هذه الفترة ترجمة الوقائع الرسمية من العربية إلى الفرنسية . وكذلك أهم التقريرات السياسية والإدارية وغيرها التى كانت تصدر من بين وقت ووقت . وسنورد فيما بعد كشفاً يشتمل على عنوانات بعض التقريرات .

— تقارير مرفوعة للأعتاب الخديوية عن الإصلاحات فى حالة التعليم الجارية بالمدارس المصرية فى سنى ١٨٨٥ و ١٨٨٦ و ١٨٨٨ و١٨٨٩ . طبع بين ١٣٠٣ و١٣٠٨

— ترجمة تقرير مرفوع إلى الحضرة الفخيمة الخديوية من نظارة المعارف العمومية عن حاله الكتبخانة الخديوية فى سنة ١٨٨٦ ومعه أصله باللغة الفرنسية. طبع سنة ١٨٨٧

— قانون تأسيس الكتبخانة العمومية بالعربية والتركية . طبع سنة ١٢٩٨

— تقرير عن حالة الكتبخانة سنة ١٨٨٧ . طبع سنة ١٨٨٨ .

— تقرير مترجم للحضرة الخديوية من قومسيون الأراضى الميرية مع حسابات إيرادات ومصروفات سنة ١٨٨١ . طبع سنة ١٨٨٢

— تقرير من نظارة الأشغال عن رى القطر المصرى . طبع سنة ١٣٠٠ .

— تقرير جناب السير أفلين بارنغ قنصل جنرال لدولة الإنكليز بمصر فيما يتعلق بمنع الكرباج . طبع سنة ١٣٠٢

— محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية القديمة سنة ١٨٨٤ .

— مرشد لأودة المتفرجين على الكتبخانة الخديوية باللغة العربية واللغة الفرنسية طبع سنة ١٣٠٤

أسلوب الترجمة فى مراحل القرن التاسع عشر

أوضحنا فى سوالف الفصول مبلغ اهتمام ولاة الأمور بكل ما يتعلق بأعمال الترجمة وما بذلوه من عظيم المجهود لتوسيع نطاقها والأغراض التى كانوا يقصدون إليها من وراء ما بذلوا . فهل نغلوا الآن إذا شبهنا عصر الأسرة العلوية الكريمة بالعصر العباسى الأول من حيث القدرة على الإنتاج والإتقان فى العمل .

حقاً كانت الأغراض من الترجمة متغايرة بين العصرين ، فالخلفاء العباسيون إنما سعوا إلى نقل تراث اليونانيين العلمى والأدبى لتزويد الأذهان بمعلومات جديدة تنشط الحركة الفكرية والعلمية بين العرب . أما رجال القرن التاسع عشر فى مصر فلم يقصدوا فى بادئ الأمر من ترجمة كتب الإفرنج العلمية والمدرسية إلا تثقيف شعب غير مثقف ليستطيع فيما بعد القيام بالمهام الخطيرة التى تسند إليه . هذا إلى الأثر العميق الذى تركته أعمال الترجمة فى تطور اللغة العربية بعد التنافس الشديد بين اللغتين التركية والعربية فى هذا العصر . وسنتكلم بالتفصيل على هذه التطورات بأنواعها وسنذكر أيضاً بالإجمال مميزات الترجمة فى كل طور معززين كلا منها بالأمثلة والنماذج المستقاة من الوثائق والمطبوعات .

لم يهتم المترجمون والمستشرقون خلال الحملة الفرنسية فى تثقيف الشعب بترجمة ما

قد يفيده من الوجهة الأدبية ، بل كان همهم مقصوراً على ترجمة الوثائق الإدارية ليطلع عليها رجال الحكومة وأفراد الشعب . فإذا عكف بعض المستشرقين على الترجمة فى أوقات فراغهم كان عكوفهم عليها بقصد المرانة والتسلية لا غير . فالمستشرق مارسيل مثلا نشر فى مجلة « لاديكاد »(١) التى كان يتولى طبعها بعض قطع عربية ومعها ترجمتها إلى اللغة الفرنسية إلا أنه لم يتقيد دائماً بالنص العربى . فقد قام يوماً بترجمة الفاتحة . ففسر معانيها بالشعر الفرنسى ، وهى بلا ريب قصيدة طريفة جديرة بالنشر :

Au nom de l'Etre unique en pouvoir, en essence ;
Au nom du Dieu clément, du Dieu de bienfaisance,
Dont sur nous chaque jour s'épanchent les présents,
Vers qui nous élevons nos vœux et notre encens...
Louange au Dieu du Ciel, de la terre et des ondes,
Père de l'Univers ; dominateur des mondes ;
Arbitre des destins au jour du jugement ;
Vengeur de l'opprimé ; soutien de l'innocent ;
C'est vers Toi que nos cœurs élancent leur prière,
C'est Toi que nous osons implorer comme un Père...
Exauce tes enfants ; que toujours l'équité,
Affermissant leurs pas, soit leur guide assuré ;
Qu'ils fuient les sentiers de l'erreur mensongère ;
Que nul crime sur eux n'appelle Ta colère ;
Que dirigeant vers Toi leurs esprits et leurs cœurs,
Ils se montrent toujours tes vrais adorateurs.

وهناك أيضاً ترجمة لقصيدة صاغها أحد الشعراء تحية للجنرال بونابرت :

لله عصر قد زها　　فلك السعادة فيه دار
وجمال كوكب دولة الـ　　جيش الفرنساوى أنار
يا حسنها من دولة　　بالافتخار لها اشتهار

Enfin nous voyons luire sur nous l'aurore du bonheur ; les temps fixés par Dieu sont arrivés ; une atmosphère de félicité nous environne ; l'astre brillant de la victoire que dirige les guerriers français a répandu sur nous son éclatante lumière ; la renommée et la célébrité les précèdent, la fortune et l'honneur les accompagnent.

(Décade, Vol. 1, an VII)

(١) La Décade Egyptienne

وهو إلى جانب ذلك شرع فى ترجمة وصايا لقمان وطبعها فى كتيب علق عليه بنفسه فى مجلة « لاديكاد » قائلا : « ألحقت ترجمة فرنسية بالطبعة العربية لأنى أردت قبل كل شيء أن أترجم النص العربى ترجمة حرفية بقدر المستطاع مغفلا أناقة الأسلوب حتى لا أخالف النص العربى ، وقد سلكت هذا المسلك فى الترجمة لاعتقادى بأن عملى هذا قد يعود بالفائدة على بعض الأشخاص الذين يرغبون فى دراسة اللغة العربية ولم يأنسوا حتى الآن ما يعنيهم على تحقيق تلك الرغبة إذ لم يجدوا نصوصاً عربية ترافقها ترجمة حرفية » .

ونقول بصفة عامة إن هؤلاء المترجمين حاولوا مراعاة الدقة فى ترجمتهم ولو أنهم كانوا يميلون إلى بعض التصرف مع حفظ المعانى . ودونك مقتطفات من ترجمة جوبير لكتاب جغرافية الإدريسى من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية :

الحمد لله ذى العظمة والسلطان ، والطول والامتنان ، والفضل والإنعام ، والآلاء الجسام الذى قدر فحكم ورأف (رزق) فأنعم ، وقضى فأبرم ، ودبر فأتقن وذرأ وبرأ فأحسن ما صور فاتصلت بالعقول معرفته وقامت فى النفوس حجته ووضح للعيون برهانه وقهر الألباب قدرته وسلطانه .

وأول ما أبتدئ به من ذلك الكلام على صورة الأرض المسماة بالجغرافية كما سماها بطليموس ووصفها به ومن الله نستمد المعرفة والتوفيق والتسديد فى كل منهج وطريق فهو جلت قدرته بذلك جدير وعليه قدير

Grâces soient rendues à Dieu, Etre essentiellement grand et puissant, incorporel. Dieu de bonté, de bienfaisance et de longaminité, juge souverain qui peut tout, qui est clément et miséricordieux, qui gouverne tout, qui possède une science infinie, qui a donné à tout ce qu'il a créé des formes parfaites dont la connaissance est gravée dans tous les cœurs et repose dans les esprits sur des preuves visibles et incontestables.

Nous commençons par traiter de la figure de la terre, dont la description est désignée par Ptolémée sous le nom de Géographie, en invoquant les secours, la faveur et la protection de Dieu dans toutes les voies et dans toutes les circonstances; car Dieu a manifesté sa gloire par Sa grandeur, et il est puissant en toutes choses.

اقتبسنا هذه النماذج من أعمال غير الرسمية ، ولنا أن نتساءل الآن : هل أتقن هؤلاء المستشرقون ترجمة الوثائق الإدارية كما أتقنوا فيما بعد الترجمة الأدبية ؟ ولا بد قبل الإجابة عن هذا السؤال من أن نعترف بأن بونابارت عهد إليهم بعمل موفق فإذا أرادوا الإتقان فى ترجمة كل وثيقة تعرض عليهم (والوثائق ترجمة بلا شك) ضاق بهم الزمن ولم يستطيعوا إنجاز العمل بالرغم من المجهود الجبار الذى كانوا يبذلونه ، ولا سيما وقد اتضح لنا أن هؤلاء المستشرقين كانوا غير متمكنين من اللغة العربية . قال عنهم جرجى زيدان : « وظاهر أن هؤلاء التراجمة كان بعضهم من غير أبناء هذه اللغة فإذا ترجموا عبارة صاغوها فى قالب أعجمى وما لم يجدوا له لفظاً عربياً تركوه على لفظه الإفرنجى أو وضعوا له لفظاً عامياً » .

وكنا نود أن نطلع على بضع وثائق ترجمت من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية حتى يكون الحكم قاطعاً . ولكننا مع الأسف لم يسعدنا الحظ . فلم نقف إلا على نص النداء الذى وجهه الجنرال بونابارت إلى أهالى مصر عند ما هبطت قواته ميناء الإسكندرية . وقد ذكره الجبرتى فى كتابه . ولا شك أن اللغة سليمة غير أن الطابع الغربى فى الأسلوب كان يغلب فيه على الطابع العربى . وإليكم فقرة من هذا النداء :

Depuis assez longtemps les beys qui gouvernent l'Egypte insultent à la nation française et couvrent ses négociants d'avanies : l'heure de leur châtiment est arrivée. Depuis trop longtemps ce ramassis d'esclaves achetés dans la Géorgie et le Caucase tyrannise la plus belle partie du monde, mais Dieu de qui dépend tout, a ordonné que leur empire finît. Peuples de l'Egypte on vous dira que je viens détruire votre religion ; ne le croyez pas. Répondez que je viens restituer vos droits, punir les usurpateurs et que je respecte plus que les Mameluks, Dieu, Son Prophète et l'Alcoran.

يعرف أهالى مصر جميعهم أنه من زمن مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدى فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الابازة والجراكسة يفسدون فى الإقليم الحسن الأحسن الذى يوجد فى كرة

الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شىء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم . يا أيها المصريون قد قيل لكم أننى مانزلت بهذا القطر إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم فيه القرآن العظيم .

ولما انسحبت الجيوش الفرنسية وقمعت الثورات التى نشبت فى أنحاء البلاد وصارت الولاية إلى محمد على باشا ، أخذ الوالى ينشىء الدواوين و يستخدم التراجمة ، واللغة فى حالة ضعف وركاكة . فقد ذكر الأستاذ محمود مصطفى معلقاً على هذه الحالة(١) — أن لغة الدواوين كانت التركية . و بعد قليل من حكم محمد على صارت العربية هى اللغة للحكومة(٢) . ولكن العربية التى استعان بها القوم فى كتابة الدواوين كانت عربية سقيمة واهنة ركيكة . بل أنت حقيق أن تقول إنها لا تمت إلى العربية بنسب إلا فى ألفاظها وصور حروفها . فأما الأسلوب ودلالة التراكيب فذلك ما لا صلة له بالعربية ولسنا ندرى كيف اعتاد أهل هذا الجيل فهم هذا القول ولا على أى قاعدة كانوا يخرجون تلك التراكيب ولكن النقص شمل الجميع فحفظوا صوراً وتواضعوا على مدلولاتها ثم جعلوا يرددونها فى كل ما يكتبون فتؤدى إليهم ما اصطلحوا عليه مما لا يرجع إلى أصل فى دلالات اللغة الصحيحة » .

ونؤيد تعليقه هذا بوثيقة استخرجناها من بين ألوف الوثائق المحفوظة فى قصر عابدين العامر . وهذه الوثيقة أمر عال(٣) مؤرخ ١٣ شوال سنة ١٢٣٦ إلى الشيخ فيصل الدويس شيخ عربان مطير : « أما بعد السلام فالمنهى إليكم سابقاً حضر لنا جوابكم صحبت تابعكم وصار معلومنا ما انهيتموه لنا إلينا عن كيفية حالكم وأرسلنا لكم رد جوابه صحبته تابعكم والآن مرسلين إلى هذه الجهة أقدم أتباعنا ومعتمدهم ولدنا العزيز المكرم حسن بك محافظ للمدينة المنورة حالا على سكانها السلام

(١) محمود مصطفى — مذكرات الأدب العربى ١٣٥٣/١٩٣٤
(٢) الواقع أن اللغة التركية استمرت لغة الدواوين الرسمية حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر
(٣) رقم ٣٧٦ سجل ٧ معية تركى .

والواصل لـكم بصحبة ألف ريال فرانسة تستأخذوهم وتصرفوهم فى مصالح أحوالـكم وبمقتضى ما تعهد فى غيرتكم وصلابة حميتكم وزيادة اجتهادكم فى صداقة خدمتنا كما كان منكم سابقاً فى مدن ولدنا الجناب المفخم إبراهيم باشا المعظم والى جدة حالا زيد قدره وكذلك مدة ولدنا المـكرم حسين بك محافظ المدينة سابقاً كذلك تكون فى غاية الهمة والاجتهاد والصداقة الوافية فى الخدمة والاتحاد مع ولدنا العزيز حسن بك المومى إليه مع كثرة السعى لأمورنا الموجبة عليـكم نطلب منكم فى الكل الأمور لا تخرجوا عن أمر ورأى ولدنا المذكور وتكونوا موافقين فى الرأى والاتحاد مع حسن بك برعاية خدمتكم وصداقتكم كما كانت فى الأول بل أزيد مراد قيمته تعالى عند اطلاعكم على مرسومنا هذا لا يكون منكم إلا إبراز الهمم الزايدة وإظهار خدمتكم الوافية والسلام » .

هذا هو الأمر ، ويخيل إلينا أنه نص تركى كتب بحروف عربية ، وهو مسجل بدفتر تركى مع سائر الأوامر التركية ، لأن لغة البلاد الرسمية كانت وقتئذ اللغة التركية وكانت البلاد مفتقرة إلى محررين متضلعين فى اللغة العربية ، لذلك يستحسن ألا نعتمد على ترجمة الدواوين لنقيس بها قيمة الترجمة الأدبية فى هذه الفترة . فلنرجع حينئذ إلى الترجمة العلمية ، أو على الأصح إلى ترجمة الـكتب المدرسية ، وهى التى ستبين لنا بوضوح قيمة المجهود الذى بذله رجال العلم لرفع مستوى اللغة مع إتقان فن الترجمة .

ولا نستطيع بطبيعة الحال أن نبدى رأياً إجمالياً فى هذا الموضوع فإن قيمة الترجمة تختلف باختلاف نبوغ المترجم والعناية التى يبذلها لتحقيق الغرض المنشود منها .

استعان محمد على باشا فى بداية عهده بالسوريين ، ولعل الأب روفائيل (الذى ورد ذكره من قبل) يعتبر من أوائل من تولوا مهمة الترجمة فى الديوان العالى . وهو الذى وضع معجما عربياً إيطالياً وترجم بناء على أمر من الوالى كتاب « الأمير » لنيقولاوس ماكيافيللى الإيطالى ، وتدل ترجمته على أنه حرص على حفظ المعانى ولو أنه استعمل

العبارات الركيكة التى كان استعمالها شائعاً فى هـذه الفترة . وننشر هنا نموذجاً من ترجمته (١) .

Ceux qui désirent acquérir la grâce de quelque prince ont accoutumé de se présenter à lui avec ceux de leurs biens qu'ils prisent le plus ou auxquels ils voient qu'il prend le plus de plaisir. D'où vient que bien souvent on leur voit être fait présent de chevaux, armes, draps d'or, pierres précieuses, et de semblables ornements dignes de leur grandeur.

Désirant donc m'offrir à Votre Magnificence avec quelque témoignage de ma servitude, je n'ai rien trouvé parmi toutes les hardes que j'estime tant que la connaissance des actions des grands personnages, laquelle j'ai apprise par longue expérience des choses modernes et lecture continuelle des antiques.

« انه لقد يعتاد فى غالب الأوقات أولئك الذين يرغبون نعمت عند الأمير أن يتقدموا له بتلك الأشياء التى فيما بين ما يمتلكونه أعز مما عندهم أو التى يرون أنها تسره أكثر من غيرها . ومن ثم فقد يشاهد مراراً كثيرة انها تتقدم بخيل وأسلحة وأقمشة من القصبات ومن الأحجار الثمينة . وما دنا هى ذلك مما للزينة تنتاحلها عظمة أولئك، أعنى الأمراء . و إذ ذاك إذ كنت أرغب أنا أن أقدم ذاتى لعظمتكم مع بعض ما من الشواهد لخدمتى نحوها فما وجدت ما بين أمتعتى شيئاً مما عندى من الأعز ، أو مما أعتبره بهذا القدار بقدر ما هى خبرة أفعال الرجال العظمين تلك التى قد تعلمتها بتجربة مستطيلة فى الأشياء المستجدة ، و بمطالعة متصلة فى الأمور القديمة . »

ولم تظهر الصعوبة فى ترجمة النصوص الأدبية بمقدار ماظهرت بوضوح عندما قام المترجمون بترجمة الكتب المدرسية فى مختلف العلوم والفنون . فإن مصر فى صدر هـذا العصر كانت خلواً من العلوم الحديثة « فعانى المترجمون كثيراً فى الاضطلاع بمهمتهم العسيرة . .ومهما يكن من شىء فإن هذه الحركة كانت أول ما دعا فى صدر هذه النهضة الحديثة إلى مراجعة معجمات اللغة والكتب الفنية القديمة كمفردات ابن البيطار لاستخراج المصطلحات العلمية . و إذا كانت قد غلبتهم الألفاظ الأجنبية فى كثير من الأحيان فإن لهم الفضل على كل حال فى البدء بعقد الصلة بين لغة العرب القديمة

(١) ملحوظة — آثرنا نشر ترجمة حرفية فرنسية بدل النص الإيطالى

و بين علم الغرب الحديث . . . . ولقد كان سعى المترجمين فى هـذا شاقاً مضنياً على أنهم قد استطاعوا بسعة العلم وقوة الصبر والإخلاص لوجه النهضة ما يكاد يضاف إلى جملة المستحيل وآثارهم فى هذا الباب ما برحت قائمة إلى الآن وما زالت تبعث إلى الفخر بهم على كل لسان . وإذا كنا اليوم نحمد للغتنا تقدمها ووفاءها بكثير من مطالب الحيـاة فى أسبابها الحديثة فإنما نحن مدينون لأولئك الأسلاف بالقسط الأعظم من هذا الفضل العظيم »[١] .

ونختص بالذكر الشيخ رفاعة بك رافع الذى بذل مجهوداً جباراً فى ترجمة الكتب المدرسية وتصحيح معظم أعمال المترجمين فى قلم الترجمة علاوة على إشرافه على تعليم التلاميذ فى مدرسة الألسن .

ولم تكن جميع ترجمات رفاعة بك سواء فى الدقة والقيمة الأدبية ، وهـذا أمر طبيعى بالنظر إلى مشاغله الكثيرة . فقد علمنا مثلا أنه ترجم جزءاً من جغرافية (مالطبرون) فى أسابيع معدودة . وكانت الحال تقتضى هذا الإسراع ، فاضطر رفاعة بك إلى ترجمتها على عجل . ولا بد من الإشارة إلى أن ترجمته للكتب المدرسية لم تكن مقياساً لبراعته فى فن الترجمة و إلمـامه التام بأسرار اللغتين العربية والفرنسية . فإذا كان لا بد من ذكر نموذج من ترجمته فسنقتبس هذا النموذج من الكتاب الذى قام بترجمته وهو منفى فى الخرطوم. وهذا الـكتاب هو روايةفلسفية Le Télémaque ألفها Fénelon أحد مشهورى الكتاب الفرنسيين فى القرن السابع عشر أى فى العصر الكلاسيكى و يعلم الجميع أن اللغة الكلاسيكية الفرنسية عسيرة الفهم لمن لا يتقن لغته . إذ كان يتفنن فحول الكتاب الفرنسيين فى صوغ أرق الأساليب ليعبروا عن أفكارهم . حقاً إنه تصرف كثيراً فى ترجمته الرواية ، أو بمعنى آخر تجنب الترجمة الحرفية ، وهذا التصرف لا يدل على عجزه فى إدراك المعانى . إذ يغلب على الظن أنه تجنب الترجمة الحرفية ليسهل إدراك المعنى تمام الإدراك و إليك أنموذجاً من « التيليماك » :

(١) المفصل فى تاريخ الأدب العربى تأليف أحمد الاسكندرى وأحمد أمين وعلى الجارم وعبد العزيز البشرى وأحمد ضيف القاهرة . سنة ١٩٣٤/١٣٥٢

Télémaque lui répondit : O vous, qui que vous soyez, mortelle ou déesse (quoi qu'à vous voir on ne puisse vous prendre que pour une divinité), seriez-vous insensible aux malheurs d'un fils qui, cherchant son père a la merci des vents et des flots, a vu briser son navire contre vos rochers.

فأجابها تلماك بقوله : أيتها الملكة ارفقي بحالة ولد يبحث عن أبيه عرضة للأخطار والأمواج والعواصف التي كسرت سفينته على شواطئ جزيرتك بعد أن قاسى ما قاسى من الأهوال وقذفته المقادير إلى أمام حضرتك .

ويبدو أن هـذا النموذج لا يظهر كفاية رفاعة بك في الترجمة وأن ترجمة الكتب المدرسية لا تحتاج إلى فن وقدرة ممتازة ، ولكن الواقع أن نبوغ رفاعة بك ظهر بوضوح في ترجمة الكود ومصطلحاته الفنية . «فإن الحكومة حينما فكرت في إصلاح النظام القضائي في عهد إسماعيل مهدت إلى ذلك بتعريب القوانين الفرنسية المعروفة بالكود . وهي مهمة شاقة تحتاج إلى اطلاع واسع في القوانين الفرنسية وأحكام الشريعة الإسلامية لاختيار المصطلحات الفقهية المطابقة لمثيلاتها في القانون الفرنسي وتحتاج أيضاً إلى علم غزير وصبر في العمل وإلمام تام بأسرار اللغتين الفرنسية والعربية . فلم تجد الحكومة من يضطلع بهذه المهمة سوى رفاعة بك وتلاميذه[1]» .

وإليك ترجمة لمادتين من الكود نقلناها دون تغيير :

Art. 150.

Si le père et la mère sont morts ou s'ils sont dans l'impossibilité de manifester leur volonté, les aieuls et aieules les remplacent ; s'il y a dissentiment entre l'aieule de la même ligne, il suffit du consentement de l'aieul. S'il y a dissentiment entre les deux lignes, ce partage emportera consentement.

بند ١٥٠ :

إذا كان كل من الأبوين ميتاً أو تعذر علم رضاه ، ناب عنهما الجد والجدة فإذا حصل اختلاف بين الجد والجدة المتحدى الجهة كفى رضا الجد فإذا تعذرت الجهة غلب جانب الرضا

Art. 454.

Lors de l'entrée en exercice de toute tutelle, autre que celle des père et mère, le conseil de famille réglera par aperçu, et selon l'importance des biens régis, la somme à laquelle pourra

(١) عبد الرحمن الرافعي — تاريخ الحركة القومية (عصر محمد علي)

s'élever les dépenses annuelles du mineur, ainsi que celles d'administration de ses biens. Le même acte spécifiera si le tuteur est autorisé à s'aider, dans sa gestion, d'un ou plusieurs administrateurs particuliers, salariés, et gérant sous sa responsabilité.

بند ٤٥٤

عند افتتاح أى وصايا كانت بالتصرف ما عدا ولاية الأبوين يجب أن يحرر مجلس العائلة مقايسة إجمالية بالمبلغ الذى ينصرف فى نفقة القاصر كل سنة وبتقدير المبلغ الذى ينصرف لإدارة أملاكه ومصلحته .

وفى صلب المقايسة ينبه على ما يلزم لإدارة مصلحة القاصر للوصى من المعاونين إن كان يجوز الحال ذلك وبيان ماهيتهم بشرط أن تكون مسئولية إدارة من ذكر واجبة على الوصى .

ونريد قبل البدء فى الحديث عن عصر إسماعيل أن نعلق على ما ورد فى بعض كتب آداب وخصوصاً كتاب الأستاذ محمود مصطفى ، إذ قال : « ويلاحظ أن الترجمة إلى عهد إسماعيل كانت خاصة بكتب العلم فلم تر بينها كتاباً أدبياً من نحو قصة أو شعر أو وصف للشعوب أو نحو ذلك ، لأن نقل مثل هذه الآداب يحتاج إلى مقدرة على التعبير واستطاعة للتصوير ، فأما نقل العلم فإن أبسط العبارات يكفى فى نقل المعنى لا يحتاج إلى زخرف أو تطالية وإنما صعوبته فى التوفق إلى ترجمة المصطلح . فإذا تغلب عليها المترجم فليس بعد ذلك من عسر ».

كانت كثرة الأعمال الإداريه والعلمية صارفة للمترجمين عن الإقبال على الكتب الأدبية يترجمونها ، فلم يكن إهمالها لعجز أو افتقار ، فإن مقدرة رفاعة بك و بعض أعوانه لا يتطرق إليها الشك ، بدليل أنه لما فرغ من ترجمة الكتب المدرسية (بعد وفاة محمد على باشا) باشر ترجمة الكتب المصبوغة بصبغة أدبية كالتيليماك وكتاب عدل مونتيسكيو حين سمح له وقته بالتفرغ لها .

*
* *

فترت حركة الترجمة بعد وفاة محمد على باشا ولم تنبعث إلا فى عصر إسماعيل غير أن الخديو لم يشملها بمثل العناية التى شملها محمد على باشا بها ، فإذا أبرز فى هذا العصر

بعض المترجمين أمثال عبد الله أبو السعود والسيد صالح مجدى بك ، فقد يرجع الفضل في ذلك إلى الدراسة المتينة التى تلقوها فى مدرسة الألسن فى عهد أستاذهم الأمير رفاعة بك . أما عملهم فهو مثال للدقة والإتقان مع الميل إلى تسهيل العبارة . وهذا نموذج من ترجمة أبى السعود افندى اقتبسناه من « كتاب تاريخ قدماء المصريين المسمى قناصة أهل العصر فى خلاصة تاريخ مصر » تأليف أوغسطس ماريت بك :

L'histoire nous apprend que l'Egypte est bornée au nord par la Méditerranée, au sud par la cataracte d'Assouan. Mais l'histoire, en posant ces limites, ne tient aucun compte des indications fournies par la géographie, soit par l'étude comparée des races. Au nord-est du continent africain, de la mer à l'Equateur, s'étend une zone immense de terrain formée par le même fleuve, par lui seul fertilisée. D'un autre côté, des races diverses qui peuplent les rives de ce fleuve, les unes sont incultes, sauvages, incapables de se gouverner elles-mêmes : au contraire, en deçà du tropique, on rencontre une nation qui mérite l'admiration des hommes par sa gloire, par son industrie, par tous les éléments de civilisation qu'elle possède en son sein. L'histoire devrait donc dire que l'Egypte s'étend là où coule le Nil, et qu'ainsi l'Egypte a le droit de revendiquer comme son domaine toutes les terres qu'arrose ce fleuve célèbre, aussi loin qu'elles s'étendent vers le Sud.

ذكر المؤرخون أن مصر محدودة من جهة الشمال بالبحر الأبيض المتوسط ، ومن جهة الجنوب بشلال أسوان . ولم يلتفتوا فى التحديد على هذا الوجه لما يظهر من الدلالات المتخذة من علم الجغرافية ، ولا من النظر فى مقابلة أحوال أنواع العالم بعضهم مع بعض ، فانه من علم الجغرافية يعلم أنه يوجد على الشمال الشرقى من قارة أفريقيا فيما بين البحر المالح إلى دائرة خط الاستواء منطقة متسعة من الأرض متكونة كمصر من نهر النيل تكتسب خصوبتها منه ، لا من سبب آخر مثلها . وبالنظر فى مقابلة أحوال أنواع العالم بعضهم مع بعض يرى أن على شواطىء النهر من تلك الجهات أقواماً متنوعين متوحشين . لا قدرة لهم على سياسة أنفسهم بأنفسهم ، مع أن بهذه الجهة من دائرة الانقلاب أمة متمدنة ، تعجب النظر وتسر الخاطر بما حوته من الفخر ، واكتسبته من أنواع الصنائع ، وسائر أسباب التمدن والتنافس الذى اشتملت عليه .

وحينئذ فكان يقتضى المؤرخين فى تحديد مصر أن يقولوا إنهـا عبارة عما يرويه النيل من الأرض ، فهى تستحق الاستيلاء على سائر الأراضى التي يسقيها هذا النهر من جهة الجنوب ، ولا بلغت ما بلغت من تلك الجهة .

هذا كما ترى نموذج لمترجم قدير فى عصر إسماعيل ، ولـكن معظم المترجمين فى هذا العصر لم يراعوا الدقة . ويرجع ذلك إلى هبوط مستوى التعليم فى مدرسة الألسن بعد أن ترك نظارتها رفاعة بك وأوضح مثال نقدمه إلى القراء نص الترجمة لكتاب « نهاية الأرب فى تاريخ العرب » تأليف Sédillot الفرنسى . ففى سنة ١٢٨٥ أمر على باشا مبارك ناظر المعارف أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمى اللغة الفرنسية بالمدارس الملـكية المصرية ، وهو محمد أفندى بن احمد عبد الرازق بترجمة هذا الكتاب النفيس ولما تخلى على باشا مبارك عن نظارة المعارف وقف الطبع وحفظت الترجمة فى الـكتبخانة الخديوية . ثم عاد على باشا مبارك إلى نظارة المعارف سنة ١٣٠٥ فاهتم بهذا الـكتاب غير أنه لاحظ أن بعض الأبواب « لم تستوف حقها من الترجمة »[١] فترجم وصحح بنفسه وقابل النص الفرنسى بالنص المترجم . وقد عثرنا فى دار الـكتب المصرية على الوثيقة المخطوطة المؤرخة سنة ١٢٨٩ وعارضناها بالنسخة المطبوعة فى سنة ١٣٠٩ فلاحظنا نقصاً فى ترجمة عبد الرازق أفندى و إليك الأمثلة :

النص الفرنسى :

Les Turcs ottomans ont pu étendre leur domination sur l'Egypte et dans les Régences de Tripoli, de Tunis et d'Alger. Mais s'ils ont réussi à comprimer les populations, ils n'ont en rien altéré le caractère des tribus arabes qui sont restées, des bords du Nil à l'Atlantique, ce qu'elles étaient au temps de la conquête, avec les mêmes qualités et les mêmes défauts, toujours prêtes à payer l'impôt si on leur laisse la vie indédépendante. On a remarqué souvent chez les Egyptiens modernes cet esprit résigné, mais actif et observateur, qui distingue à un si haut degré les Arabes, et on comprend que Mohamed Ali, après ses victoires sur les Wahabites ait eu l'idée d'opposer à

(١) من مقدمة على باشا مبارك

la puissance turque un Etat nouveau, vivifié au contact de la civilisation européenne. Les traductions qu'il a fait faire en arabe de nos livres de science, les nombreuses éditions de Boulac destinées à répandre de tous côtés les connaissances de l'école moderne, attestaient des vues élevées et un ardent désir de régénérer les peuples soumis à ses lois.

(Sédillot, Chap. II, du Livre VII, les Arabes d'Afrique)

ترجمة أحمد افندى عبد الرازق

«قد أمكن الدولة العلية أن توسع حكمها حتى شمل مصر و إيالات طرابلس وتونس والجزائر غير أنها كانت نجحت فى قمع عصيان سكانها إلا أنها لم تغير شيئاً من طباع القبائل العربية التى قد بقيت من ابتداء شواطئ النيل إلى المحيط الاتلنطيقى على ما كانت عليه أيام الفتوحات الأولية أعنى ملازمة فضائلها ومثاليها البدوية ومتأهبة دائماً إلى أن تدفع الخرجات السلطانية بشرط أن تبقى على ما جبلت عليه من العيشة الاستقلالية . ولقد شاهدنا فى أغلب الأحيان عند المصريين المتأخرين ما كانت تمتاز به قدماء العرب كل الامتياز من العقل المذعن للقضاء والقدير والكثير الاشتغال والتأمل فى الكائنات وفهمنا أن محمداً علياً « كذا » باشا كان يريد بعد انتصاره على الوهابية أن يظاهر الدولة العلية بدولته المستجدة المتنشطة الهمة باكتساب التمدن الأوربى . ويدل على مقاصده العلية وشدة رغبته الكلية فى إحياء الفضائل والتمدن والتقدم عند الأمم المنقادة لأحكامه استكثاره من ترجمة كتبنا الفرنساوية العلمية إلى اللغة العربية ومن طبع كتب عديدة فى مطبعة بولاق معدة لأن تنشر فى جميع الجهات معلومات علماء هذا العصر » .

ترجمة على باشا مبارك

شمل حكم الدولة العلية إيالات مصر وطرابلس وتونس والجزائر ولم تغير شيئاً من طبع القبائل العربية من شواطئ النيل إلى المحيط الاتلنطيقى فإنها إذ ذاك باقية على ما كانت عليه أيام الفتوحات الدولية من ملازمة الفضائل والمثالب البدوية والتأهب

لتأدية الخراج السلطانى بشرط بقائهم على ما جبلوا على حين من المعيشة الاستقلالية وقد شاهدنا ما امتازت به قدماء العرب كل الامتياز من العقل المذعن للقضاء والقدر والكثير التأمل فى المصنوعات لدى المصريين المتأخرين المنجدين لنا أن محمد على باشا لما أراد بعد نصرته على الوهابية أن يظاهر الدولة العلية بدولته المتنشطة باكتساب تمدن أوربا رغب فى إحياء الفضائل والتمدن لدى المنقادين لحكمه فأكثر من ترجمة الكتب الفرنسية العلمية إلى اللغة العربية وطبع عدة كتب فى مطبعة بولاق .

*
* *

أما لغة الدواوين فى هذا العصر فحسبنا أن نثبت صورة أمر كريم صدر سنة ١٨٨٠ يتبين منها أن اللغة استمرت مزيجاً من اللغة التركية والعربية الركيكة : « ولم تعالج هذه الحالة إلا بعد انتشار الصحف العربية التى تولى تحريرها نخبة من الأدباء فبرزت ركاكة الاصطلاحات الرسمية المستعملة ، ولكن لم تزل لغة الدواوين تشف عن ضعف ولم يزل رجال الأدب يطالبون بإصلاحها »(١)

وإليك نص الأمر ، وهو خاص بتبليغ الأقطار السودانية تولية الخديو توفيق باشا عرش مصر :

« أما بعد فإن الله جلت قدرته أراد ولا مانع لما أعطى ولا أراد أن تكون حكومة مصر بملحقاتها المعلومة فىّ وفى نسلى وهذا من فضل ربى لا من فضلى فاعتقد أن العدل بين الناس وهو لمبانى الحكم خير أساس . فلذا التزمت الرفق والعدل والإحسان وحسن المعاملة مع الجميع باللطف والمجاملة فنسأل الله أن يرزقنا الفلاح ويوفقنا لما فيه الخير والإصلاح .

« ومن حيث المعلوم لجنابكم السامى ومقامكم الرفيع النامى أن حكومتنا الخديوية وحكومتكم البهية تجمعنا جميعاً كلمة التوحيد فلهذا يكون الأمر السديد ازدياد حسن العلاقة والوداد وأحكام الألفة والاتحاد . سيما وحضرتكم الجار الأكرم فالأولى أن

(١) زيدان : تاريخ أدب اللغة العربية

يكون لنا من ودكم النصيب الأعظم إذ جل مقصودنا استمرار هذه العلاقة على أحسن أسلوب فوق المأمور والمطلوب بحيث لا يعتريها نقص ولا إخلال بحال من الاحوال ».

وإذا لم نراع ما قام به رفاعة بك فى منفاه من ترجمة كتاب « تلماك » فى عصر عباس[1] أمكن القول بأن الترجمة كانت مقصورة حتى أوائل عصر إسماعيل على الـكتب المدرسية . أما فى هذا العصر فقد نشط المترجمون فى ترجمة ما ليس له علاقة مباشرة بالتعليم والمدارس . ومنهم من لم يترجم قط الـكتب المدرسية مثل عثمان بك جلال . وكان الجمهور شيقاً إلى قراءة القصص المسلية ومشاهدة الروايات التمثيلية فى أوقات الفراغ فأدى هذان العاملان إلى تنشيط ترجمة القصص التمثيلية وغيرها . وللدلالة على مبلغ شغف القراء بمطالعات الروايات نذكر بعض تعليقات دونها بعضهم على غلاف النسخة المحفوظة بدار الكتب الفرسان الثلاثة . كتب أحدهم « ما أبدعها رواية تدل على ما لصاحبها ومؤلفها من النبوغ وما عليه معربها من العبقرية » . وكتب آخر : « ما أجملها . رواية عظيمة وذلك لنبوغ معربها » .

وقد استعمل المترجمون العبارات السهلة وفى بعض الأحيان كانوا يستعملون اللغة العامية حتى لا يجشموا القارئ مشقة البحث عن المعانى . ولما كانت الروايات المترجمة من أصل فرنسى أو انجليزى ، فقد حاول مترجموها أن يضعوها أحياناً فى قالب شرقى كما فعل عثمان جلال برواية « ترتوف » الذى سماها بعد تعديلها « رواية الشيخ متلوف ». أما أمثال لافونتين الشعرية فقد نظمها بالشعر العربى ودعاها « العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ » ، ودونك مثالا منها وهو « البخيل والدجاجة » .

---

(١) هذا الـكتاب يحدثنا بطريقة جذابة عن فلسفة الحكم فيؤيد مؤلفه (فينيلون) الحكم الديمقراطى ويستهزئ بالحكم الأتوقراطى والمعلوم أن الملك لويس الرابع عشر غضب على فينيلون وعزله وأظن أن رفاعة بك قصد بترجمته هذه بث آراء أسقف (كامبريه) بين طبقات الشعب المصرى المثقف انتقاماً من عباس باشا لاضطهاده إياه .

La Poule aux oeufs d'or

L'avarice perd tout en voulant tout gagner.
Je ne veux, pour le témoigner,
Que celui, dont la poule, à ce que dit la fable,
Pondait tous les jours un œuf d'or.
Il crut que dans son corps elle avait un trésor.
Il la tua, l'ouvrit, et la trouva semblable,
A celle dont les œufs ne lui rapportaient rien,
S'étant lui-même ôté le plus beau de son bien.
Belle leçon pour les gens chiches ;
Pendant ces derniers temps, combien en a-t-on vu,
Qui du soir au matin, sont pauvres devenus,
Pour vouloir trop tôt être riches.

كان البخيل عنده دجاجـة　　تكفيه طول الدهر شرّ الحاجة
فى كل يوم مرّ تعطيه العجب　　وهى تبيض بيضة من الذهب
فظن يوماً أن فيها كنزاً　　وأنه يزداد منـه عـزاً
فقبض الدجاجـة المسكين　　وكان فى يمينـه سـكين
وشقها نصـفين فى غفلته　　إذ هى كالدجاج فى حضرته
ولم يجـد كنزاً ولا لقيّـة　　بل رمّة فى حجرة مرميّة
فقال — لا شك بأن الطمعا　　ضيع للإنسان ما قد جمعا

ومن عيوب الروايات المترجمة أن ترجمتها لم تكن حرفية ، ولا سيما إذ كانت الرواية طويلة « كالفرسان الثلاثة » لاسكندر دوماس التى ترجمها الشيخ نجيب الحداد . فالمترجم قد أهمل بعض الفقرات التى أمكنه أن يهملها دون أن يشوه المعنى ولهذا اضطر أحياناً إلى زيادة بعض العبارات من عنده لتوضيح بعض ما حذفه فى الترجمة .

وإليك مثالاً اقتبسناه من هذه الرواية :

C'était une nuit orageuse et sombre ; de gros nuages couraient au ciel, voilant la clarté des étoiles ; la lune ne devait se lever qu'à minuit.

Parfois, à la lueur d'un éclair qui brillait à l'horizon, on

apercevait la route qui se déroulait, blanche et solitaire ; puis, l'éclair éteint, tout rentrait dans l'obscurité.

A chaque instant, Athos rappelait d'Artagnan, toujours à la tête de la petite troupe, et le forçait de reprendre son sang, qu'au bout d'un instant il abandonnait de nouveau ; il n'avait qu'une pensée, c'était d'aller en avant, et il allait.

وكان الليل عاصفاً ، والسحاب متكاثفاً ، والظلام شديداً . إذا مد الإنسان يده لم يكد يراها . وكان القمر لا يشرق إلا عند منتصف الليل ، فجعل القوم يسيرون فى ذلك الظلام ، ولا ينظرون الطريق إلا إذا لمع البرق .

وبعد ، فقد قلنا إن القارىء المثقف قد أبدى وقتئذ اغتباطه بمطالعة الروايات ، ولكنه لم يبد مثل هذا الاغتباط بمطالعة الكتب العلمية بعد خروجه من المدرسة . ولئن ترجم بعض الكتب العلمية فى هذه الفترة ، فإنما ترجم بتكليف من الحكومة ومعاضدة منها . فإذا تولى عبدالله أبو السعود (وكان رئيساً لقلم الترجمة) ترجمة تاريخ مصر لمريت بك ، فإنه لم يباشر هذا العمل إلا لأن حضرة شريف باشا مدير المدارس المصرية وناظر الأمور الخارجية أمره بترجمته « تحصيلا لتمام الثمرة وتسهيلا لما كان يصعب على أهل مصر فى هذه المادة من النتيجة المتعذرة ، وإلا فبدون ذلك كانت لا تتم فائدته لأهل الوطن ولا يتحقق قصد خديو مصر الحسن ، فإنه أبقاه الله إنما أراد بذلك أن تستيقظ من سنة الغفلة »[١] .

ومن ناحية أخرى لم يباشر محمد بن أحمد عبدالرازق أفندى ترجمة كتاب « نهاية الأرب فى تاريخ العرب » إلا بأمر على باشا مبارك الذى أراد نشره لنفاسته . ولولا عنايته واهتمامه بتاريخ العرب لما ترجم هذا الكتاب القيم ، إذ أنه عند ما تخلى عن نظارة ديوان المعارف ، وقف الطبع . فلما عاد إليه سنة ١٣٠٥ استخرج النسخة المخطوطة من دار الكتب حيث كانت محفوظة هناك وأعاد النظر فيها ، وكلف أحد علماء الأزهر الشريف أن يصوغها عربية الديباجة فصيحة اللفظ . وصدر الكتاب فى سنة ١٣٠٩ . .

---

(١) من مقدمة المترجم

*
* *

ثم جاء عهد توفيق وعهد الاحتلال . فلما استقرت الحالة السياسية نشطت حركة الترجمة أيضاً ، إذ أخذ عدد المتخرجين من المدارس العليا يزداد سنة بعد أخرى ، ولجأ إلى مصر عدد من السوريين المثقفين ، فتوافرت بذلك الأيدى العاملة . وهذا فى الوقت الذى سما فيه المتعلمون إلى مطالعة الكتب الأدبية . ومع ذلك بقى إقبال الجمهور متجهاً إلى الروايات الأدبية . فاقتصر مجهود الأدباء الخارجين عن خدمة الحكومة على ترجمة أحسن الروايات الفرنسية والإنجليزية .

وقد تذمر من هذه الحالة أحمد فتحى زغلول باشا ، وحمل عليها فى سنة ١٨٩٩ فى مقدمة « سر تقدم الإنجليز السكسونيين » ، إذ قال « من المقرر أن ميلنا إلى مطالعة المؤلفات التى من هذا القبيل (أى المؤلفات العلمية) ضعيف حتى فى هذه الأيام . وأن المشتغلين بنشرها أشقى العاملين . لكن الذى لا يأخذ الأمور بظواهرها يعلم أن انزواء رغبة الناس عن مطالعة المؤلفات المفيدة وملهم من العلم بما يجرى فى الوجود من تقدم الأمم بترقى المعارف واتساع نطاق التربية والتعليم لم يكن ناشئاً عن بغضهم للعلم أو نفورهم من القائمين بنشره ، وإنما هو مسبب عن طول زمن الترك الناشئ عن الضعف العام الذى ألم بروح الشرق منذ أجيال طويلة حتى أمات ملكة حب الاستطلاع . هذا هو السبب فى الإقبال على مطالعة القصص والخرافات والتهافت على اقتناء التافه من المؤلفات والتسابق إلى حفظ كتب المجون والروايات » .

والواقع أننا إذا استثنينا الكتب القضائية ، وبعض الكتب المتعلقة بالاقتصاد السياسى والنزر اليسير من العلوم الأخرى ، لم نجد حتى أواخر القرن التاسع عشر من الكتب المفيدة غير ما ترجمه أحمد فتحى زغلول باشا . وإذا عرضنا له فلا يسعنا إلا أن نشيد بسعة اطلاعه وبراعته فى الترجمة من الفرنسية إلى العربية ودقته وعنايته بمطابقة النص العربى للنص الفرنسى . وقد نعده بحق إمام الترجمة فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين معاً .

وإليك نموذجاً لترجمته —

LE FRANÇAIS ET L'ANGLO-SAXON DANS L'ECOLE

C'est dès l'école que s'accuse d'abord le contraste entre l'Angleterre et les autres nations de l'Occident. Ce contraste est violent et il permet de saisir, à sa naissance, les causes profondes de la supériorité anglo-saxonne.

Chaque peuple organise l'éducation a son image, en vue de ses mœurs et de ses habitudes ; l'éducation, à son tour, réagit sur l'état social.

On va s'en rendre compte par les trois premières études sur l'éducation en France, en Allemagne et en Angleterre.

La quatrième étude, précise la nature de l'évolution sociale actuelle et indique comment nous devons élever nos enfants pour les mettre à la hauteur des conditions nouvelles du monde si différentes des conditions anciennes.

الفرنساويون والانجليز السكسونيين فى المدرسة

يظهر الفرق بين انجلترا والأمم الغربية الأخرى منذ عهد المدرسة ، وهو فرق كبير إذا عرفناه سهلت علينا معرفة السبب فى أفضلية الإنكليز الساكسونيين .

كل أمة تنظم التربية على حسب طبيعتها وعلى مقتضى أخلاقها وعوائدها ، ثم التربية نفسها تؤثر فى الهيئة الاجتماعية . وسيقف القارئ على بيان ذلك بما تقدمه من الشرح على التربية فى فرنسا وألمانيا وانجلترا . وبعد ذلك نخصص مطلباً رابعاً نبين فيه تغير الأحوال فى هذه الأيام ، ونأتى على ذكر الطريقة التى يجب أن نتبعها فى تربية أبنائنا حتى يكونوا على درجة من الاستعداد تناسب الأزمان الحاضرة ، التى أصبحت تخالف الأزمان القديمة من جميع الوجوه .

تأثير الترجمة فى الأسلوب العربى

اتفق الأدباء على أن الترجمة فى مصر فى القرن التاسع عشر كان لها أقوى تأثير فى الأسلوب العربى . ونورد هنا بعض آرائهم .

إدخال الأساليب الأعجمية فى أسلوب اللغة العربية .

قال جرجى زيدان : « أن أسلوب الإنشاء العصرى تطرق إليه تراكيب أعجمية اقتبسها الكتاب من اللغات التى ينقلون عنها أو يطالعونها وهم لا يشعرون .

ولـكن أساتذة اللغة يرفضون ذكرها و بلغاء الـكتاب يتجنبون الوقوع فيها » .

ولما كان من أهم أغراض المجمع اللغوى تطهير اللغة العربية من العجمة جهد المستطاع ووضع مصطلحات عربية لكل جديد مبتكر . فمن الطبيعى أن يهتم أعضاؤه بهذه المشكلة . وقد بحثها فعلا الأستاذ عبد القادر المغربى فى مجلة « مجمع اللغة العربية الملكى »(١) . ونذكر من هذا البحث ما يتصل بصميم الموضوع .

« ليس بين أدبائنا كبير نزاع فى أمر قبول الأساليب الأعجمية وعدم قبولها وجل ما اشترطوه فى قبول هذه الأساليب ألا تكون مخالفة فى تراكيبها لقواعد اللغة العربية وألا تكون نابية عن الذوق السليم . ولم يشترطوا قط فى إدخالها إلى أساليبنا (الضرورة) كما اشترط المجمع الملكى فى تعريب الكلمات مذ قال « ومجمع اللغة العربية الملكى يجيز تعريب الكلمات عند الضرورة » .

« فالباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخله بسلام . إذ ليس فى هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمى . و إنما هى كلمات عربية محضة ركبت تركيباً عربياً خالصاً . لـكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات .

« على أن كلا من « تعريب الأساليب » و « تعريب الكلمات » أمر طبيعى فى لغات البشر يتعذر تجنبه والاحتذار منه .

« ودخول الأساليب الأعجمية فى اللغة العربية قديم يتصل بالعهد الجاهلى ثم نشط فى العهد الإسلامى منذ حمل راية الكتابة من عبد الحميد الكاتب . ثم تكاثر ونما فى العصر العباسى وحامل راية التعريب فيه ابن المقفع حتى كانت نهضتنا الحديثة فرجح ميزانه وطغى طوفانه .

« أساليب تسربت إلى لغتنا فى العهد الأخير وكان الظاهر من حالها أنها أعجمية لا يعرفها العرب » .

ثم سرد الأستاذ أمثلة من الأساليب التى فى عجمتها شك ؛ والأساليب المشتبه فى عجمتها ، والأساليب الأعجمية المحضة ، والأساليب التى يشككون فى عروبتها ،

(١) جرجى زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية

والأساليب الأعجمية التى غلبت على الكتاب المصريين وفى عجمها شك ثم استطرد فقال :

« وهناك عدا ما ذكرنا أساليب عدة يكثر النزاع حول اعتبارها عربية أو أعجمية ويمكن أن يقال بوجه الإجمال أنها عربية ولكن الفصحاء لم يستعملوها استغناء عنها بغيرها أو استعملوها بقلة حتى نهض أبطال الترجمة فى القرن الماضى فاضطروا إلى استعمالها توفية لحق الترجمة الحرفية ولا سيما أن تلك الأساليب بكثرة مملة فى الكتابات الإفرنجية ومن يومئذ شاعت تلك الأساليب على ألسنة كتابنا وفى لغة صحافتنا ولغة التخاطب بيننا .

« قلنا فى صدر المقال أن بعض الفضلاء اشترط فى استعمال الأساليب الإفرنجية أن تكون مما يلائم الذوق العربى السليم . وقلنا إن فى هذا الشرط عسراً بيناً لاختلاف الأذواق وتباين المشارب والثقافات . فما رآه هذا فى ذوقه بشعاً قبيحاً عدّه الآخر مقبولا حسناً . ومن أجل ذلك لا يمكننا البت فى تعيين الأساليب المستهجنة بل لا يمكن وضع قاعدة يرجع إليها فى ذلك .

« فلا جرم أن يكون تحكيم الذوق الخاص فى اختيار الأساليب الدخيلة غير ممكن التطبيق إذ لكل كاتب ذوق وكل كاتب وذوقه والنقد من وراء الأذواق بالمرصاد إذ لا ينبغى التشاؤم بهذه الأساليب الجديدة فلا يحسن إيصاد الباب فى وجهها ما دام النقد كالحاجب على الباب يأذن ويصد ويقبل ويرد » .

من هذا كله يبدو جلياً أن اللغة العربية قد تأثرت بالاصطلاحات الإفرنجية حتى لقد نسى الكتاب أن فى لغتهم اصطلاحات فنية كثيرة وردت فى مؤلفاتهم القديمة فمثلا لعلم الاقتصاد السياسى تسمية فى كتب العرب هى « علم المعاش »[1] . ولكن النقلة جاروا الإفرنج فى التسمية ؛ فقالوا « الاقتصاد السياسى » مع أن التسمية العربية أقرب إلى الحقيقة . وقد استرعت تلك الحال أنظار أدباء العربية وأهل الحفاظ عليها ،

---

(١) جرجى زيدان — تاريخ أدب اللغة العربية

فتوالت الدعوات لإنشاء مجمع للغة العربية ، وبدت محاولات أهلية فى هذا الصدد قبل أن ينشىء الملك فؤاد الأول المجمع الملكى . وقد عرض بهذه النقطة الأستاذ محمود مصطفى فقال : « إن فكرة إنشاء مجمع لغوى كانت فى كل العصور تابعة للترجمة وما يصادفه المترجمون من عقبات فى التوفيق بين العربية وغيرها من اللغات التى ينقل عنها . لأن المترجم حين يعرض له مصطلحات من المصطلحات لا يستطيع الاستقلال باختيار اللفظ العربى له لعدم توقفه إلى ذلك غالباً . ولأن ذلك يحتاج إلى مواصفه وهى لا تكون إلا من جمع من أهل اللغة يوثق برأيهم حتى يكون وضعهم مأمون الدخل فيقبل عليه الناس مطمئنين .

« بدت هذه الفكرة عندما اشتدت حركة الترجمة أيام المأمون العباسى ، فإنه جعل يوماً فى الأسبوع يلتقى فيه علماء اللغة بالمترجمين فيعرض هؤلاء على أولئك عملهم وتجرى المناقشة فيه ثم يقر الرأى على ما يقتنع به المجمع . فعمل المأمون لا يحتمل الشك فى أنه أول من فكر فى أهل العربية فيما نسميه الآن مجمعاً لغوياً .

« وكان أول مجمع لغوى بمصر هو الذى اجتمع سنة ١٨٩٧ . وكان مقره آل البكرى وتولى رياسته السيد محمد توفيق البكرى وأسندت وكالته إلى الشيخ محمد عبده . . . وقد كان عمل هذا المجمع وضع ألفاظ لمخترعات حديثة . ثم فتر العمل فى هذا المجمع وانتهى أمره إلى السكوت والموت »[(١)]

تأثير الترجمة فى الشعر :

قال جرجى زيدان : « تأثر الأدب العربى بالمؤلفات الأوربية ويغلب النزوح إلى الأساليب العصرية فى المطلعين على الشعر الإفرنجى والآداب الإفرنجية . وربما اقتبسوا شيئاً من أساليبها ومعانيها . ولا يقال ذلك شيئاً من شاعرية القوم . وفى مصر اليوم طبقة من الشعراء لا يشق لهم غبار ولم يكن فى مصر أشعر منهم فى دور من أدوارها . لكن الطريقة العصرية التى نحن فى صددها لم يتم نضجها بعد. »

---

(١) الأستاذ محمود مصطفى : مذكرات الأدب العربى

أثر الترجمة فى الفكر العربى

كل من يقرأ كتاباً طبع منذ أكثر من مائة عام ، ثم يوازن بينه وبين كتاب ألف فى أواخر القرن التاسع عشر لا يستطيع إلا أن يدرك مدى تأثر الفكر العربى بما ترجم من كتب الآداب والعلوم . وقد عقدت فى شأن هذا التطور أبحاث دقيقة ودبجت مقالات فياضة وإننا نجتزئ بلمعة من ذلك وردت فى كتاب « المفصل فى تاريخ أدب اللغة » .[١]

قال مؤلفوه :

« ولا تنس مع هذا عاملا خطيراً كان له أثره البعيد فى تطور الأدب العربى عامة وفى النثر خاصة . وذلك أن ظهور المتعلمين على الأدب الغربى فى لغاته أو مترجماً إلى اللغة العربية وإمعانهم فى قراءته وتقليب الذهن فيه كان له فى أقلام الكاتبين أثر بعيد ظهر واضحاً فى صرف أجل العناية إلى المعانى لا إلى تحسين اللفظ وتبهيجه ، وفى القصد فى الألفاظ فلا يطلق منها إلا بقدر المعانى القائمة فى النفس والتجرد من المبالغات المجوجة والتحليق فى أخيلة السخيفة والانصراف عن التمهيد بالمقدمات الطويلة التى كثيراً ما تستهلك جهد الكاتب والقارئ جميعاً دون بلوغ الغرض الذى سبق له الكلام .

« وكان من أثر هذا أيضاً تغير طريقة الكتابة طوعاً لتغير طريقة التفكير وتقصير الجمل وفصل العبارات وحبس كل واحدة منها على أداء معنى واحد واعتماد لون طريف فى ترتيب الكلام وتبويبه ، وسوق المقال فى الغالب لأداء فكرة واحدة واستحداث صيغ جديدة لأداء معان جديدة والتجوز بكثير من المفردات لإصابة ما لا تطوله بأصل الوضع اللغوى »

وحصر جرجى زيدان هذا التطور فى ١٠ نقط نذكرها فيما بعد :

---

(١) المفصل الجزء الثانى

١ — سلالة العبارة وسهولتها بحيث لا يتكلف القارئ أعمال الفكرة فى تفهمها .

٢ — تجنب الألفاظ المهجورة والعبارات المسجعة إلا ما يجئ عفواً ولا يثقل على السمع .

٣ — تقصير العبارة وتجريدها من التنميق والحشو حتى يكون اللفظ على قدر المعنى.

٤ — ترتيب الموضوع ترتيباً منطقياً .

٥ — تقسيم المواضيع إلى أبواب وفصول .

٦ — تذييل الكتب بفهارس أبجدية .

٧ — تسمية الكتب باسم يدل على موضوعها .

٨ — تنويع أشكال الحروف على مقتضى أهمية الكلام ، فيجعلون للمتن حرفاً وللشرح حرفاً وللرؤوس حرفاً .

٩ — إذا أرادوا إسناد الكلام إلى كاتب أشاروا إلى ذلك فى ذيل الصحيفة .

١٠ — فصل الجمل بنقط وعلامات .

المراجع

المحفوظات التاريخية بقصر عابدين

الوقائع المصرية

أمين سامى باشا — تقويم النيل ، وعصر محمد على باشا

» » » عباس وسعيد

» » » إسماعيل

أمين سامى باشا — التعليم فى مصر

أحمد عزت عبد الكريم — تاريخ التعليم فى عصر محمد على . مصر ١٩٣٨

جرجى زيدان — تاريخ أدب اللغة العربية

أحمد الإسكندرى ، وأحمد أمين ، وعلى الجارم ، وعبد العزيز البشرى ، وأحمد ضيف — المفصل فى تاريخ الأدب العربى

محمود مصطفى — مذكرات الأدب العربى ١٣٥٣ / ١٩٣٤

عبد الرحمن الرافعى بك — تاريخ الحركة القومية (الحملة الفرنسية وعصر محمد على وعصرى عباس وسعيد ، وعصر إسماعيل)

على باشا مبارك — الخطط التوفيقية

إلياس الأيوبى — عصر إسماعيل

إبراهيم عبده — تاريخ الوقائع المصرية (١٨٢٨ — ١٩٤٢) مصر ١٩٤٢

الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية

برنارد لويس — تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية

الدكتور سارجانت — إنكليزى شهير (المستمع العربى)

اليان سركيس — مرجع المؤلفات العربية والمعربة

فهارس دار الكتب المصرية

المراجع الإفرنجية

V. DOR BEY, L'enseignement en Egypte. Paris, 1872.
J. HEYWORTH-DUNNE, An Introduction to the History of the Education in Modern Egypt. London, 1939.
G. HANOTAUX, Histoire de la Nation Egyptienne (Tome V)
G. GUEMARD, Les orientalistes de l'Armée d'Orient (Extr. de la Revue des Colonies Françaises)
G. GUEMARD, Les Réformes en Egypte. Le Caire, 1935.
J. BOWRING, Report on Egypt and Candia (Blue Book), 1840.
Parliamentary Reports (Blue Book)
Y. ARTIN Pacha, Lettres du Dr. Perron à M. J. Mohl. Le Caire, 1911
BRAMSEN, Journal d'un Voyageur prussien. Paris, 1919
Ch. BACHATLY, Dom Raphaël (Bulletin de l'Institut d'Egypte, t.XVII)
E. BARRAULT, Occident et Orient, Paris, 1836.
ÇHONSKI, Croquis Egyptiens. Paris, 1887.
H. CUNNYNGHAME, The present state of Education in Egypt (Journal of the Royal Asiatic Society, 1886).
CADALVENE & BREUVERY, Correspondance d'Orient. Paris, 1834. 7 vol.
ENFANTIN, Œuvres. Paris, 1868-74
Cte. D'ESTOURMEL, Journal d'un Voyage au Levant. Paris, 1844.
FORBIN, Voyage au Levant. Paris, 1819
GISQUET, L'Egypte, les Turcs et les Arabes. Paris, 1844.
J. HORNEMANN, Journal of Travels from Cairo to Morzouk in 1797-98. London.
J.-J. MARCEL, Vocabulaire français-arabe des dialectes vulgaires africains. Paris, 1837.
J.-J. MARCEL. Contes du Cheikh El Mohdi. Paris, 1835. 3 vol.
Cte. MARCELLUS, Voyage au Levant. Paris. 2 vol.
Ctesse. MINUTOLI, Mes Souvenirs. Paris, 1826. 2 vol.
PACHO, Voyage en Marmarique. Paris, 1827-29.
PARDIEU, Excursions en Orient. Paris, 1850.
PUCKLER-MUSKAU. Aus Mehemed Ali's Reich. Stuttgart, (3 vol.)
V. SCHOELCHER, L'Egypte en 1845. Paris, 1846.
VOLNEY, Voyage en Syrie et en Egypte. Paris, 1846.
Encyclopédie Larousse
La Décade Egyptienne
Bulletin de l'Institut Egyptien
Journal Asiatique


Bibliotheca Alexandrina
04429073